الحروب العربية والاسلامية

الجزء الاول

زمن الرسول والخلفاء الراشدين

اعداد
شاهر سليمان ابو قدورة



الحروب العربية والاسلامية

الجزء الاول

زمن الرسول والخلفاء الراشدين



اعداد

شاهر سليمان ابو قدورة

الطبعة الاولى

١٩٩٣

٩٥٦,٠٢
شاهـ شاهر سليمان ابو قدورة
الحروب العربية والاسلامية/ شاهر سليمان ابو قدورة.ـــ
عمان: المؤلف، ١٩٩٣.
ج١(٢٥٨) ص
ر. أ. ١٩٩٣/١/١٨.
١. الاسلام ــ تاريخ ــ عصر صدر الاسلام أ. العنوان

(تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية)

رقم الايداع لدى المكتبة الوطنية

١٩٩٣/١/١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

كان العرب يقطنون الجزيرة العربية والمناطق المحيطة بها في بلاد الشام والعراق، ولكنهم لم يتمكنوا من خلال تاريخهم الطويل من اقامة دولة تفرض سلطانها على امتداد هذه الرقعة، او كيان يجمعهم ويهيء لهم دوراً حضارياً ومكانة سياسية على خريطة العالم القديم، و لم تستطع الدويلات الصغيرة التي نشأت في العراق والشام (المناذرة والغساسنة) ان تتجاوز اقاليمها المحدودة، اذ وقعت تحت الهيمنة الفارسية والرومانية، بينما ظل العرب في الجزيرة ولقرون طويلة، لا يتعدون كونهم قبائل متناحرة، لا يجمعها رابط، عاجزة عن ان تبلور مفهوماً قومياً لها كأمة، او عقيدة قادرة على تخطي ما يتسم به راهنها من فرقة واختلاف.

وجاء الاسلام برسالته الموجهة للناس كافة، مبدلاً عبودية البشر للأوثان وعبودية البشر للبشر، بعبودية الناس لخالقهم فاتحاً لهم آفاقاً أرحب لحياة تليق بالامانة التي كرم الله بها الانسان، وما ان تمكن الرسول ـــ عليه السلام ـــ من تجاوز العقبات التي احيط بها في مكة، واقامة دولة الاسلام في المدينة، حتى كانت مرحلة جديدة في تاريخ العرب خاصة، والعالم عامة قد بدأت، و لم تمض السنوات القليلة التي لم تتجاوز ربع القرن، الا والعرب قد غدوا القوة الأولى في العالم القديم، فهزموا أعظم امبراطوريتين في ذلك الزمن ـــ الفارسية والرومانية ـــ وحملوا رسالتهم من مشارق الارض الى مغاربها، في فترة زمنية قياسية، يكاد يكون ما حدث خلالها معجزة لا تتكرر.

تكتسب هذه الحقبة من تاريخ العرب والمسلمين ـــ الفترة الممتدة من قيام الدولة الاسلامية في المدينة حتى نهاية الخلافة الراشدة ـــ أهمية خاصة نابعة من حجم الانجازات التي تحققت خلالها والفتوح العظيمة التي سطرها المسلمون بدمائهم في هذا الزمن القصير، وقد حظيت هذه المرحلة باهتمام الدارسين والمؤلفين، سواء القدامى منهم او المعاصرين، فالمكتبة العربية تزخر بالكتب والدراسات التي تتناول تاريخ هذه الفترة بالسرد والبحث والتقصي والتحليل.

ولكن جل هذه الكتب والمؤلفات تؤرخ للمرحلة من خلال نهج شمولي يتناول الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية .... الخ، دون ان تقتصر بالبحث على احد هذه المناحي، مما يشكل في بعض الاحيان ارباكا للقارىء الذي تقتضيه حاجته الى البحث عن أمر محدد، وهو ما حدا بي الى وضع هذا الكتاب الذي آثرت ان اقتصر فيه على الجانب العسكري، اذ جمعت بين دفتيه كل المعارك التي حدثت في هذه المرحلة ـــ صدر الاسلام ـــ مبيناً تاريخ ومكان كل معركة واسبابها، والموقف قبل المعركة، وسير المعركة، ونتائجها، مع الاشارة احياناً الى الاوضاع العامة التي رافقت او سبقت تلك المعارك.

ومما شجعني على وضع هذا الكتاب، خلو المكتبة العربية على حد علمي ــ من كتاب مماثل، فقد كانت الكتب التي وقعت بين يدي، أما ان تتناول هذه المعارك من خلال السيرة العامة (التاريخ العام) او انها كانت تركز على معركة معينة دون غيرها، بالاضافة الى ذلك فانني آمل ان يسهل هذا الكتاب على القارىء الوصول الى أية معركة يريدها، دون ان يضطر الى الرجوع الى عدد كبير من الكتب والمصادر، حتى يستقصي كل المعلومات المتعلقة بهذه المعركة، والمتناثرة بين هذه الكتب.

اعتمدت في هذا الكتاب على المراجع القديمة، مثل: تاريخ ابن خلدون وتاريخ الطبري والكامل في التاريخ لأبن الأثير والسيرة النبوية لابن هشام والبداية والنهاية لابن كثير وغيرها، بالاضافة الى اطلاعي على اكثر ما كتب حول ذلك من قبل المؤلفين المعاصرين، وقد كان اكثر ما واجهني من صعوبات هو: التسلسل الزمني لبعض المعارك، خاصة تلك التي حدثت في بلاد الشام زمن الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ــ رضي الله عنهما ــ اذ كان الاختلاف كبيراً في تسلسل بعض هذه المعارك بين كثير من المؤلفين، الا انني حاولت ان اجتهد في هذا الامر، محاولاً الوصول الى ربط منطقي من خلال سياق الاحداث.

وقد سعيت ان تكون لغة الكتاب بسيطة واضحة، حتى يكون في متناول يد القارىء العادي، وأشفعت ذلك باعداد مجموعة من الخرائط الحقتها بالمعارك الخاصة بها، مبيناً عليها مواقع المعارك، وحركة الجيوش، حتى تساهم في ايضاح الصورة العامة للمعركة.

واخيراً، فانه لا يفوتني ان أشكر كل من ساهم في اتمام هذا الكتاب، وابرازه الى حيز الوجود، املاً ان أكون قد وفقت بوضع هذا الكتاب بين يدي القارىء.

والله من وراء القصد.
شاهر سليمان ابو قدوره

غزوة ودان (١)

تاريخ الغزوة: شهر صفر من السنة الاولى للهجرة (٦٢٢ ميلادية).
مكانها: منطقة ودان، في الحجاز بين مكة المكرمة والمدينة المنورة.
اهدافها:
١ ــ العمل على نشر الاسلام في تلك المنطقة.
٢ ــ محاولة اقامة احلاف مع القبائل التي تقطن في هذه المنطقة.
٣ ــ الوصول الى ودان لما تتميز به من موقع يتيح تهديد تجارة قريش التي تتخذ من هذه المنطقة ممراً لها بين مكة والشام، مما يشكل ضربة للاقتصاد المكي، لاستناده اساساً على التجارة مع اليمن والشام.
٤ ــ اظهار مدى قوة المسلمين، ومقدار ما انجزته دولتهم الناشئة في هذه الفترة الزمنية القصيرة.

وقائع الغزوة

بعد ان استعمل الرسول ــ عليه السلام ــ سعد بن عبادة على المدينة المنورة، خرج عليه السلام على رأس قوة من المسلمين تقدر بمائتي رجل بين راكب وراجل، يريد مقاتلة قريش وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وعندما وصل الرسول ــ عليه السلام ــ الى هناك عقد معاهدة (عدم اعتداء) مع مخشي بن عمرو الضمري، سيد بني ضمرة، وقد نصت المعاهدة على ان لا يغزو الرسول ــ عليه السلام ــ بني ضمرة، ولا يغزوه، ولا يكثروا عليه جمعاً، ولا يعينوا عليه عدواً، وبعد كتابة ذلك بين الطرفين، رجع الرسول ــ عليه السلام ــ الى المدينة المنورة، بعد ان تحقق للمسلمين ما ارادوه من اول غزوة لهم دون حاجة الى قتال.

---

(١) تسمى هذه الغزوة ايضاً بغزوة الابواء، وودان والابواء، هما المكانان اللذان وصلهما الرسول ﷺ في هذه الغزوة.

غزوة بواط

تاريخ الغزوة: شهر ربيع الاول من السنة الثانية للهجرة (٦٢٣ ميلادية).
مكانها: منطقة بواط من ناحية جبل رضوان(١)
اهدافها:

اعتراض قافلة لقريش قادمة من الشام الى مكة مروراً بمنطقة بواط.

وقائع الغزوة:

استعمل الرسول ــ عليه السلام ــ على المدينة، السائب بن عثمان بن مظعون، ثم خرج على رأس قوة من المسلمين، تتكون من مائتي راكب، يريد بواط، لاعتراض القافلة والتي تتكون من الفين وخمسمائة بعير، يقودها امية بن خلف، ويرافقه مائة رجل يقومون بمهام الحراسة، ولكن اميه علم بتحرك المسلمين، من خلال عيونه التي بثها امام القافلة، فاسرع في السير، وحين وصل المسلمون الى بواط كانت القافلة قد تجاوزت المنطقة، وافلتت منهم، فلم يجدوا بداً من العودة الى المدينة، دون ان يحققوا الهدف من خروجهم.

---

(١) معجم البلدان، الجزء ١ صفحة ٥٠٣.

غزوة العشيرة

تاريخ الغزوة: شهر جمادي الاولى من السنة الثانية للهجرة (٦٢٣ ميلادية)
مكانها: منطقة العشيرة، من بطن ينبع بين مكة المكرمة والمدينة المنورة.
اهدافها:
١ ــ اراد الرسول ــ عليه السلام ــ اعتراض قافلة لقريش خارجة من مكة المكرمة تقصد الشام، يقودها ابو سفيان بن حرب.
٢ ــ التفاهم مع القبائل الموجودة في تلك المنطقة من اجل تحييدها.
٣ ــ اظهار قوة المسلمين امام اعدائهم.

وقائع الغزوة.

استعمل الرسول ــ عليه السلام ــ على المدينة، ابا سلمه بن عبد الاسد، ثم خرج على رأس قوة من المسلمين قوامها مائتي رجل، وسلك طريقه على نقب بن دينار، ثم فيفاء الخيار، ثم سلك شعبة يقال لها شعبة عبدالله، ثم نزل بمجتمعة ومجتمع الضبوعة، ثم سلك فرش ملل، حتى لقي الطريق بصحيرات اليمام، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع.
ولكن ابا سفيان استطاع الافلات من المسلمين، عندما غير طريق القافلة بعيداً عن المنطقة، فلما علم الرسول ــ عليه السلام ــ بذلك، بقي في العشيرة جمادى الاولى، وليالي من جمادى الاخرة، واستطاع ان يعقد معاهدة (عدم اعتداء) مع بني مربح وحلفائهم من بني ضمرة، ثم رجع الى المدينة المنورة، دون ان يصادف قتالاً.

غزوة بدر الاولى (١)

تاريخ الغزوة: شهر جمادي الاخرة من السنة الثانية للهجرة (٦٢٣ ميلادية)
مكانها: وادي سفوان.

وقائع الغزوة

قام كرز بن جابر الفهري، وهو على رأس قوة من المشركين، بالاغارة على ابل ومواش تعود الى اهل المدينة المنورة، واستطاع نهب عدد منها، ولما علم الرسول ـــ عليه السلام ـــ بذلك، استعمل على المدينة زيد بن حارثة وخرج في دورية من المسلمين للحاق بكرز بن جابر، ولكنه عندما وصل الى وادي سفوان كان قد فاته كرز، فعاد عليه السلام الى المدينة المنورة.

---

(١) وتسمى ايضاً غزوة سفوان.

معركة بدر الكبرى

قال تعالى ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾(١)
تاريخ المعركة: في السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة (٦٢٤ ميلادية).
مكانها: عند قرية صغيرة قرب المدينة على طريق القوافل بين مكة والشام وفيها بئر ماء مملوكة لرجل اسمه بدر فسميت بأسمه (٢).
اهدافها:
١ ــ من جانب المسلمين
أ ــ بعد ان فقد كثير من المسلمين اموالهم التي تركوها في مكة اثر هجرتهم منها، عمدوا الى اعتراض قوافل قريش في تجارتها مع الشام، واستعادة ما امكن من اموالهم الى جانب ما يحققه ذلك من اظهار لقوة المسلمين وتهديد لمكة في جانب حيوي من اقتصادها، في الوقت الذي بدأت فيه قريش تخطط للقضاء على دولة المسلمين.
ب ــ بعد ان افلت ابو سفيان بالقافلة، وبعد ان تجمعت قريش لقتال المسلمين، تحول هدف الرسول ــ عليه السلام ــ الى تحقيق نصر عسكري حاسم على قريش، لما له من اثر في تدعيم دولة الاسلام. واحباط لما تحيكه قريش ضد المسلمين.
٢ ــ من جانب قريش.
كان هدف قريش ابتداء هو حماية قافلتهم واموالهم، ولكن بعد ان افلتت القافلة، تحركوا بأتجاه قتال المسلمين من اجل ضرب قوة المسلمين، والقضاء على دولتهم الناشئة، قبل ان يستفحل خطرها عليهم.

اعتراض القافلة.
بعد هجرة الرسول ــ عليه السلام ــ واصحابه من مكة المكرمة الى المدينة المنورة، عمل عليه السلام على تنظيم شؤون الدولة، وتنظيم علاقة المسلمين بعضهم ببعض، بالمؤاخاة بين المهاجرين والانصار، وتنظيم علاقة المسلمين مع غيرهم من سكان المدينة المنورة كاليهود، ولما فرغ ــ عليه السلام ــ من ذلك اخذت انظاره تتطلع خارج المدينة، وتحديداً صوب مكة المكرمة للاسباب والاهداف الوارد ذكرها، ولسبب اكثر اهمية يرتبط بعالمية الدعوة الاسلامية، ولأن مكة تشكل عاصمة جزيرة العرب الروحية، فقد عمل المسلمون على الافادة من الموقع

---

(١) سورة آل عمران الاية ١٢٣.
(٢) معجم البلدان الجزء ١ صفحه ٣٥٧.

الاستراتيجي للمدينة المنورة على طريق تجارة قريش مع الشام في اعتراض قوافل قريش، الا انه لم يكن قد وقع قتال بين المسلمين وقريش وبالرغم من بضع محاولات لاعتراض هذه القوافل.

علم المسلمون بمرور قافلة لقريش من مكة الى الشام، تضم حوالي الف بعير، ويحرسها ثلاثون او اربعون رجلاً من قريش، ويقودها ابو سفيان بن حرب، ولم يتمكن المسلمون منها اثناء ذهابها، فقرر الرسول ــ عليه السلام ــ اعتراضها اثناء عودتها من الشام، ليضع يده عليها، ويصادرها للمسلمين.

وما ان سمع الرسول ــ عليه السلام ــ بقدوم القافلة، حتى ندب اصحابه وقال: (هذه عير قريش، فيها اموالهم، فأخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها، فانتدب الناس، فخف بعضهم وثقل بعضهم، وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله ــ ﷺ ــ يلقى حرباً) (١).

وكان ابو سفيان يتحسس الاخبار اثناء عودته الى مكة المكرمة، وذلك لتوقعه ان المسلمين يريدون القافلة، وعلم من احدى القوافل المتجهة الى الشام، ان الرسول ــ عليه السلام ــ قد استنفر اصحابه لاعتراض القافلة، فقام ابو سفيان بارسال رجل الى قريش، يدعى ضمضم بن عمرو الغفاري، والذي تحرك سريعاً ليخبر قريش بالامر، ويستنفرهم لحماية اموالهم.

تحرك الجيوش

١ ــ جيش المسلمين

تحرك الرسول ــ عليه السلام ــ من المدينة المنورة في الثامن من رمضان، على رأس قوة مؤلفة من حوالي ثلاثمئة رجل، يتناوبون ركوب سبعين بعيراً، ويريد طريق بدر، والتي تمر منها قوافل قريش، وتبعد حوالي مئة وستين كيلو متراً عن المدينة.

وما ان اقترب المسلمون من بدر، حتى علم الرسول ــ عليه السلام ــ ان قريشا قد خرجت من مكة بجيش كبير لحماية القافلة، ومقاتلة المسلمين، فقام عليه السلام بجمع اصحابه واستشارهم في الامر، فقام ابو بكر الصديق، فقال واحسن، ثم قام عمر بن الخطاب، فقال واحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: (يا رسول الله، إمض لما اراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى ﴿اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون﴾(٢) ولكن اذهب انت وربك فقاتلا، انا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق، لو سرت بنا الى برك الغماد(٣) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له به)(٤).

---

(١) السيرة النبوية لابن هيشام مجلد ١، صفحة ٦٠٧، الكامل في التاريخ لابن الاثير الجزء ٢، صفحة ١١٦

(٢) صورة المائدة، الاية ٢٤.

(٣) برك الغماد: موضع بناحية اليمن، وقيل انها الحبشة.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام، مجلد ١، صفحة ٦١٥.

ثم قال الرسول ــ عليه السلام ــ اشيروا علي ايها الناس، واراد بذلك الانصار، لانهم عدد الناس، ولانهم حين بايعوه بالعقبة قبل الهجرة «قالوا: يارسول الله: انا برآء من ذمامك حتى تصل ديارنا فاذا وصلت الينا، فانت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا»، فكان ــ عليه السلام ــ يتخوف الا تكون الانصار ترى عليها نصره الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وان ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من بلادهم، وعندما سمع سعد بن معاذ قول الرسول ــ عليه السلام ــ قال: (والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال اجل، قال: فقد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق، واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فأمض يارسول الله لما اردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر، فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره ان تلقى بنا عدونا غداً، انا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فسر رسول الله ــ ﷺ ــ بقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال: سيروا وابشروا، فان الله تعالى قد وعدني احد الطائفتين، والله لكاني الآن انظر الى مصارع القوم) (١).

وتحرك المسلمون الى بدر، وعندما وصلوا هناك رابطوا على اقرب بئر ماء من عدوهم (انظر الخارطة رقم ١) حتى يضمنوا لأنفسهم السقاية، ويحرموا عدوهم منها، كما سلمت الرايات، فأعطيت راية المهاجرين الى مصعب بن عمير وراية الخزرج الى حباب بن المنذر.

٢ ــ جيش المشركين (قريش).

ما ان وصل رسول ابي سفيان الى مكة واخبر قريشاً بأمر كمين المسلمين لقافلتهم، حتى قام المشركون بالاستعداد للخروج الى بدر، وخرجوا بجيش يقدر عدده بتسعمئة وخمسين رجلاً، سبعمئة وخمسون من راكبي الابل، ومئتان من الفرسان ويضم اشراف قريش مثل ابي جهل بن هشام، وامية بن خلف وعتبه بن ربيعة وغيرهم.

وكان ابو سفيان قد غير طريق القافلة بعيدا عن المسلمين حيث اتجه مسرعاً نحو الساحل، ونجى بذلك بالقافلة، فارسل الى قادة جيش قريش يحثهم على العودة الى مكة بعد زوال خطر المسلمين عن القافلة، فأشار عدد كبير من قادة قريش وجنودها بالعودة الا ان المؤيدين لقتال المسلمين تغلبوا على المترددين بفضل ما أبداه ابو جهل من حماس واصرار على الوصول الى بدر، لأظهار هيبة قريش في الجزيرة العربية، ومقاتلة المسلمين ان وجدوهم هناك وتحرك جيش قريش الى بدر بين متردد ومتقدم، الا بني زهرة اخوال الرسول ــ عليه السلام ــ الذين آثروا العودة الى مكة بعد نجاة القافلة.

سير القتال.

اقبلت قريش على بدر، ونزلوا بالعدوة القصوى من الوادي، وعندما رآهم الرسول ــ عليه

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، صفحة ٦١٥.

السلام ــ رفع يديه الى السماء، واخذ يدعو ربه قائلاً «اللهم هذه قريش اقبلت بخيلائها وفخرها، تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم احنهم الغداه».

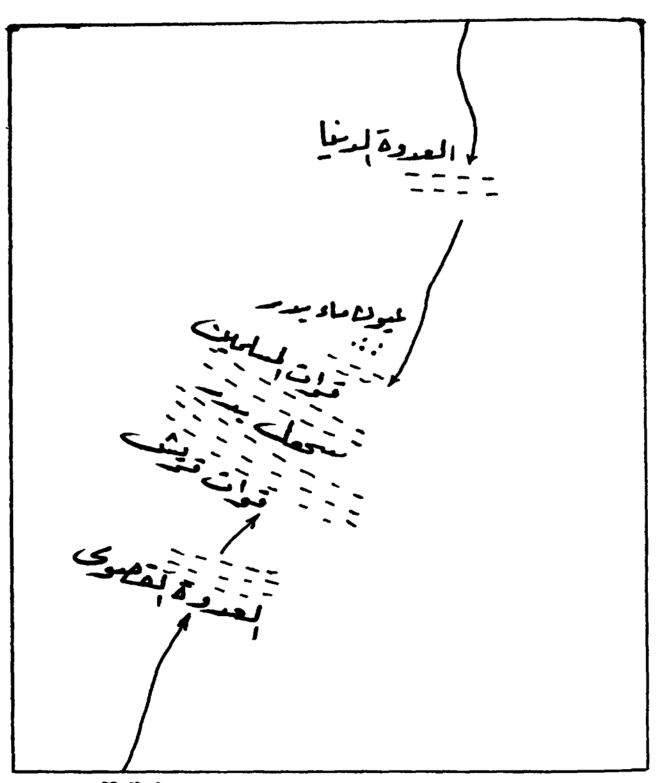
جزت عدة محاولات من بعض قادة قريش لتجنب قتال المسلمين، قبل بدء القتال بين الطرفين بقليل، الا ان هذه المحاولات قد باءت بالفشل امام عجرفة ابي جهل، والذي كان يتهم من يحاول اثناءهم عن القتال بالجبن والخوف من المسلمين، مما اشعل الحماس في صفوف قريش فأجمعوا رأيهم على قتال المسلمين، وبدأوا بتنظيم صفوفهم والاستعداد للقتال، واثناء ذلك كان الرسول ــ عليه السلام ــ يتفقد صفوف المسلمين موصيا اصحابه بعدم بدء القتال الا بأمر منه.

بدأ القتال بين الطرفين بالمبارزة، حيث خرج من صفوف المشركين ثلاثة رجال من افضل ابطالهم، وهم عتبة بن ربيعة وابنه الوليد واخوه شيبة بن ربيعة، وعند وصولهم الى المنطقة الفاصلة بن الطرفين، خرج لهم ثلاثة رجال من الانصار وهم عوف ومسعود ابناء الحارث وعبدالله بن رواحة ولكن المشركين رفضوا مبارزتهم بحجة انهم يريدون ان تكون المبارزة مع ابناء عمومتهم من المهاجرين، فارسل لهم الرسول ــ ﷺ ــ عبيده بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن ابي طالب، رضي الله عنهم، فتبارز عبيدة مع عتبة، وحمزة مع شيبة، وعلي مع الوليد، فقتل حمزة شيبة، وقتل علي الوليد، واختلف عبيدة وعتبة بينهم ضربتين كلاهما قد اثبت صاحبه، فتدخل حمزة وعلي وقتلا عتبة، ثم حملا صاحبهما عبيدة الى صفوف المسلمين والذي سرعان ما فارق الحياة.

كانت نتيجة المبارزة ذات وقع سيء على المشركين، فأخذوا بالاندفاع صوب صفوف المسلمين، والذين امرهم الرسول ــ عليه السلام ــ بالبقاء في اماكنهم، وبأن يصوبوا سهامهم على المشركين عندما يقتربوا منهم.

حافظ المسلمون على صفوفهم متراصة ومتماسكة، وهم يوقعون في صفوف اعدائهم خسائر كبيرة نتيجة الهجمات المتكررة التي قام بها المشركون، والتي كانت تفشل في تحقيق اي نتائج امام كثافة سهام المسلمين.

وعندما خفت هجمات المشركين امر الرسول ــ عليه السلام ــ اصحابه بشن الهجوم على اعداءهم، في صفوف متراصة ومتماسكة ونزل عليه السلام من مقر قيادته ليشاركم بنفسه في المعركة واخذ يبث الحماس في صفوف المسلمين وهو يقول «سيهزم الجمع ويولون الدبر، بل الساعة موعدهم، والساعة ادهى وأمر» وبعد قتال عنيف، حافظ المسلمون على تماسكهم وقوتهم، بدأت الفوضى تعم صفوف المشركين مما سهل على المسلمين مهمتهم، فأخذ المشركون يفرون من ارض المعركة، والمسلمون يلاحقونهم، يقتلون منهم، ويأسرون اعداداً كبيرة، وقد حاول بعض المشركين وعلى رأسهم ابو جهل، منع هزيمة قريش فصمدوا لكن صمودهم ما لبث ان تلاشي امام ضربات المسلمين، والتي ادت الى قتل ابي جهل، مما جعل الباقين يفرون من حوله طلباً للنجاة بأنفسهم.



معركة بدر الكبرى خارطة رقم "١"

بدأ القتال صباح يوم الجمعة، وانتهى في مساء ذلك اليوم، وبذلك حسمت المعركة لصالح المسلمين على قلة عددهم وعدتهم مقارنة بقريش التي لم تنفعها كثرة عددها وعتادها، امام العقيدة الراسخة، وامام القدرة القيادية التي ابداها الرسول ــ عليه السلام ــ بالاخذ بالاسباب المادية بالنصر فالرسول ــ عليه السلام ــ مع يقينه بالنصر، الا انه لم يغفل النشاط الاستخباري وكذلك الروح المعنوية في هذه المعركة، اضافة الى استخدام اسلوب قتال لم تألفه العرب من قبل وهو اسلوب الصف، حيث كانت قريش تقاتل بما اعتادت عليه من كر وفر، كل ذلك ساهم في تحقيق نصر للمسلمين في معركة كانت خسارتها ربما تعني نهاية دولة المسلمين.

عاد من تبقى من المشركين الى مكة ليستقبلهم اهلها بالنواح والبكاء، بعد ان خسروا في بدر سبعين قتيلاً وسبعين اسيراً، وكان اكثر قتلاهم من اشراف اهل مكة امثال ابي جهل ابن هشام، وعتبة بن ربيعة، وامية بن خلف، فيما استشهد من المسلمين في بدر اربعة عشر رجلاً، قام المسلمون بدفنهم ثم غادروا بدراً بعد ثلاثة ايام من المعركة وهم يهللون ويكبرون على النصر العظيم الذي حققوه على اعدائهم المشركين في اول معركة حاسمة في تاريخ المسلمين.
امر الرسول ــ عليه السلام ــ اصحابه بحسن معاملة الاسرى، مما جعل بعض اصحابه يؤثرون اسراهم على انفسهم ويقدمون لهم طعامهم وشرابهم، وارسلت قريش الى الرسول ــ عليه السلام ــ لتفتدي اسراها فوافقهم الرسول ــ عليه السلام ــ على ذلك.

غزوة بني سليم (١)

تاريخ الغزوة: اوائل شهر شوال من السنة الثانية للهجرة (٦٢٤ ميلادية)
مكانها: على ماء يقال له الكدر، في منطقة بني سليم.
اسبابها:

علم الرسول ــ ﷺ ــ ان بني سليم قد اجتمعوا على ماء الكدر، ويريدون الايقاع بالمسلمين، فخرج الرسول ــ عليه السلام ــ يريدهم.

وقائع الغزوة:

خرج الرسول ــ عليه السلام ــ بنفسه على راس قوة من المسلمين، وسار حتى وصل بني سليم، وقام بمداهمتهم على حين غفلة، مما جعلهم يفرون خوفاً من المسلمين فبقي الرسول ــ عليه السلام ــ هناك ثلاثة ايام، وهو يظهر لعدوه قوته، وعدم الاكتراث به، ثم عاد الى المدينة المنورة دون ان يلق كيداً.

---

(١) وتسمى ايضاً غزوة الكدر.

غزوة بني قينقاع

قال تعالى ﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم اية في فتتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولى الأبصار﴾ (١).

تاريخ الغزوة: منتصف شهر شوال من السنة الثانية للهجرة (٦٢٤ ميلادية)

مكانها: حصن بني قينقاع في طرف المدينة (انظر الخارطة رقم ٢).

اسبابها:

١ ــ بعد النصر الذي تحقق للمسلمين في بدر، بدأ اليهود يستشعرون مدى القوة التي تحققت للمسلمين، واخذ املهم بزوال دولة المسلمين والقضاء علي قوتهم يتلاشى، مما حذى باليهود ان يعملوا على تقويض الدولة الاسلامية من الداخل، بأثارة الشغب، وفي ذلك نقض للمعاهدة المبرمة بينهم وبين المسلمين، عندها ارتأى الرسول ــ عليه السلام ــ ان يعمل على تأديب اليهود، والتخلص من الخطر الذي يمثله وجودهم في المدينة.

٢ ــ السبب المباشر للغزوة هو قدوم امرأه عربية مسلمة الى سوق بني قينقاع، بحلى لها، لتبيعها بالسوق، فعمد الصائغ الى طرف ثوبها، فعقده الى ظهرها، فلما قامت انكشفت عورتها، فاخذ اليهود يضحكون عليها ويسخرون منها، فاخذت المرأة تصرخ، فوثب رجل من المسلمين، كان موجوداً هناك الى الصائغ وقتله، فتجمع اليهود على المسلم وشدوا عليه حتى قتلوه.

وقائع الغزوة:

عندما وجد الرسول ــ ﷺ ــ ان يهود بني قينقاع يزدادون في طغيانهم، قام عليه السلام بجمعهم في السوق وقال لهم (يا معشر اليهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر، قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم، فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم، وعهد الله اليكم، فقالوا يا محمد، لا يغرنك انك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فاصبت فيهم فرصة! والله لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس) (٢) وبذلك اعلن يهود بني قينقاع انهم غير ملتزمين بالمعاهدة المبرمة بينهم وبين الرسول ــ عليه السلام ــ .

ولم يقم الرسول ــ عليه السلام ــ بمحاربتهم على الفور، لعلهم يعيدون حساباتهم، الا انهم استمروا في طغيانهم، واخذوا يتجاهرون بالكفر، الى ان حدث امر المرأة المسلمة في سوق اليهود، فامر الرسول ــ عليه السلام ــ اصحابه بالتحرك لمحاربة بني قنيقاع.

---

(١) سورة ال عمران الايات، ١٢، ١٣.

(٢) تفسير القرطبي، الجزء ٢ صفحة ١٢٦٦.

وتحرك جيش المسلمين، والذي كان تعداده سبعمائة رجل، قاموا بفرض الحصار على بني قينقاع، ولكن اليهود لم يصمدوا امام هذا الحصار سوى خمس عشرة ليلة، نزلوا بعدها عند حكم الرسول ـــ ﷺ ـــ وبدون قيد او شرط.

اراد الرسول ـــ عليه السلام ـــ معاقبة يهود بني قينقاع بقتلهم، الا ان حليفهم عبدالله بن أُبي بن سلول، جاء الى النبي وطلب منه ان يعفو عنهم، وبعد عدة محاولات قام بها عبدالله، قبل الرسول ـــ عليه السلام ـــ شفاعة عبدالله فيهم، على ان يغادر بنو قينقاع المدينة، بعد اخذ سلاحهم وضياعهم للمسلمين، فسار اليهود الى اذرعات في بلاد الشام، واستقروا هناك.


جبل احد
وادي القناة
مسجد الرسول
البقيع
وادي بطحان
بنو قينقاع
بعاث
بنو قريظة
بنو النضير
جبل عسير
خارطة رقم (٢)

غزوة السويق (١)

تاريخ الغزوة: شهر ذي الحجه من السنة الثانية للهجرة (٦٢٤ ميلادية).
مكانها: احد اطراف المدينة المنورة.
سببها:
عندما رأى ابو سفيان بن حرب فلول المشركين منهزمه في معركة بدر، اقسم بأن يغزو محمدا، فخرج ابو سفيان على رأس قوة من المشركين تقدر بمائتي مقاتل، ليوفي بيمينه.
وقام ابو سفيان بن حرب، بالاغارة على احد اطراف المدينة، واحرق بعض النخيل، وقام بقتل رحلين من المسلمين، وعندما علم الرسول ــ عليه السلام ــ بذلك قام بمطاردة ابي سفيان.

وقائع الغزوة
وصل ابو سفيان الى المدينة خفية، بعد ان عسكرت قواته في مكان بعيد عنها، ونزل عند احد سادة يهود بني النضير، وهو «سلام بن مشكم» وبقي ابو سفيان عنده الى اخر الليل، عندها عاد الى قواته، وامر مفرزة صغيرة بالاغارة على ناحية بأطراف المدينة، يقال لها «العريض» ليقوموا باعمال تخريب، وبالفعل قامت هذه المفرزة باحراق مجموعة من اشجار النخيل، وقتل رجلين مسلمين كانا يعملان هناك، ثم انسحبت الى معسكرها.
وعندما علم الرسول ــ عليه السلام ــ بهذه الغارة، تحرك على رأس قوة من المسلمين لمطاردة ابي سفيان، الا ان ابا سفيان استطاع الهرب، اذ كان هو وكل قواته من الفرسان، والذين فروا مسرعين، بعد ان القوا بجل حمولة خيولهم، للتخفيف عنها، لتسهيل فرارهم، وعندما وصل الرسول ــ عليه السلام ــ الى منطقة الكدر، وقد فاته اعداؤه، عاد من هناك الى المدينة وبدون حرب.

---

(١) سميت هذه الغزوة بهذا الاسم لن اكثر ما ترك المشركون ورائهم هو السويق، والسويق هو الحنطة او الشعير، وقد تم طحنه.

غزوة ذي امر

قال تعالى ﴿يا ايها الذين أمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم﴾ (١).

تاريخ الغزوة: شهر محرم من السنة الثالثة للهجرة (٦٢٤ ميلادية).
مكانها: منطقة نجد عند ماء ذي امر.
وقائع الغزوة:

بلغ الرسول ـــ عليه السلام ـــ ان جمعاً من غطفان من بني ثعلبة بن محارب، قد تجمعوا بذي امر، يريدون غزو المدينة ومقاتلة المسلمين، فخرج الرسول ـــ ﷺ ـــ على رأس اربعمائة وخمسين رجلاً يريد مباغتة اعداءه، الا انهم علموا بقدومه قبل وصوله، فتفرقوا في الجبال، وعندما وصل الرسول ـــ عليه السلام ـــ الى ذي امر، ولم يجد اعداءه فيها، مكث فيها الى نهاية شهر صفر، وذلك ليشعر القبائل العربية بقوة المسلمين، ويرهب من تحدثه نفسه بغزو المدينة والوقوف في وجه المسلمين، ثم عاد ـــ عليه السلام ـــ الى المدينة المنورة دون ان يلق حرباً.

(١) سورة المائدة الايه ١١

غزوة بحران

تاريخ الغزوة: اواخر شهر ربيع الاول من السنة الثالثة للهجرة (٦٢٤ ميلادية).
مكانها: بحران من ناحية الفرع.
وقائع الغزوة:

علم الرسول — عليه السلام — ان بني سليم يقومون بحشد قوات كبيرة من قبائل تلك المنطقة، لغزو المدينة، فتحرك الرسول — عليه السلام — في قوة من المسلمين تقدر بثلاثمائة مقاتل، يريد مباغتة بني سليم، ليقاتلهم قبل خروجهم اليه، ولكن بني سليم علموا بقدوم الرسول — عليه السلام — نحوهم، فخافوا لقاءه، مما دفعهم للتفرق في الجبال، وبقي الرسول — عليه السلام — في ديار بني سليم حوالي الشهرين، ثم رجع الى المدينة دون ان يلقى حرباً.

معركة احد

قال تعالى ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مسَّ القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين﴾ (١).

تاريخ المعركة: يوم السبت منتصف شهر شوال للسنة الثالثة للهجرة (اوائل تشرين ثاني سنة ٦٢٥ ميلادية).

مكانها: سفح جبل احد شمال المدينة المنورة (انظر خارطة رقم ٣).

اهدافها:

١ — من جانب المشركين

ارادت قريش ان تثأر لمكانتها وهيبتها بين قبائل العرب، والتي اهدرت في معركة بدر الكبرى وذلك بتوجيه ضربة تزعزع قوة المسلمين ودولتهم.

٢ — من جانب المسلمين.

خرج المسلمون الى احد لمواجهة زحف قريش من اجل حماية المدينة، وضرب قريش، لأضعافها، وتعزيز نصر المسلمين الذي تحقق لهم في بدر.

الموقف قبل المعركة

كانت معركة بدر بالنسبة لقريش ضربة قاصمة، افقدتها هيبتها امام القبائل العربية، واودت بحياة الكثير من اشراف مكة ورجالها، لذلك فقد عملت قريش كل ما في وسعها، لرد اعتبارها، واخذت تخطط لحرب الرسول — عليه الصلاة والسلام — منذ اليوم الاول لهزيمتها في بدر.

واول اجراء عملي قامت به قريش استعداداً لحرب المسلمين كان اجتماع زعمائها في (دار الندوة) للتشاور في الامر، ونتج عن الاجتماع، رصد اموال ضخمة لتمويل عمل عسكري ضد المسلمين في المدينة، تؤخذ من مال القافلة التي نجت قبيل معركة بدر، والتي من اجلها حدثت المعركة، وتم في الاجتماع اختيار ابو سفيان بن حرب قائد لجيش قريش اثناء توجهه الى المدينة المنورة.

---

(١) سورة أل عمران الايات ١٣٩ ، ١٤٠

وحشدت قريش كل ما امكنها من قوة، ثم (خرجت بجدها واحابيشها ومن تبعها من بني كنانة واهل تهامة)(١) وبلغ تعداد جيشها، حوالي ثلاثة الاف مقاتل، واصطحبت النساء في الجيش، كي يكون ذلك حافزاً للرجال على القتال وحائلاً دون فرارهم.

وما ان تحرك جيش قريش، حتى قام العباس عم النبي، بارسال رجل من اتباعه الاوفياء الى المدينة، ليبلغ الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ بهذا الامر، كي يحتاط المسلمون قبل وصول جيش قريش اليهم و لم يكن العباس قد انخرط في صفوف المسلمين، الا ان حبه لأبن اخيه، واخلاصه له، دفعاه الى ذلك، واسرع رسول العباس في مسيره نحو المدينة، ووصل هناك في وقت قصير وقبل وصول جيش قريش بعدة ايام، والتقى بالرسول ــ عليه السلام ــ في قباء، وعندما اخبره بالامر، تحرك الرسول ــ عليه السلام ــ من قباء الى المدينة، واخذ هناك يتشاور مع اهل الرأي والمشورة من المسلمين، حول المكان الذي يجب ان يلاقي فيه المسلمون اعداءهم.

كانت رغبة الرسول ــ عليه السلام ــ ان يبقى المسلمون في المدينة، ويقاتلوا قريشاً فيها، للاستفادة من كل طاقات المسلمين من رجال ونساء، ولكن كان الكثيرون من شباب المسلمين متحمسين لقتال قريش خارج المدينة، وانحاز لهم عدد كبير ممن لم يشهدوا معركة بدر، رغبة منهم في ان يصيبهم ما اصاب اهل بدر من الاجر والثواب، وعندما وجد الرسول ــ عليه السلام ــ هذه الرغبة عند اغلب المسلمين، امر اصحابه بالاستعداد لملاقاة اعداءهم في احد، ودخل هو الى منزله، ثم خرج الى المسلمين بكامل عدة الحرب، واذن فيهم بالخروج لملاقاة العدو.

شعر الذين اشاروا على الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ بالخروج من المدينة بالندم، وطلبوا منه عدم الخروج، حتى لايكون خروجه اكراهاً، فرد عليهم الرسول ــ عليه السلام ــ قائلاً «ما ينبغي لنبي ان يضع اداته(٢) بعد ما لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه»(٣).

خرج الرسول ــ ﷺ ــ بألف رجل، ورجع عنه عبدالله بن أُبي بن سلول ــ وهو راس النفاق في المدينة ــ بثلاثمائة رجل من المنافقين وضعيفي النفوس، بحجة ان النبي لم يأخذ برأيهم بالبقاء في المدينة، وانما اخذ برأي الولدان في محاربة الاعداء في احد و لم يكن هذا هو السبب في رجوع المنافقين من جيش المسلمين، وانما كانوا يهدفون الى احداث الاضطراب والبلبة في جيش المسلمين، قبل لقاء عدوهم، وكاد المنافقون ان ينجحوا في ذلك، لولا تماسك المسلمين ووحدتهم والتفافهم حول قيادتهم.

---

(١) البداية والنهاية، الجزء ٤ صفحة ١١

(٢) الاداة : عدة الحرب.

(٣) البداية والنهاية، الجزء ٤ صفحة ٦٢.

وصل الرسول ــ عليه السلام ــ الى احد بسعمائة مقاتل ليقاتل بهم جيش المشركين، وقا هناك بتنظيم المسلمين واعدادهم للقتال، واضعاً جبل احد خلف المسلمين، ليكون المشركون بينهم وبين المدينة المنورة (انظر الخارطة رقم ٣).

ولضمان حماية جيش المسلمين من التفاف المشركين من خلفه، قام الرسول ــ عليه السلام ــ بوضع خمسين رجلاً من اشهر الرماة على سفح جبل احد، تحت قيادة عبدالله بن جبير، واعطاهم ــ عليه السلام ــ اوامر صارمة بعدم ترك اماكنهم، سواء انهزم المسلمون ام انتصروا، وقال لهم «ان رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم، حتى ارسل اليكم، وان رأيتمونا ظهرنا على القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا مكانكم، حتى ارسل اليكم، وان رايتمونا غنمنا، فلا تشركونا، وان رايتمونا نقتتل، فلا تغيثونا ولا تدافعوا عنا»(١).

بعد ان أطمأن الرسول ــ عليه السلام ــ على وضع الرماة، عاد الى جيشه، واستمر في تنظيمه، وبث روح القتال في نفوس المسلمين، ودفع اللواء الى مصعب بن عمير، وأصدر اوامره الى جنوده بأن لا يقاتل أحد منهم الا بأمره.

واصل المشركون تقدمهم نحو المدينة المنورة، وكلهم يريد الثأر من المسلمين لمعركة بدر، واستمروا في تحريض بعضهم بعضا على قتال المسلمين، والنيل منهم (حتى نزلوا بعينين ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي، مقابل المدينة.)(٢). وهو مكان منخفض بالنسبة لجيش المسلمين.

قام المشركون بتنظيم انفسهم للقتال، فكان ابو سفيان بن حرب قائد للجيش، وحمل اللواء طلحة بن أبي طلحة وهو من بني عبدالدار، وأعطيت قيادة الميمنة لخالد بن الوليد، وقيادة الميسرة لعكرمة بن ابي جهل، وقيادة المشاة لصفوان بن امية، وقيادة الرماة لعبدالله بن ابي ربيعة.

سير المعركة

ما ان تجهز الطرفان للقتال، حتى خرج من صفوف المشركين طلحة بن أبي طلحة، يريد المبارزة، فخرج له علي بن أبي طالب وقتله، فتبعه أخوه عثمان بن أبي طلحة فصرعه حمزة بن عبد المطلب، فخرج أخوهما سعد، فقتله علي بن أبي طالب، فتقدم أخوهم الرابع مسافع، فقتله عاصم بن ثابت.

---

(١) السيرة الحلبية، الجزء ٢، صفحة ١٨.

(٢) البداية والنهاية، الجزء ٤، صفحة ١١.

اندفع المشركون الى القتال، ومن وراءهم نساؤهم يشجعنهم ويحثثنهم على القتال، ودارت معركة ضارية، اضهر المسلمون في بدايتها بطولات عظيمة، واستطاعوا أن يردوا المشركين، وان يزحزحوهم عن أماكنهم، وحاول خالد بن الوليد القيام بعملية التفاف على صفوف المسلمين، الا أنه لم ينجح في ذلك، بفضل صمود الرماة في أماكنهم، واستبسالهم في القتال.

ولم يصمد المشركون كثيراً امام ضربات المسلمين، وأخذوا يفرون من أرض المعركة، واستطاع بعض المسلمين ان يتوغلوا في صفوف المشركين، وان يصلوا الى الخطوط الخلفية لعدوهم، مما دفع نساء المشركين واللواتي كن يضربن الطبول تشجيعاً لرجالهن، الى ترك الطبول والهرب الى الجبل.

وهنا ايقن المشركون انهم سيخسرون المعركة، وتوقع المسلمون ان النصر صار حليفهم، أخذوا يجمعون الغنائم، ويطاردون عدوهم، وعندما شاهد الرماة ذلك توقعوا هم ايضاً، ان المعركة قد انتهت، وان النصر قد تحقق، ورأى أكثرهم أنه لم يعد ما يوجب وجودهم على الجبل، فنزلوا الى ارض المعركة، لجمع الغنائم، الا عشرة منهم لم ينزلوا، وفيهم قائدهم عبدالله بن جبير، والذي أصر على عدم النزول حتى يأمرهم الرسول — عليه السلام — بذلك.

كان خالد بن الوليد قد عجز في كل محاولاته السابقة في القيام بعملية التفاف على المسلمين، حيث كان الرماة يردونه في كل مرة، الا انه عندما شاهد الرماة وقد نزل أكثرهم من الجبل، امر فرسانه بالقيام بهجوم عنيف على مؤخرة جيش المسلمين، وبالفعل تقدم فرسان المشركين نحو من بقي من الرماة على الجبل، واشتبكوا معهم، حتى استشهدوا جميعاً بعد ان قاتلوا قتال الابطال، وفي مقدمتهم قائدهم عبدالله بن جبير.

انقض خالد بن الوليد على مؤخرة جيش المسلمين، واخذ فرسانه يصيحون على المشركين ليعودوا الى القتال، وهنا وقع المسلمون بين جيش المشركين من الامام، وفرسانه من الخلف، واخذ المشركون ينظمون صفوفهم، ويلتفون حول لواءهم الذي رفعوه، بعد ان كان مطروحاً على الارض، في الوقت الذي وجد المسلمون فيه انفسهم وقد طوقهم المشركون من كل جانب، ففقدوا تنظيمهم، وتضعضعت صفوفهم، وعمتهم الفوضى والارتباك، فأخذوا يلقون ما بأيديهم من غنائم، واصبح همهم الخروج من هذا المأزق الذي وقعوا فيه.

حاول المسلمون انقاذ الموقف بالعودة الى مركز القيادة، حيث كان الرسول — عليه السلام — موجوداً، والذي لم يبقى حوله الا القليل من الرجال، الا انهم فشلوا في كل محاولاتهم، وقتل عدد كبير منهم، وهم يحاولون شق طريقهم للوصول الى الرسول عليه السلام.

ومما زاد الوضع سوءاً، هو ما اشيع من ان الرسول — عليه الصلاة والسلام — قد قتل، حيث ان عمرو بن قميئة، قتل مصعب بن عمير، فظن انه قتل الرسول — عليه والسلام — واخذ ينادي بذلك، فازداد الذعر والارتباك في صفوف المسلمين المحاصر اكثرهم من اعداءهم، الا ان ذلك لم يحل دون استمرار المسلمين في قتالهم الضاري، للوصل الى الرسول — عليه السلام — بعد ان تيقنوا من سلامته، وهم يسمعونه ينادي من مركز قيادته «هلم الي، انا رسول الله».

اوقف المشركون هجومهم على المسلمين، بعد ان غمرهم الفرح اثر سماعهم بمقتل الرسول، فاستغل عليه السلام ذلك وانسحب مع اصحابه الى هضبة مرتفعة في جبل احد، وعندما ايقن بعض المشركين ان الرسول ــ عليه السلام ــ حي لم يقتل، قاموا بمهاجمة المسلمين، فقاتلهم الرسول ــ عليه السلام ــ واصحابه، بشجاعة منقطعة النظير، مستخدمين النبال في صد اعداءهم، حتى استطاعوا ردهم من حيث اتوا، واصيب الرسول ــ عليه السلام ــ باهجوم بجروح في وجهه، وكسرت رباعيته اليمنى السفلى.

قام المسلمون بعد ان تجمع عدد كبير منهم، بالارتداد الى مواقع اكثر حصانة في جبل احد، وكف المشركون عن محاولات الهجوم، ظناً منهم ان المسلمون قد هزموا هزيمة ساحقة، فآثر اكثرهم العافية، وانشغل المسلمون في مداواة جراح الرسول ــ عليه السلام ــ وجراحهم.

كانت اخر هجمة للمشركين للقضاء على الرسول ــ عليه السلام ــ واصحابه، تلك الهجمة التي قاد فيها خالد بن الوليد كتيبة من الفرسان، واراد فيها ان يعلو في جبل احد، ليطوق الشعب الذي ارتد اليه الرسول ــ عليه السلام ــ واصحابه، فقال الرسول ــ عليه السلام ــ لاصحابه «لا ينبغي لاحد ان يعلونا فشدوا عليهم»، فقام عمر بن الخطاب وجماعة من المسلمين، بقتال فرسان خالد بن الوليد، حتى اهبطوهم من الجبل.

بعد ان يئس قادة قريش من قتال المسلمين، قرر ابو سفيان بن حرب، ايقاف الاعمال الحربية، فاعطى اوامره الى المشركين بالاستعداد للرحيل الى مكة، في الوقت الذي كان يقوم فيه كثير من المشركين بالتمثيل بشهداء المسلمين، وقد كان اكثرهم تعرضاً لوحشية التمثيل والتشويه هو حمزة بن عبد المطلب، عم الرسول ــ عليه السلام ــ بعد ان قتله وحشي مولى جبير بن مطعم بن عدي بحربته غدراً، وذلك ارضاءاً لهند بنت عتبة زوجة ابي سفيان بن حرب، وكانت وعدته خيراً كثيراً ان هو قتل حمزة، انتقاماً لمقتل أبيها على يد حمزة في معركة بدر، فقامت هند بشق بطن حمزة، واخرجت كبده، وحاولت اكله.

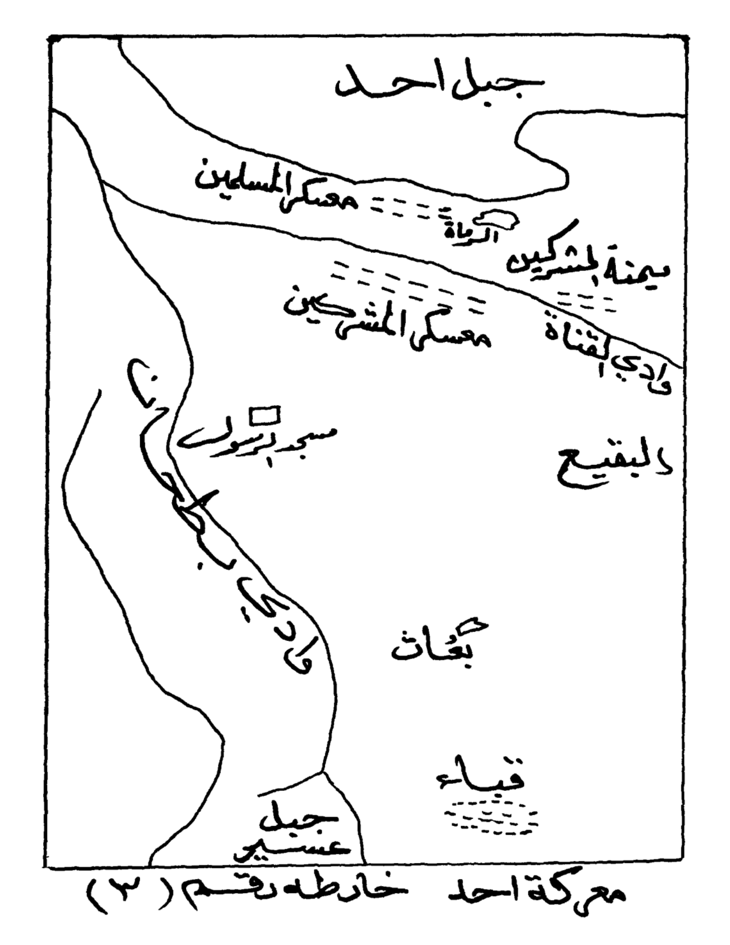
قبل انطلاق المشركين الى مكة، قام ابو سفيان بالصعود الى مرتفع قريب من المسلمين، وأخذ يصرخ بأعلى صوته قائلاً : (انعمت فعال، وان الحرب سجال، يوم بيوم، اعل هبل ــ اي اظهر دينك) (١) فقال الرسول ــ عليه السلام ــ .(قم يا عمر فأجبه فقل : الله اعلى واجل، لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار) (٢).

وطلب ابو سفيان من عمر عندما سمع صوته وهو يرد عليه، ان يقترب منه، فأذن له الرسول ــ عليه السلام ــ بذلك، فقال له ابو سفيان: (انشدك الله يا عمر اقتلنا محمداً؟ قال عمر :

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، مجلد ٢ صفحة ٩٣

(٢) المصدر السابق.



معركة احد خارطة رقم (٣)

اللهم لا، وانه ليسمع كلامك الان، قال : انت اصدق عندي من ابن قمئة؟ ثم نادى ابو سفيان ــ بأعلى صوته ــ انه قد كان في قتلاكم مثل، والله مارضيت، وما سخطت، وما نهيت، وما أمرت، ثم نادى : ان موعدكم بدر العام المقبل، فقال الرسول ــ عليه السلام ــ لعمر قل نعم، هو بيننا وبينكم موعد).

وانطلق المشركون الى مكة، فأرسل الرسول ــ عليه السلام ــ علي بن ابي طالب في أثارهم، وقال له : (انظر فان جنبوا الخيل، وامتطوا الابل، فانهم يريدون مكة، وان ركبوا الخيل، فانهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لان ارادوها لأناجزنهم) وأمره بأن يكتم الخبر، وشاهد علي بن ابي طالب المشركين وقد امتطوا الابل، وجنبوا الخيل، فعاد الى الرسول ــ عليه السلام ــ وأخذ يصيح من الفرح، ولا يستطيع الكتمان، وهو يقول: لقد ذهبوا الى مكة.

امر الرسول ــ عليه السلام ــ اصحابه بدفن شهداء المسلمين في ميدان المعركة بدمائهم، ودون ان يغسلوا، أو يصلي عليهم، ولما فرغ المسلمون من ذلك، عادوا الى المدينة، فوصلوها مساء يوم المعركة، وباتوا ليلتهم، وهم يحرصونها خوفاً من هجوم ليلي مباغت يقوم به ابوسفيان.

وهكذا أنتهت معركة احد، والتي قتل فيها من المسلمين بضع وسبعون رجلاً، فيما قتل من المشركين اثنان وعشرون رجلاً، بينهم أبي بن خلف، والوليد بن العاص.

اعطى القرآن الكريم صورة دقيقة لمعركة احد، ونجد ذلك في سورة آل عمران، حيث وصف القرآن الكريم فيها ما حدث للمسلمين نتيجة عدم تنفيذهم أوامر الرسول ﷺ ــ بحذافيرها، مما سبب خسارة المسلمين للمعركة.

غزوة حمراء الاسد

قال تعالى ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ (١).

تاريخ الغزوة: السادس عشر من شوال من السنة الثالثة للهجرة (٦٢٥ ميلادية).
مكانها : حمراء الاسد، على بعد ثمانية اميال من المدينة المنورة، على طريق مكة.
اهدافها :

١ ــ تعتبر غزوة حمراء الاسد جزءاً من معركة احد، والتي اراد عليه السلام منها قطع الطريق على جيش قريش، لمنعه من العودة الى المدينة المنورة، وارغامه على مواصلة مسيره الى مكة المكرمة، وفي اذهان اهل قريش، ان المسلمين لم يضعفوا، وانما هم اقوياء بالرغم مما اصابهم في معركة احد.

٢ ــ اراد الرسول ــ عليه السلام ــ ان يثبت لليهود والمنافقين في المدينة المنورة، متانة وقوة المسلمين، بعد ان اخذ المنافقون واليهود يحدثون انفسهم بالتمرد على المسلمين، ظناً منهم ان المسلمين قد ضعفوا ولم يعودوا في وضع يساعدهم في الدفاع عن انفسهم، الا انهم عندما شاهدوا المسلمين وقد تحركوا من المدينة لملاحقة جيش قريش، دب الرعب في نفوسهم، وكفوا عن التخطيط للقيام باي تمرد على المسلمين.

وقائع الغزوة :

في فجر يوم الأحد، اليوم التالي لمعركة أحد، قام الرسول ــ عليه السلام ــ بمناورة عسكرية جريئة ومفاجئة، اذ امر بلال ان ينادي بالمسلمين، ان الرسول ــ عليه السلام ــ يأمركم بطلب عدوكم، ولا يخرج معنا الا من شهد القتال في أحد.

وتجمع المسلمون وهم يحملون اسلحتهم عند الرسول عليه السلام، وتحركوا من المدينة فجر ذلك اليوم، ليطاردوا جيش قريش الذي انتصر عليهم في الامس، في معركة احد، واستولت الدهشة على اليهود والمنافقين وهم يرون المسلمين يتغلبون على جراحهم، ويسيرون خلف قائدهم الرسول ــ عليه السلام ــ وكلهم عزم وتصميم وايمان، وكأن هزيمتهم في أحد، لم تؤثر في معنوياتهم.

---

(١) سورة آل عمران، الايات ١٧٢، ١٧٣.

امر الرسول ـــ عليه السلام ـــ اصحابه بالاسراع في المسير، فوصلوا الى حمراء الاسد مساء اليوم الذي خرجوا فيه، فارتأى الرسول ـــ عليه السلام ـــ ان يعسكر جيش المسلمين هناك، اذ ان جيش قريش كان قد عسكر في (الروحاء) وهو مكان قريب من حمراء الاسد، وجنوده يجهزون انفسهم للعودة الى المدينة المنورة، للقضاء على المسلمين، بعد ان وجه قادة قريش اللوم الى ابي سفيان، لاحجامه عن مهاجمة المدينة، عندما واتت الفرصة لذلك بعد هزيمة المسلمين في احد.

وبينما قادة قريش يتداولون الرأي في العودة الى المدينة بعد ان اقنعوا ابا سفيان بذلك، اذ بالأخبار تأتي اليهم بخروج جيش المسلمين لمطاردتهم، وعسكرته بحمراء الاسد، مما جعل المشركين في حيرة من امرهم، وقد اصابهم الخوف والذعر، خاصةً بعد ان جاءهم معبد الخزاعي، والذي مر على الرسول ـــ عليه السلام ـــ وقال له: (يا محمد قد عز علينا ما اصابك) ـــ وخزاعة كانت حليفة المسلمين، فانطلق معبد الى المشركين، وعندما سأله ابو سفيان عن المسلمين قال له معبد: (محمد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله، قد جمع معه من تخلف عنه وندموا على ما صنعوا، وما ترحل حتى ترى نواصي الخيل) (١)، وبذلك تمكن معبد من اقناع المشركين بالعودة الى مكة، مكتفين بما حققوا في احد، متخوفين ان تصيبهم هزيمة كبيرة ان هم عادوا الى المسلمين.

قام ابو سفيان وقبل عملية الانسحاب الى مكة، بمناورة بارعة ليوهم جيش المسلمين بأنه عازم على مهاجمته، وابادته في حمراء الاسد، هادفاً بذلك الى اخافة جيش المسلمين، ودفعه الى العودة الى المدينة، قبل ان يغادر هو الروحاء الى مكة، حتى يتسنا له ان يبرر انسحابه الى مكة امام العرب في الجزيرة العربية بعدم الخوف من المسلمين، وانما بخوف المسلمين وعودتهم الى المدينة، ولتحقيق ذلك فقد حمّل ابو سفيان ركباً من بني عبد القيسى، كان متوجهاً الى المدينة، رسالة تهديد الى الرسول ـــ عليه السلام ـــ يقول فيها (ان ابا سفيان قد عقد العزم على مهاجمة المسلمين في حمراء الاسد، واجمع السير الى محمد واصحابه ليستاصل بقيتهم) (٢).

ومر ركب بني عبد القيس بالرسول ـــ عليه السلام ـــ واخبره برسالة ابي سفيان، فقال عليه السلام : حسبنا الله ونعم الوكيل، و لم يحفل بتهديد ابي سفيان، وبقي معسكراً في حمراء

---

(١) الكامل في التاريخ الجزء ٢، صفحة ١٦٤.
(٢) السيرة الحلبية، الجزء ٢، صفحة ٥١.

الاسد يوقد النيران ليلاً طيلة ثلاثة أيام، ليدلل بذلك على عزمه مهاجمة قريش ان هم عادوا اليه.
ولما لم تجد حيلة ابي سفيان نفعاً، و لم يغادر الرسول ـــ عليه السلام ـــ حمراء الاسد الى المدينة، تأكد لقريش عزم المسلمين على القتال، فأثروا الانسحاب الى مكة على الدخول في معركة غير مضمونة النتائج.

وعندما تأكد الرسول ـــ عليه السلام ـــ من انسحاب جيش قريش الى مكة، عاد الى المدينة وقد سجل نصراً سياسياً يخفف على المسلمين آثار هزيمتهم العسكرية في أحد، ويعيد لجيشهم هيبته ومكانته في نفوس العرب، بعدما كاد ان يفقدها في معركة أحد.

غزوة بني النضير

قال تعالى : ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الابصار﴾ (١)

تاريخ الغزوة : شهر ربيع الاول من السنة الرابعة للهجرة (٦٢٥ ميلادية).

مكانها : حصون بني النضير، في منطقة قباء (انظر الخارطة رقم ٢).

سببها :

خرج الرسول — عليه السلام — ومعه جماعة من اصحابه الى بني النضير، يستعين بهم في دية رجلين من بني عامر، سبق وأن اعطاهم الرسول — عليه السلام — عهداً، واللذان قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ، اثناء عودته من بئر معونة، بعد ان قتل المشركون كل اصحابه.

اظهر بنو النضير استعدادهم لمساعدة الرسول — عليه السلام — في هذا الامر، وخلى بعضهم الى بعض، فأخذوا يقولون لبعضهم انه لن يكون هناك أنسب من هذه الفرصة لقتل الرسول — عليه السلام — واقترحوا على بعضهم ان يصعد احدهم الى سطح المنزل الذي يجلس الرسول — عليه السلام — الى جواره، ويقوم بألقاء صخرة عليه، وأنتدبوا لذلك رجلاً يدى عمرو بن جحاش بن كعب، صعد عمرو الى سطح المنزل، وعندما هم بالقاء الصخرة على الرسول — عليه السلام — تفاجأ بقيامه من مكانه، واقفاله عائداً الى المدينة، بعد ان ترك اصحابه في المكان، فلما لحقوا به في المدينة، اخبرهم عليه السلام بأن جبريل جاءه من السماء، وأعلمه بالأمر، وطلب من المسلمين الاستعداد لحرب بني النضير، عقاباً لهم على غدرهم وخيانتهم.

وقائع الغزوة :

اخذ المسلمون يتهيئون لحرب بني النضير، وارسل لهم الرسول — عليه السلام — يأمرهم بالرحيل عن المدينة المنورة، فهموا بقبول ذلك، لولا ان ارسل لهم أهل النفاق وعلى رأسهم

---

(١) سورة الحشر الاية ٢، ونزلت كل سورة الحشر في هذه الغزوة، وهي تتحدث عنها وتشرحها.

عبدالله بن أبي سلول (ان ابقوا في أماكنكم، فان قوتلتم قاتلنا معكم، وان اخرجتم خرجنا معكم)، فتراجع بنو النضير عن قبولهم الخروج من المدينة، وأخذوا يحصنون انفسهم استعدادا لمواجهة المسلمين.

خرج الرسول ــ عليه السلام ــ بجيش المسلمين، وقام بفرض الحصار على بني النضير وعندما أستعصت حصونهم على المسلمين، امر الرسول ــ عليه السلام ــ اصحابه بقطع النخيل، والتخريب فيه، مما جعل بني النضير يوافقون على رغبة المسلمين، بعد ست ليالي من الحصار (وسألوا الرسول ﷺ ــ ان يجليهم، ويكف عن دمائهم، على ان لهم ما حملت الابل من اموالهم الا الحلقة (السلاح) ففعل، فاحتملوا من اموالهم ما أستقلت به الابل، فخرجوا الى خيبر، ومنهم من سار الى الشام) (١).

قام الرسول ــ عليه السلام ــ بتوزيع ما تركه بنو النضير من غنائم على المهاجرين دون الانصار، الا رجلين فقيرين منهم أعطاهم الرسول ــ عليه السلام ــ من الغنائم مع المهاجرين. والذي جعل الرسول ــ عليه السلام ــ يعطي المهاجرين دون الانصار هو حاجتهم الى ذلك، بعدما فقدوا ما يملكون في مكة المكرمة اثر هجرتهم منها.

---

(١) سيرة ابن هشام، المجلد ٢، صفحة ١٩١.

غزوة ذات الرقاع (١)

قال تعالى ﴿يا ايها الذين أمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ همّ قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ (٢).

تاريخ الغزوة : شهر جمادى الاولى من السنة الرابعة للهجرة (٣) (٦٢٥ ميلادية).
مكانها : في نخل، وهي موضع بنجد من ارض غطفان.

وقائع الغزوة :

خرج الرسول ــ عليه السلام ــ في اربعمائة مقاتل، وقيل سبعمائة من المسلمين، يريد بني ثعلبة، وبني محارب من غطفان، وسار ــ عليه السلام ــ حتى نزل (نخل)، وهناك لقي جمعاً عظيماً من غطفان، وتقارب الطرفان، فخاف كل منهما الاخر، وصلى الرسول ــ عليه السلام ــ بالمسلمين صلاة الخوف، ثم عاد عليه السلام الى المدينة دون حرب، وقيل ان الرسول ــ عليه السلام ــ قد باغت اعداءه، فتفرقوا، وغنم الرسول ــ عليه السلام ــ غنائم كثيرة، ثم عاد الى المدينة المنورة، بعد غيابه عنها خمسة عشر يوماً.

---

(١) سميت الغزوة بهذا الاسم، لان المسلمين رفعوا فيها راياتهم، وفي حديث، لانهم كانوا يربطون الخرق على ارجلهم من شدة الحر، وقيل ذات الرقاع: شجرة بالموقع الذي وصله المسلمون وتسمى ذات الرقاع.

(٢) سورة المائدة، الاية (١١).

(٣) ورد في رواية اخرى ان الغزووقعتفي شهر محرم من السنة الخامسة، وقيل انها في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة.

غزوة بدر الاخرة

قال تعالى ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾ (١).

تاريخ الغزوة : شهر شعبان من السنة الرابعة للهجرة (٦٢٥ ميلاديه).
مكانها : عند قرية صغيرة قرب المدينة المنورة، في مكان فيه بئر ماء مملوك لرجل اسمه بدر فسميت بأسمه (٢) وهو نفس المكان الذي وقعت فيه معركة بدر الكبرى.

اهدافها :

جاءت هذه الغزوة بعد عام من معركة احد، والتي نادى بعدها ابو سفيان بن حرب، يوم بيوم، والموعد في العام المقبل بدر، فخرج الرسول ــ عليه السلام ــ ليظهر لقريش وغيرها من قبائل العرب، ان المسلمين لم يهنوا و لم يضعفوا بهزيمتهم في احد، وانهم قادرون على مواجهة عدوهم، في اي وقت وفي اي مكان.

وقائع الغزوة :

خرج الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ من المدينة المنورة الى بدر في الف وخمسمائة مقاتل، وخرج ابوسفيان من مكة المكرمة على رأس جيش قريش المكون من اهل مكة، وسار بهم حتى وصل (الظهران) والتي لا تبعد كثيراً عن مكة، وقيل انه وصل (عسفان)، وهناك نادى ابو سفيان بمن معه (يا معشر قريش، انه لا يصلحكم الا عام خصيب ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن، وان عامكم هذا عام جدب، واني راجع فارجعوا فرجع الناس) (٣).
وصل الرسول ــ عليه السلام ــ الى بدر، وأقام فيها ثمان ليال، ينتظر جيش المشركين، وعندما وجد عليه السلام ان اعداءه لم يحضروا، عاد بالمسلمين الى المدينة المنورة، دون ان يلق حرباً، او يلحق به اذى، وبذلك تحقق للمسلمين الهدف من خروجهم الى بدر.

---

(١) سورة ال عمران، الاية ١٧٤.
(٢) معجم البلدان الجزء ١، صفحه ٣٥٧.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام المجلد ٢، صفحة ٢١.

غزوة دومة الجندل

تاريخ الغزوة : شهر ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة (٦٢٦ ميلادية).
مكانها : منطقة دومة الجندل على الحدود مع الأمبراطورية الرومانية (انظر الخارطة رقم ٤).

اهدافها :

١ ــ علم الرسول ــ عليه السلام ــ ان بدومة الجندل جمعاً كبيراً، يحتشدون استعداداً لغزو المدينة المنورة، فاراد الرسول ــ عليه السلام ــ ان يقوم بضربة استباقيه يوجهها لهم، وذلك بغزوهم في عقر دارهم.

٢ ــ كان الرسول ــ عليه السلام ــ يرى ان غزو دومة الجندل يرهب القيصر، ويجعله يدرك بأن امبراطوريته ليست بمنأى عن المسلمين، وان دولة المسلمين، والدعوة الاسلامية، ليستا مقتصرتين على جزيرة العرب، وفي ذلك تمت الخطوة الاولى في الفتوحات الاسلامية في بلاد الشام، والتي اكتملت في عهد الخلفاء الراشدين.

وقائع الغزوة :

خرج الرسول ــ عليه السلام ــ من المدينة على راس الف مقاتل من المسلمين، واخذ يسير بالليل ويكمن في النهار، حتى يفاجيء اعداءه بوصوله اليهم من جهة، ويتحاشى حر الصيف اللهيب من جهة اخرى.

استخدم عليه السلام دليلاً من بني عذرة، وعندما دنى من اعداءه، قام بمهاجمة ماشيتهم ورعائهم الموجودة في اطراف دومة الجندل، مما جعل اهلها يعرفون بقدوم المسلمين نحوهم، فخرجوا من مدينتهم قبل وصول المسلمين اليها.

مكث الرسول ــ عليه السلام ــ في المدينة عدة ايام، وهو يبث السرايا، وينتظر لعل اهل دومة الجندل يعودون لحربه، الا انهم خافوا على انفسهم، وظلوا بعيدين عن مدينتهم، مما جعل الرسول ــ عليه السلام ــ يعود الى المدينة المنورة، بعد ان حقق الهدف من خروجه.


بحر الروم
(البحر الابيض المتوسط)
القدس
ايلة
دومة الجندل
تبوك
تيماء
المدينة المنورة
مكة
البصرة
الخليج العربي
اليمامة
عمان
الربع الخالي
البحر الاحمر
بحر القلزم
عدن
الحبشة

خارطة رقم (٤)

معركة الخندق (١)

قال تعالى ﴿يا ايها الذين أمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾ (٢).

تاريخ المعركة : شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة (٦٢٧ ميلادية).
مكانها : حول المدينة المنورة (خاصة من شمالها).

اسبابها :
بعد ان طرد الرسول عليه السلام ــ بني النضير من المدينة المنورة، ذهب نفر منهم، ومن بني وائل، الى مكة المكرمة، لتحريض قريش على محاربة المسلمين في المدينة المنورة، بهدف التخلص منهم، والقضاء على دولتهم هناك.
وحيث ان قريشاً قد هزموا في معركة بدر شر هزيمة، ولم يتمكنوا من القضاء على المسلمين في معركة احد، فقد سرهم عرض اليهود، واخذوا يعدون العدة لمعركة حاسمة مع الرسول ــ عليه السلام ــ لعلهم يستطيعون فيها القضاء نهائياً على الدعوة الاسلامية ودولة المسلمين.

دور اليهود في تأليب (٣) الاحزاب :
عمل الرسول ــ عليه السلام ــ ومنذ وصوله مهاجراً الى المدينة المنورة، على توطيد اركان الدولة الاسلامية الفتية هناك، فأخى بين المهاجرين والانصار، وعقد المعاهدات مع اليهود، التي تبين طبيعة العلاقة بين اهل المدينة.
وبالرغم من وجود المعاهدات بين الرسول ــ ﷺ ــ واليهود، الا انهم لم يتقيدوا في تنفيذ اي من بنود هذه المعاهدات، بل انهم اخذوا ومنذ اللحظة الأولى لوصول الرسول ــ عليه السلام ــ الى المدينة، بالعمل على التخلص منه.
ولأن اليهود لم يستطيعوا القيام وحدهم بعمل عسكري ضد المسلمين، فقد لجأوا الى اثارة

---

(١) وتسمى ايضا غزوة الاحزاب.
(٢) سورة الاحزاب، الايات ٩، ١٠، ١١.
(٣) ألب: تجمع وتحشد.

الفتن والقلاقل، لتفريق صفوف المسلمين، وادخالهم في حرب قبلية، ولما لم ينجحوا في ذلك رغم مساندة المنافقين لهم في هذا المجال، فقد لجأوا الى التخطيط لقتل الرسول ــ عليه السلام ــ عندما كان في منازل بني النضير، مما تسبب في طرد افراد هذه القبيله واجلاءهم عن المدينة المنورة، فأزداد حقد اليهود على الرسول ــ عليه السلام ــ وشرعوا يفكرون في رسم خطة محكمة للقضاء نهائياً على المسلمين، وهدم دولتهم في المدينة.

بدأت مخططات اليهود في خيبر، حيث اجتمع زعماؤهم هناك، وتداولوا فيما بينهم الطرق الكفيلة بالقضاء على المسلمين، فخرجوا بوضع خطة لغزو شامل ضد المسلمين، يشترك فيه اكبر عدد ممكن من القبائل العربية، من نجد وكنانة وقريش، ويتولى اليهود الدعوة لهذا الغزو، وتنظيمه، وتحمل جانب كبير من نفقاته المالية.

شكل اليهود وفداً من زعمائهم البارزين، للقيام بمهمة الاتصال مع القبائل العربية، وكان من بين اعضاء هذا الوفد :

١ ــ حيي بن اخطب من بني النضير، وهو رئيساً للوفد.
٢ ــ سلام بن مشكم من بني النضير.
٣ ــ كنانة بن ابي الحقيق من بني النضير.
٤ ــ هوذة بن قيس من بني وائل.
٥ ــ ابو عامر من بني وائل.

ونظراً للعداوة المميزة بين قريش والرسول ــ عليه السلام ــ فقد قام الوفد اليهودي بزيارة مكة المكرمة قبل زيارتهم للقبائل المحيطة بخيبر، وتحرك الوفد الى مكة في شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة (شهر كانون ثاني ٦٢٧ ميلادية) وقاموا هناك بالاتصال مع زعماء قريش وقادتها، وعرضوا عليهم مخططهم لمهاجمة المدينة بحشد عسكري، يشتمل على القبائل العربية الكبيرة.

ولدى اطلاع زعماء مكة على مخطط اليهود، سروا به سروراً كبيراً، وابدوا موافقتهم ودعمهم الكامل للسير فيه وتنفيذه بكامله، وشكروا اليهود على قيامهم بهذه المهمة التي تحقق اهدافهم في القضاء على الرسول ــ عليه السلام ــ بعد ان عجزوا عن القيام بذلك وحدهم.

بعد ان ضمن وفد اليهود موافقة قريش على مخططهم لغزو المدينة، توجهوا من مكة مباشرة الى ديار غطفان بنجد، وقاموا هناك بالاتصال بزعماء تلك القبائل وعلى رأسهم عينيه بن حصن الفزاري، الذي يتبع له عشرة الاف مقاتل، والمعروف بقوة شخصيته وقدرته على تحريك عقول الرجال، بحضور زعماء قبائل غطفان، والذين يمثلهم الحارث بن عوف، قائد بني مرة، وأبو مسعود بن دخيله، قائد بني أشجع، وسفيان بن عبد شمس، قائد بني سليم، وطليحة بن خويلد، قائد بني أسد.

عرض اليهود على زعماء غطفان مخططهم لغزو المدينة، واخبروهم بموافقة قريش عليه، ولأن غطفان كانت متحمسة لغزو المدينة، بعد فشلها مراراً في القيام بذلك وحدها، حيث كان الرسول ــ عليه السلام ــ يحبط محاولاتهم، وذلك بضربها في ديارها قبل تحركها الى المدينة، فقد سر زعماء غطفان بخطة اليهود، وأعلنوا موافقتهم عليها، ودعمهم لها، ولكي يضمن اليهود مشاركة فعالة لغطفان، فقد عرضوا على قبائل غطفان مقابل اشتراكهم في غزو المدينة، ثمر نخل خيبر لسنة واحدة، على ان ترسل غطفان ستة الاف مقاتل، فوافقوهم على ذلك.

وبهذا نجح اليهود في حشد قبائل قريش وغطفان ضد المسلمين، ليكون جيش الاحزاب عشرة الاف مقاتل، يتوجهون الى المدينة المنورة، في وقت اتفقوا عليه، وأخذوا يستعدون له، وبذلك نلاحظ ان معركة الخندق، وان كانت قرشية غطفانية في الشكل والمظهر، فهي يهودية في محتواها ومضمونها واهدافها، ومراميها.

الاستعداد للمعركة

١ ٠ من جانب المسلمين.

لم يكن الرسول ﷺ غافلاً عما يحدث في مكة وفي نجد، فقد كان يتابع الوفد اليهودي ومنذ اللحظه الاولى لتحركه، من خلال استخباراته (من رجاله وعيونه من المتعاطفين معه) والذين كانوا يزودونه بكل خطوة يخطوها الوفد، وما يدور من محادثات بينهم وبين كل من قريش وغطفان.

وفي النهاية، وصلت للرسول ــ عليه السلام ــ كل المعلومات عن القوات التي ستهاجم المدينة المنورة، من حيث عددها المحتمل، وقادتها، والموعد التقريبي للغزو.

وما ان حصل الرسول ــ عليه السلام ــ على هذه المعلومات، حتى شرع في العمل لاتخاذ اجراءات سريعة وفورية، فدعا الى اجتماع يحضره اهل الرأي من المسلمين، والقادة العسكريون من المهاجرين والانصار، لتدارس الوضع، والوصول الى الطرق الكفيلة للدفاع عن المدينة، امام جيوش كبيرة يفوق تعدادها تعداد جيش المسلمين مرات عدة.

ودار النقاش في مجلس الرسول ــ عليه السلام ــ حول كيفية محاربة الاعداء، وهل يكون ذلك بخروج جيش المسلمين للقاء الاحزاب خارج المدينة المنورة، كما فعلوا في معركة احد، ام بالبقاء متحصنين في المدينة.

وبالاعتماد على المعلومات التي تؤكد ان الهدف الرئيسي من الغزوة، هو احتلال المدينة نفسها، من خلال جيش يزيد تعداده على عشرة الاف مقاتل، في الوقت الذي لا يزيد فيه تعداد جيش المسلمين على ثلاثة الاف مقاتل، بينهم كثير من المنافقين الذين لا يؤمن جانبهم وقت الشدة، فقد تقرر ان يتحصن المسلمون في المدينة للدفاع عنها.

ولأن الناحية الشمالية للمدينة هي الجهة الوحيدة المكشوفة، لأنها الممر الوحيد الممكن امام أي غاز يريد احتلال المدينة، وذلك لوجود موانع طبيعية وأشجار ونخيل في باقي جهات المدينة، مما يشكل عائقاً امام حرية الحركة لاي قوات مهاجمة، وهكذا فقد تقرر ان تكون الجهة الشمالية من المدينة خطاً للدفاع الرئيسي عنها.

ولكن المشكلة التي ظلت قائمة هي، كيف يمكن للمسلمين الصمود في وجه جيوش الاحزاب، ومنعها من احتلال المدينة، اذا ما شدوا عليهم شدة رجل واحد، في معركة فاصلة وقوية، وقد جا الحل من سلمان الفارسي الذي كان من بين الجالسين في مجلس الرسول ــ ﷺ ــ فتقدم باقتراح يضمن للمسلمين منع الاحزاب من دخول المدينة قائلاً: (يا رسول الله، انا كنا بأرض فارس، اذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا) ففرح الرسول ــ عليه السلام ــ بهذا الاقتراح واستصوبه، وأمر المسلمين بالاسراع بحفر خندق على طول المنطقة التي يتوقع احتشاد الاحزاب فيها، وبعمق لا يسمح لهم بتجاوزه، وانجاز ذلك قبل وصول الاحزاب الى المدينة.

بدأ المسلمون عملية حفر الخندق، بطول يبلغ حوالي خمسة الاف ذراع، وعرض لا يقل عن تسعة اذرع، وعمق يصل الى سبعة اذرع، وقد قسم الرسول ــ عليه السلام ــ منطقة الحفر بين اصحابه بحيث يكون لكل عشرة رجال منهم اربعون ذراعاً طولياً، وكان ــ عليه السلام ــ يعمل مع اصحابه كأي رجل منهم.

تمت عملية حفر الخندق في ظروف قاسية، فقد كان ذلك العام عام قحط، لا يجد فيه اكثر المسلمين ما يسد رمقهم، وكان الفصل شتاءاً قارص البرد، شديد الرياح، بالاضافة الى الخوف والهلع الذي انتاب المسلمين، وهم ينتظرون حشداً ضخماً يتجه نحوهم، يهدف الى ابادتهم، والقضاء على وجودهم، ناهيك عن الحرب النفسية التي كان يروج لها المنافقون على الجبهة الداخلية للمسلمين، ولكن وعلى الرغم من كل ذلك، فقد استطاع المسلمون انجاز عملهم في شهر واحد، وقبل وصول الاحزاب بعدة ايام، وما ان انتهى ذلك، حتى قام المسلمون بتنظيم انفسهم ودفاعاتهم وعلى النحو التالي:

أ ــ حشد قوات المسلمين خلف الخندق من جهة المدينة، حتى يكونوا مستعدين لمقاتلة من يتجاوزه من الاحزاب.

ب ــ قام المسلمون بأخلاء المدينة من النساء والشيوخ والاطفال، وتم تجميعهم في بيوت محصنة، بعيداً عن يهود بني قريظة.

جـ ــ تم تشكيل دوريات من الجيش الاسلامي، ليكون دورها الحراسة ليلاً من الغسق الى الفجر.

د ــ استعمل الرسول ــ ﷺ ــ ابن ام كلثوم على المدينة، وقام بتقسيم جيشه الى فرقتين، المهاجرين واعطى لواءهم الى زيد بن حارثه، والانصار ــ وهم اغلبية الجيش ــ واعطى لواءهم الى سعد بن عبادة.

٢ ــ من جانب الاحزاب

شرع قادة الاحزاب في تجهيز قواتهم لغزو المدينة، واتفقوا فيما بينهم ان يكون ابو سفيان بن حرب قائداً عاماً لجيوش الاحزاب، واستطاعت قريش تجهيز اربعة الآف مقاتل، بينما جهزت قبائل غطفان ستة الآف مقاتل، بالاضافة الى اليهود الذين كانوا يشكلون قوات احتياطية، وتواعد القادة على الألتقاء بالقرب من المدينة، في اوائل شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة.

وصلت قوات الاحزاب الى المدينة المنورة في الموعد المحدد، وهناك فوجئوا بوجود الخندق الذي حال بينهم وبين المدينة، مما جعلهم يعسكرون بالقرب منه، وعلى النحو التالي:

أ ــ نزلت قريش ومن تبعها من بني كنانة واهل تهامة بمنطقة مجمع الاسيال من رومة بين الجرف وزغابة (انظر الخارطة رقم ٥).

ب ــ نزلت غطفان ومن تبعها من اهل نجد بموقع ذنب نقمي بجانب احد.

سير المعركة.

طاف قادة الاحزاب حول الخندق، لعلهم يجدون فيه اماكن تصلح لعبور قواتهم الى المدينة، الا انهم تأكدوا من صعوبة اقتحامة وعبوره، الا من خلال عمليات انتحارية تكلف الكثير من القتلى، ومصيرها الفشل، فوقفوا حائرين امام مكيدة كانت سبباً في قلب خططهم رأسا على عقب، ومنعهم من الاطباق على المدينة واستأصال المسلمين كما كانوا يأملون.

وعلى الرغم من ان الخندق قد شل حركة جيوش الاحزاب، وحال بينهم وبين تحقيق مرادهم، الا ان قادة الاحزاب قرروا فرض الحصار على المدينة، وخوض حرب استنزاف ضد المسلمين، لارهاقهم واضعافهم، حتى تأتي لهم الفرصة لأقتحام الخندق، والوصول الى المدينة، بالأعتماد على يهود بني قريظة، الذين توقع الاحزاب منهم ضرب المسلمين من الخلف.

تسلل حيي بن اخطب الى بني قريظة، واستطاع اقناعهم بنقض العهد المبرم بينهم وبين لرسول ــ عليه السلام ــ والذي كان من بنوده الدفاع المشترك عن المدينة ضد اي اعتداء

خارجي تتعرض له، وبذلك انضم يهود بني قريظة الى الاحزاب، مما زاد من خطورة موقف المسلمين.
وعندما علم الرسول — ﷺ — بأمر بني قريظة، ارسل لهم جماعة من اصحابه وهم، سعد ابن معاذ بن النعمان، وسعد بن عبادة، وعبدالله بن رواحة، وخوان بن جبير، واوصى الرسول — عليه السلام — اصحابه التأكد من الخبر، وبكتمان ذلك عن المسلمين ان كان صحيحاً، قائلاً لهم: (انطلقوا حتى تنظروا، احق ما بلغنا عن هؤلاء ام لا؟ فان كان حقاً فألحنوا لي لحناً اعرفه، ولا تفتوا في اعضاد الناس، وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم، فاجهروا به للناس) (١).

ذهب الوفد الى بني قريظة، وعرفوا انهم قد نقضوا العهد، فعادوا الى الرسول — عليه السلام — واخبروه بالامر، هنا اشتد البلاء على المسلمين، وازداد خوفهم، حتى وصل الامر ببعضهم ان طلبوا العودة الى منازلهم متذرعين بأن بيوتهم في عورة من العدو، ولم يبق مع الرسول — عليه الصلاة والسلام — اكثر من تسعمائة مقاتل، بعد ان تركه المنافقون وضعيفو النفوس.
في هذه الظروف الصعبة، حاول الرسول — عليه السلام — التخفيف عن المسلمين من خلال خطة يفرق بها الاحزاب، فاستدعى زعيمين من غطفان هما عينيه بن حصن والحارث بن عوف، واجتمع بهما سراً خلف الخندق، عارضاً عليهما اتفاقاً منفرداً بينه وبينهم، يدفع المسلمون بموجبه لغطفان، ثلث ثمار المدينة لسنة واحدة، على ان تتوقف غطفان عن القيام بأي عمل عسكري ضد المسلمين، وتقوم بفك الحصار عن المدينة، وتنسحب جيوشها الى بلادها.
وافق زعماء غطفان على ذلك، واستدعى الرسول — عليه السلام — سادة الانصار وهما: سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وعرض عليهما بنود الاتفاقية مع غطفان، فردا عليه قائلين «يا رسول الله امراً تحبه فنصنعه، ام شيئاً امرك الله به، لابد لنا من العمل به، ام شيئاً تصنعه لنا: فقال لهما: بل شي اصنعه لكم، والله مااصنع ذلك الا لانني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فاردت ان اكسر عنكم من شوكتهم الى امر ما، فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون ان يأكلوا منها تمرة الا قرى (مايصنع للضيف من الطعام) او بيعاً، افحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له، واعزنا بك وبه، نعطيهم اموالنا! والله مالنا بهذا من حاجة، والله لانعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال — عليه السلام: انت وذاك)(٢) وارسل الى زعماء غطفان بالغاء الاتفاق.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام المجلد ٢، صفحه ٢٢٢.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام المجلد ٣، صفحه ٢٣٤.

حاول يهود بني قريظة التخريب داخل المدينة، فارسلوا رجلاً منهم الى هناك، واستطاع هذا الرجل التسلل والوصول الى المنازل التي يتواجد فيها النساء والصبية، لمعرفة درجة حمايتها وتحصينها، الا انه لم يعد الي اليهود، فقد قتلته صفية بنت عبدالمطلب، وبهذا قطعت على اليهود تحقيق اهدافهم، وتوقعوا ان المدينة محروسة برجال اشداء، فآثروا البقاء في حصونهم، وهم يتخوفون الخروج منها.

بقي الوضع على ما هو عليه، تراشق بالنبال، واستعراض للقوى من جانب الفرسان، ودوريات من كلا الطرفين، الى ان قامت مجموعة من فرسان قريش بأقتحام الخندق من منطقة ضيقة لنقل المعركة الى معسكر المسلمين خلف الخندق.

كان يقود مفرزة فرسان المشركين، عمرو بن عبد ود العامري، فأخذ يجول بفرسانه في لصبخة بين الخندق وجبل سلع، وعندما علم الرسول ــ عليه السلام ــ بذلك، ارسل جماعة من المسلمين، لتقطع طريق العودة على الفرسان، وطلب من مفرزة اخرى يقودها علي بن ابي طالب، الاشتباك مع فرسان قريش ومقاتلهم.

تبارز علي بن ابي طالب مع عمرو بن عبد ود، وبعد قتال شرس بينهما، استطاع علي قتل عمرو، فانهزمت على اثر ذلك مفرزة فرسان قريش، وقامت مفرزة علي بمطاردتها حتى ردتها لى خارج الخندق، مخلفة وراءها قتيلين من قريش.

لم يدخر الرسول ــ عليه السلام ــ جهداً في تفريق الاحزاب، فقد تصادف ان قدم اليه رجل من الاحزاب يدعى نعيم بن مسعود، وقد اسلم دون علم قومه، وجاء واضعاً نفسه ما يستطيع بين يدي الرسول ــ ﷺ ــ فقال له عليه السلام: «انما انت فينا رجل واحد، خذل عنا ان استطعت، فان الحرب خدعه».

خرج نعيم بن مسعود حتى اتى بني قريظة وكان نديم لهم في الجاهلية، فقال لهم: يا بني قريظة، قد عرفتم ودي اياكم، وخاصة مابيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم، فقال لهم: ان قريشاً وغطفان ليسوا كانتم، البلد بلدكم، فيه اموالكم، وابناؤكم، ونساؤكم، لا تقدروا ن تتحولوا منه الى غيره، وان قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد واصحابه، فان رأوا غنيمة اصابوها، وان كان غير ذلك، لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به، ان خلا بكم، فلا تقاتلوا معهم محمداً حتى تأخذوا منهم رهناً من اشرافهم، يكونون عندكم حتى تناجزوه، فقالوا: لقد أشرت بالرأي.

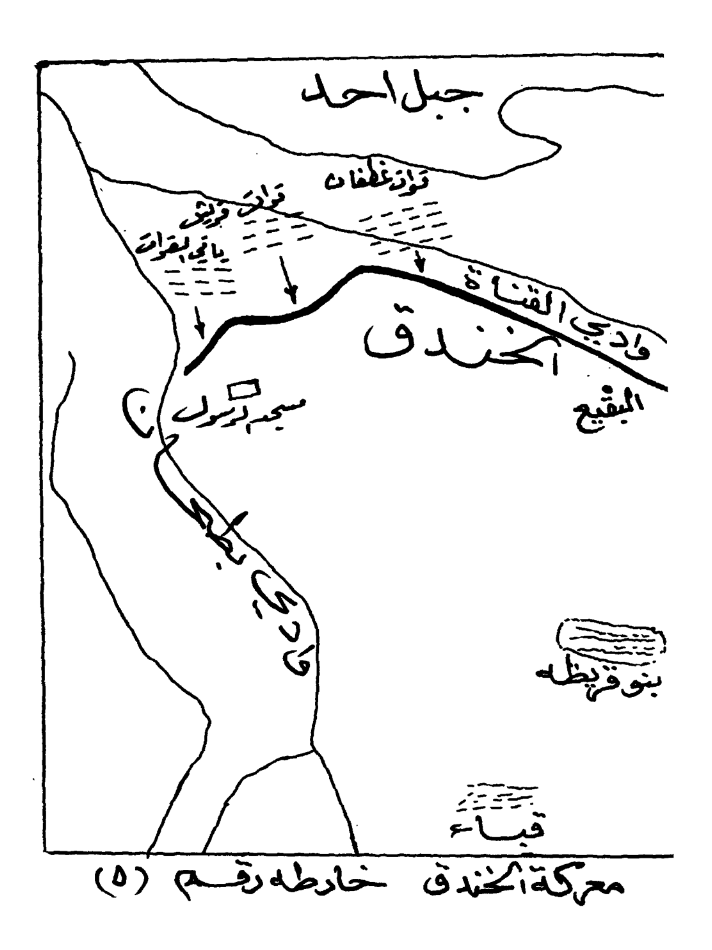
ثم خرج نعيم بن مسعود حتى اتى قريشاً، والتقى بأبي سفيان بن حرب، بوجود قادة قريش قال لهم: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمداً، وانه قد بلغني امراً قد رأيت علي حقاً ان ابلغكموه نصحاً لكم فاكتموا عني، فقالوا: نفعل، قال ان معشر اليهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وارسلوا اليه ان قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك ان نأخذ لك من

القبيلتين ــ قريش وغطفان ــ رجالا من اشرافهم، فنعطيكهم، فتضرب اعناقهم، ثم نكون معك على ما بقي منهم، حتى نستأصلهم، فارسل اليهم، ان نعم، فان بعثت اليكم بني قريظة يلتمسون منكم رهناً من رجالكم، فلا تدفعوا اليهم منكم رجلاً واحداً.
ثم خرج نعيم حتى اتى غطفان، وتحدث معهم بمثل ما تحدث مع قريش، وحذرهم بمثل ما حذرهم.

اهتمت كلاً من قريش وغطفان بالانباء التي نقلها نعيم بن مسعود، بعد ان وقع في نفوسهم صدق ما قاله لهم، فاجتمع زعماؤهم يوم الجمعة، وقرروا ارسال وفد منهم للاتصال ببني قريظة والتأكد من الاخبار التي نقلت لهم.
وبالفعل، تحرك الوفد ليلة السبت في أواخر شهر شوال، بقيادة عكرمة بن ابي جهل، ووصلوا الى بني قريظة، والتقوا معهم، فقال لهم عكرمة: انا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه، فرد اليهود بعدم الموافقة، بحجة انهم لا يقاتلون يوم السبت، وانهم يتخوفون من انسحاب الاحزاب عنهم قبل القضاء على المسلمين، وطالبوا بأن تعطيهم قريش وغطفان رهناً من رجالهم.
عاد الوفد من حيث اتى وهو يحمل رد اليهود الى قادة قريش وغطفان، لتكون بذلك بداية الفرقة والخلاف بين الاحزاب، نتيجة الجهد الذي بذله نعيم بن مسعود.

وفي الوقت الذي بدأ فيه الخلاف والشقاق بين الاحزاب وحلفائهم اليهود، اخذ قادة الاحزاب يفكرون في فك الحصار، والعودة الى ديارهم، ومما شجعهم على ذلك، هبوب رياح شديدة، اخذت تقلع الخيام، وتكفأ القدور، وتطفيء النيران.
توقع الرسول ــ عليه السلام ــ ان الاحزاب لن يمكثوا كثيراً بعد نجاح نعيم بن مسعود في تفريقهم، وبعد هبوب الرياح الشديدة عليهم، فأستدعى احد رجاله واسمه حذيفة بن اليمان وقال له: «يا حذيفة، اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يفعلون، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتيني»، وذهب حذيفة ليلاً الى الاحزاب واستطاع التسلل حتى وصل مقر قيادة قريش، وهناك سمع ابا سفيان يخطب في زعمائها وقادتهاقائلاً:(والله لقد هلك الخف والحافر، واخلفتنا قريظة، ولقينا من هذه الرياح ما ترون، فارتحلوا فانني مرتحل) (١)، فعاد حذيفة الى الرسول ــ عليه السلام ــ وبشره بما سمع.

(١) الكامل في التاريخ، الجزء ٢، صفحة ١٨٤.



معركة الخندق خارطة رقم (٥)

اخذت قريش تشد الرحال، وتعود الى مكة المكرمة، وعندما سمعت غطفان بما فعلت قريش، شدوا رحالهم، وعادوا الى ديارهم، وما طلع الفجر الا والاحزاب قد تركوا المدينة، بعد حصارها لمدة شهر كامل.

وفي الصباح، عاد المسلمون الى المدينة المنورة، ووضعوا سلاحهم، لكن جبريل اتى الى الرسول — عليه السلام — في الظهيرة، يأمره بالمسير الى بني قريظة ومقاتلتهم(١).

فقد المسلمون في معركة الخندق (٦) شهداء، وقتل من الاحزاب (٣) رجال.

---

(١) انظر غزوة بني قريظة.

قال تعالى ﴿وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً وأورثكم ارضهم وديارهم وأموالهم وارض لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديراً﴾ (١).

تاريخ الغزوة: شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة (٦٢٧ ميلادية).
مكانها: حصن بني قريظة، قرب المدينة المنورة (انظر الخارطة رقم ٢).
اسباب الغزوة واهدافها:
كان الرسول ــ عليه السلام ــ قد عقد معاهدة مع بني قريظة، تنص في أحد بنودها على الوقوف معاً، ضد اي اعتداء خارجي تتعرض له المدينة المنورة، ولكن عندما احتشدت الاحزاب لغزو المدينة المنورة في معركة الخندق، وقف اليهود ضد المسلمين في احلك الظروف واقساها، ظناً منهم ان الدائرة ستكون في النهاية لهم وللاحزاب.
بعد فشل الاحزاب في تحقيق مرادهم في القضاء على المسلمين، وعودتهم الى ديارهم، خرج الرسول ــ عليه السلام ــ لقتال بني قريظة، عقاباً لهم على ما ارتكبوه من خيانة ضد المسلمين، في ظرف مصيري، وفي وقت كان المسلمون فيه، احوج ما يكونون للمساعدة والنصرة.

وقائع الغزوة:

ترك الاحزاب المدينة المنورة، وعادوا الى ديارهم، فهرع اليهود الى حصونهم فزعين من المصير الذي ينتظرهم جزاء خيانتهم وغدرهم بالمسلمين، وعاد المسلمون الي بيوتهم بعد ان نصرهم الله، ليرتاحوا من عناء ما تكبدوه من تعب في معركة الخندق، لكن وفي ظهيرة ذلك اليوم (أتى جبريل رسول الله ــ عليه السلام ــ فقال: أو قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم، فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت الآن الا من طلب القوم، ان الله يأمرك يا محمد بالمسير الى بني قريظة، فأني عامد اليهم فمزلزل بهم)(٢).
وفي نفس اللحظة، امر الرسول ــ عليه السلام ــ مؤذناً فأذن في الناس قائلاً: **«من كان** سامعاً فلا يصلين العصر الا في بني قريظة**»**.

---

(١) سورة الاحزاب ٢٦، ٢٧.
(٢) البداية والنهاية الجزء ٢، صفحة ١١٨، السيرة النبوية لابن هشام مجلد ٢، صفحه ٢٣٣، الكامل في التاريخ الجزء ٢، صفحة ١٨٥.

وسارع الرسول ــ عليه السلام ــ الى لبس سلاحه، وأصدر امراً بتعيين عبدالله بن أم كلثوم اميراً على المدينة طيلة فترة غياب المسلمين عنها، وأعطى اللواء لعلي بن ابي طالب قائلاً له: «كن في مقدمة الجيش، وأسبقنا الى بني قريظة» ثم امتطى عليه السلام جواده، ولحق بعلي وتبعه المسلمون، حتى اجتمعوا عند حصون بني قريظة، فضربوا عليهم الحصار في يوم السبت، أواخر شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة.

وما ان أيقن اليهود بأنهم محاصرون، وبأنها الحرب، حتى دب الرعب في قلوبهم، فقام سيدهم كعب بن أسد بأستشارة قومه فيما يفعلون، وأقترح عليهم ان يختاروا واحدة من ثلاث:

١ ــ ان يدخل بنو قريظة في دين محمد، بعدما تبين لهم انه هو النبي المرسل الذي يذكره كتابهم، وبذلك يؤمنون على دمائهم واموالهم ونسائهم وابنائهم، فرد اليهود بأنهم لن يفارقوا حكم التوراة ابداً، ولن يستبدلوه بغيره.

٢ ــ ولما أبوا ذلك، اقترح عليهم ان يقتلوا ابناءهم ونساءهم، ثم يخرجون لمقاتلة المسلمين دون ان يكون وراءهم نسلاً يخشون عليه، فان كان هلاكهم، فلن يظفر المسلمون بنسائهم وأبنائهم، وان استطاعوا هزيمة المسلمين، فانهم سوف يجدون النساء والذرية، رفض اليهود ذلك قائلين: كيف نقتل هؤلاء المساكين، وما خير العيش بعدهم.

٣ ــ فلما أبوا، قال لهم: ننزل الى المسلمين هذه الليلة، عسى ان ننال منهم شيئاً، فرفضوا ذلك «وقالوا كيف نفسد سبتنا علينا، ونحدث فيه مالم يحدثه من كان قبلنا، الا من قد علمت فقال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه، ليلة واحدة، من الدهر حازماً» وحين اشتد الحصار على بني قريظة، قاموا بمحاولات عدة للنجاة بأرواحهم، فبعثوا الى الرسول ــ عليه السلام ــ بأستعدادهم للجلاء عن المدينة، على الصورة التي تم بها اجلاء يهود بني النضير، بعد معركة أحد، فرد عليهم الرسول ــ عليه السلام ــ برفض عرضهم، وطلب منهم الاستسلام دون قيد او شرط، فقام اليهود بمحاولة ثانية، عرضوا فيها الجلاء عن المدينة وترك كل املاكهم للمسلمين، والاكتفاء بالنجاة بأرواحهم ونسائهم واطفالهم، الا ان الرسول ــ عليه السلام ــ رفض ذلك، وطلب من اليهود الاستسلام ايضاً دون قيد او شرط.

كانت اخر محاولات بني قريظة، ان بعثوا الى الرسول ــ عليه السلام ــ ليرسل لهم ابا لبابة بن عبدالمنذر، وهو من الاوس، وكان حليفاً لهم حتى يستشيروه في امرهم، فارسله الرسول ــ عليه السلام ــ وعندما رأوه قام اليه الرجال، واخذت النساء والصبيان بالبكاء في وجهه، والشكوى له، لعله يساعدهم بالنجاة بارواحهم والخروج مما هم فيه، فرق قلبه لهم، وحزن عليهم، مما جعله يومىء لهم ان القتل سيكون مصيرهم ان هم استسلموا.

ادرك ابو لبابه انه ارتكب اثماً كبيراً، بنصحه لليهود بعدم الاستسلام، بعد ان رق قلبه لهم، ناسياً ما فعله اليهود بالمسلمين، وما كانوا سيفعلونه، لو نجحوا في خطتهم، وشعر ان عمله هذا لا يرضي الله ورسوله والمسلمين، فخرج من عند اليهود، و لم يعد الى الرسول ــ عليه

السلام ـــ وانما ذهب ليكفر عن ذنبه، فربط نفسه الى احد اعمدة المسجد، وعندما سمع الرسول ـــ عليه السلام ـــ بذلك قال: «اما انه لو جاءني لاستغفرت له، فاما اذ فعل ما فعل، فما انا بالذي اطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه».

امام الحيرة التي تملكت اليهود اثناء الحصار المضروب عليهم، قرروا في النهاية النزول عند حكم الرسول ـــ ﷺ ـــ فخرجوا من حصونهم، بعد خمس وعشرين ليله(١) من الحصار، وعندما رآهم الاوس، وثبوا لهم باعتبارهم حلفائهم من قبل، لعل الرسول ـــ عليه السلام ـــ يقبل شفاعتهم فيهم، كما قبل من قبل شفاعة الخزرج في بني قينقاع، والذين لم يقتلهم الرسول ـــ عليه السلام ـــ وانما اكتفى بأجلائهم عن المدينة، بعد ان اخذ المسلمون اموالهم وضياعهم، فطلب الاوس من الرسول ـــ ﷺ ـــ ان يعامل حلفائهم بني قريظة كما عامل من قبل بني قينقاع حلفاء الخزرج، فقال لهم الرسول ﷺ: (الا ترضون يا معشر الاوس ان يحكم فيهم رجل منكم، قالوا: بلى، قال رسول الله ـــ عليه السلام ـــ فذاك سعد بن معاذ»(٢).

انطلقت جماعة من الأوس الى سعد بن معاذ لاحضاره حيث انه كان اصيب في معركة الخندق، واخذوا يوصونه بالرفق ببني قريظة فقال لهم: لقد أنى لسعد ان لا تأخذه في الله لومة لائم، ووقف بين يدي الرسول ـــ عليه السلام ـــ واصدر حكمه على بني قريظة بأن يقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء، فقال له الرسول ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة (سموات)».

امر الرسول ـــ عليه السلام ـــ بحبس اليهود في المدينة وحفر الخنادق في السوق، ثم امر بقتل كل رجل بالغ من بني قريظة، ودفنهم في الخنادق الا ثلاثة رجال منهم، لم يقم المسلمون بقتلهم، لانهم لم ينقضوا العهد مع الرسول ـــ عليه السلام ـــ وابقى عليه السلام لهم اموالهم ونساءهم.

كان عدد يهود بني قريظة ستة مئة او سبع مئة، والمكثر لهم يقول: كانوا بين الثمان مئة والتسع مئة، وقتل معهم حيي بن اخطب زعيم بني النضير، والذي كان قد استبقاه بنو قريظة عندهم، عندما اشترطوا عليه ذلك للموافقة على نقض العهد مع المسلمين.

قام الرسول ـــ عليه السلام ـــ بتوزيع الغنائم على المسلمين، وقد استشهد منهم في هذه الغزوة رجلان هم خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو وسنان بن محصن بن حرثان.

---

(١) قيل ان حصار بني قريظة، كان خمسة عشر ليلة وقيل بضع عشرة ليلة (راجع الطبعات وشرح المواهب).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، مجلد ٢، صفحة ٢٣٩.

غزوة بني لحيان

لو ان بني لحيان كانوا تناظروا لقوا عصباً في دارهم ذات مصدق
بقوا سرعانا يملأ السرب روعه امام طحون كالمجرة فيلق
ولكنهم كانوا وباراً تتبعت شعاب حجاز غير ذي متنفق (١)

تاريخ الغزوة: شهر جمادى الاولى من السنة السادسة للهجرة (٦٢٧ ميلادية).
مكانها: وادي غران بين امج وعسفان.
اهدافها:
١ ـ اراد الرسول ـ عليه السلام ـ ان يثأر لاصحابه الستة الذين غدر بهم بنو لحيان، قبل حوالي عامين من هذه الغزوة، كان بنو لحيان قد قتلوا اربعة منهم، وباعوا اثنين الى قريش فقتلتهما بقطع راس احدهما، وصلب الاخر.
٢ ـ اراد الرسول ـ عليه السلام ـ مواصلة الضغط على اعداء المسلمين تعزيزاً لهيبتهم، وتمكيناً لدولتهم، وللحيلولة دون تفكير الاخرين بالغدر بهم وخيانتهم.
وقائع الغزوة.
خرج الرسول ـ عليه السلام ـ من المدينة المنورة يريد بني لحيان، ولكي يضللهم ويباغتهم، اظهر انه متجه الى بلاد الشام، حيث تحرك بقواته شمالاً (فسلك الى غراب، جبل بناحية المدينة على طريق بلاد الشام، ثم الى محيص، ثم على البتراء، ثم صفق (عدل) ذات اليسار فخرج على بين (واد قرب المدينة)، ثم على صخيرات اليمام، ثم استقام به الطريق الى المحجه من طريق مكة، فاغذ (اسرع) السير سريعاً، حتى نزل الى غران، وهي منازل بني لحيان)(٢) ولكن عندما وصل المسلمون الى هناك، وجدوا بني لحيان قد تمنعوا برؤوس الجبال، ونجوا بأنفسهم واموالهم.
ومن هناك انطلق الرسول ـ عليه السلام ـ في مائتي راكب من اصحابه، وسار بهم حتى وصل كراع الغميم بين مكة والحجاز، واراد من ذلك ارهاب اهل مكة ـ الذين لم يخرجوا اليه ـ فعاد الى المدينة المنورة، بعد ان غاب عنها اربع عشرة ليلة.

---

(١) ابيات قالها كعب بن مالك في هذه الغزوة.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام مجلد ٢، صفحة ٢٨٠.

غزوة ذي قرد

اظـــن عيينـــه اذ زارهـــا بـــأن سوف يهدم فيها قصورا
فأكـــذبت مـــا كـــنت صدقتـــه وقـــلتم سنغنـــم امـــراً كـــبيرا
فعـــفت المدينـــة اذا زرتها وانست لـــلأسد فيها زئيرا
وولـــوا سرعـــاً كشد النعـــام ولم يكشفوا عـن ملـط حصيرا (١)

تاريخ الغزوة: شهر ذي الحجة من السنة السادسة للهجرة(٢) (٦٢٨ ميلادية).
مكانها: مكان يقال له الغابة، وهو قرب المدينة المنورة.
اسبابها:

اغار عينيه بن حصن بن حذيفه بن بدر الغزاري، في خيل من غطفان، على ابل للرسول — ﷺ — في موقع يقال له الغابة، وقاموا بقتل الراعي، وسلب الابل.

وقائع الغزوة

عندما علم الرسول — عليه السلام — بذلك، امر مفرزة من فرسانه بمناوشة الغزاة، حتى يتسنى له اللحاق بهم في قوة من المسلمين.

استطاع فرسان المسلمين استرداد اكثر ابل الرسول — عليه السلام — قبل لحاقه بهم في موقع يدعى ذا قرد، وهناك اصدر الرسول — عليه السلام — امره بالكف عن مطاردة الغزاة، والعودة الى المدينة المنورة.

استشهد من المسلمين في الغزوة رجلان، وقتل من الغزاة ثلاثة رجال.

---

(١) ابيات من قصيدة قالها حسان بن ثابت في هذه الغزوة.
(٢) تذكر بعض الروايات، ان الغزوة حدثت في اول السنة السابعة للهجرة.

غزوة بني المصطلق (١)

تاريخ الغزوة: شهر شعبان من السنة السادسة للهجرة (٦٢٨ ميلادية).
مكانها: على ماء لبني المصطلق يقال له (المريسيع) في ناحية (قديد) باتجاه مكة، بالقرب من ساحل البحر الاحمر.

اهدافها:
علم الرسول ـ ﷺ ـ ان سيد بني المصطلق، الحارث بن ضرار، يجمع قومه، ومن اطاعه من القبائل المجاورة، يريد غزو المسلمين في المدينة المنورة، فخرج لهم المسلمون بهدف توجيه ضربة لهم، تحبط خططهم وتشتت جمعهم.
وقائع الغزوة:
ما ان تأكد الرسول ـ ﷺ ـ من خبر حشد بني المصطلق، حتى قام بتجهيز جيش قوامه سبعمائة مقاتل، سار بهم نحو الاعداء.
نظم الرسول ـ عليه السلام ـ جيشه وجعله كتيبتين، كتيبة المهاجرين واعطى لواءها لابي بكر الصديق، وكتيبة الانصار واعطى لواءها لسعد بن عبادة، وجعل للجيش طليعة من ثلاثين خيالاً.
سار عليه السلام حتى وصل بني المصطلق، واستطاع ان يفاجأهم بوصوله اليهم، في مكان احتشادهم على ماء يقال له (المريسيع) بالقرب من البحر الاحمر.
استعد الطرفان للقتال، ولأن هدف الرسول ـ عليه السلام ـ هو الدعوة للاسلام، فقد امر عمر بن الخطاب، بان يتوجه الى بني المصطلق بنداء، يدعوهم فيه للاسلام، حقناً لدمائهم، وحفظاً لأموالهم.
ولكن بني المصطلق رفضوا ذلك النداء، مما جعل الرسول ـ عليه السلام ـ يأمر قواته بالهجوم الشامل على اعدائهم، فاحاطوا بهم من كل جانب، وقتلوا منهم عشرة رجال، واسروا الباقين، واستولوا على اموالهم ونسائهم، وفقد المسلمون بالمقابل شهيداً واحداً فقط.
وبعد انتهاء القتال، قام الرسول ـ عليه السلام ـ بتوزيع الغنائم والسبايا على المسلمين ومنهن جويرية ابنة الحارث بن ضرار زعيم بني المصطلق فعرض عليها الرسول ـ عليه السلام ـ الزواج منه، فوافقته على ذلك، واسلمت واسلم ابوها، وحسن اسلامهما، وعندما علم المسلمون بزواج الرسول ـ ﷺ ـ من جويرية، اعتقوا معظم ما لديهم من الرجال والنساء، اكراماً للرسول ـ عليه السلام ـ فكان مجمل الذين تم عتقهم بلا فدية من بني المصطلق،

(١) وتسمى ايضا غزوة المريسيع، نسبة للمكان الذي وقعت فيه.

اهل مائة بيت ولذلك تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (فلقد اعتق بتزويجه اياها مائة اهل بيت من بني المصطلق، فما اعلم امرأة اعظم بركة على قومها منها)(١).

خرج في هذه الغزوة عدد كبير من المنافقين في مقدمتهم رأس النفاق في المدينة، عبدالله بن أبي بن سلول، والذي احدث فتنة كادت ان تؤدي الى حرب قبلية بين المسلمين، حيث تخاصم رجلان، احدهما من غفار، واسمه جهجاه، وهو حليف للمهاجرين، مع رجل آخر، اسمه سنان الجهني، وهو حليف للخزرج، تخاصما على الماء، فصرخ الغفاري مستغيثاً بالمهاجرين، وصرخ الجهني مستغيثاً بالانصار، فاصطف جمع من الفريقين، واشهروا على بعضهم السلاح، وكاد ان يدور بينهم القتال، لولا ان تدخل الرسول ــ عليه السلام ــ حيث تحرك الى مكان الحادث فور سماعه الخبر، فخاطبهم قائلاً: «ما بال دعوى الجاهلية، دعوها فانها فتنة» وتصالح الفريقان، بعد ان تنازل الانصاري عن حقه.

لم يرق لعبدالله بن أُبي بن سلول انتهاء الحادثة على هذا الشكل، فأخذ يتفوه بكلام، يريد فيه الفتنة، ويتوعد فيه المهاجرين حين العودة الى المدينة المنورة، ويذم فيه الانصار بما فيهم الخزرج لمساعدتهم المهاجرين فقال: (هذا ما فعلتم بانفسكم، احللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم اموالكم، اما والله لو امسكتم عنهم ما بايديكم، لتحولوا الى غير بلادكم) (٢).

ونقل احد الحاضرين الكلام الى الرسول ــ عليه السلام ــ فغضب غضباً شديداً، ولكنه تصرف في منتهى الحكمة، للقضاء على محاولة عبدالله بن أُبي بن سلول الخبيثة، واظهر لاصحابه شكه في الكلام الذي نقل اليه، على الرغم من قناعته من صحته، وهكذا استطاع ان يهدىء النفوس، ويسدل الستار على ما حدث.

طلب عمر بن الخطاب من الرسول ــ عليه السلام ــ ان يأذن له بقتل عبدالله بن ابي سلول فرفض الرسول ﷺ ذلك وقال: «فكيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمداً يقتل اصحابه».

فقال له عمر: ان كرهت ان يقتله احد المهاجرين، فأمر ان يقتله احد الانصار، فرفض الرسول ــ عليه السلام ــ ذلك، وقال «ترعد له اذن انف كثيرة بيثرب».

ولكي يوقف الرسول ــ عليه السلام ــ الإمر عند هذا الحد، ويمنع تطوره، امر الجيش بالتحرك فوراً الى المدينة (وسار الجيش يومهم ذلك حتى امسوا، وليلتهم حتى اصبحوا، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس فلم يكن الا ان وجدوا مس الارض وقعوا نياماً) (٣)، وعندما افاقوا من نومهم، امرهم الرسول ــ عليه السلام ــ بمواصلة المسير.

---

(١) البداية والنهاية، الجزء ٤، صفحة ١٥٩.

(٢) تاريخ الطبري، الجزء ٢، صفحة ١٠٩.

(٣) تاريخ الطبيري، الجزء ٢، صفحة ١١٠.

وحدث والمسلمون عائدون من غزوتهم، وقبيل وصولهم المدينة، حديث الافك المعروف في كتب السيرة، والذي ابتلى الله فيه الرسول ـ عليه السلام ـ وكانت ضحيته السيدة عائشة رضي الله عنها، والتي انزل لها الله البراءة في القرآن الكريم.

صلح الحديبية (١)

قال تعالى ﴿ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسؤتيه اجراً عظيماً﴾ (٢).

تاريخ عقد الصلح: شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة (٦٢٨ ميلادية).

مكانها: منطقة الحديبية، من اسفل مكة (انظر الخارطة رقم ٦).

اهداف المسير الى مكة:

قبل ستة اعوام من هذا الصلح، خرج المهاجرون من مكة الى المدينة، ولم تتسن لهم خلال هذه المدة، رؤية مكة، وقد كان لبعضهم أهلون خلفوهم فيها، ولم يلتقوا بهم طوال هذه الفترة.

ولان الاشهر الحرم لا قتال فيها عند العرب، فقد ارتأى الرسول ـ ﷺ ـ ان من المناسب زيارة مكة المكرمة معتمراً ليصلي مع المسلمين في المسجد الحرام، ويتيح لهم رؤية اهليهم، بالاضافة الى اظهار ما بلغه المسلمون امام اهل مكة، من قوة وتنظيم، وما يحققه دينهم من سمو وارتقاء بالانسان، مقارنة بعادات الجاهلية واوثانها.

المسير الى مكة

طلب الرسول ـ عليه السلام ـ من المسلمين الاستعداد للسفر الى مكة المكرمة وارسل الى العرب القاطنين حول المدينة من اهل البوادي، يستنفرهم للسفر معه، كي يثبت لقريش ان غايته العمرة فقط، وليس في نيته قتال، ثم خرج عليه السلام في الف واربعمائة رجل(٣) من المهاجرين والانصار، ومن لحق بهم من الاعراب، (وساق معه الهدي واحرم بالعمرة، حتى يأمن الناس من حربه وانه انما خرج زائراً للبيت ومعظماً له) (٤).

وواصل المسلمون سيرهم نحو مكة، وهم لا يحملون معهم الا السيوف في اغمادها، فوصلوا عسفان، (وهي قرية بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلاً من مكة)(٥) وهناك لقيهم بشر بن سفيان الكعبي، واخبر الرسول ـ عليه السلام ـ بان قريشاً ترفض دخول المسلمين لمكة، وانها ارسلت خالد بن الوليد في كتيبة من الفرسان، ليردوا المسلمين عن مكة، فقام الرسول ـ عليه السلام ـ بتغيير مسار طريقه، وسلك طريقاً وعرة، بعيداً عن فرسان قريش، حتى وصل الى منطقة الحديبية من اسفل مكة.

---

(١) عُرف صلح الحديبية باسماء هي غزوة الحديبية، وامر الحديبية.

(٢) سورة الفتح، الآية ١٠.

(٣) تذكر بعض الروايات، ان عدد الذين خرجوا مع الرسول عليه السلام (٧٠٠) مقاتل فقط.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام، المجلد ٢ صفحه ٣٠٨

(٥) معجم البلدان الجزء ٤ صفحه ١٢٢.

المفاوضات مع قريش وعقد الصلح معها

ما ان وصل المسلمون الى الحديبية، حتى وجدت قريش نفسها امام مشكلة حقيقية، تتمثل في توقعهم دخول المسلمين لمكة، سواء رضيت قريش ام ابت، ولكنها عندما وجدت ان المسلمين اتوا الى مكة لزيارة البيت، لا يحملون معهم الا السيوف في اغمادها، ويسوقون الهدي معهم، وانهم جاءوا والاشهر الحرم قد دخلت، عند ذلك وجدت قريش انه لا بد من مفاوضة الرسول ﷺ واقناعه بالعدول عن دخول مكة هذا العام، لان دخوله مكة دون رضى قريش، سيمس هيبتها بين القبائل العربية.

اخذت قريش ترسل الوفود الى الرسول ــ عليه السلام ــ لعلها تستطيع اقناعه بالعودة الى المدينة دون دخول مكة، فارسلت بديل بن ورقاء، في رجال من خزاعة، ودار بينه وبين الرسول ــ عليه السلام ــ حديث مطوّل، انتهى دون الوصول الى نتيجة، فعاد بديل الى مكة، واخبر قريش بتصميم الرسول ــ عليه السلام ــ على دخول مكة، ثم ارسلت مكرز بن حفص، الذي تحدث مع الرسول ــ عليه السلام ــ وعاد الى مكة بمثل ما عاد به بديل، ثم ارسلت جليس بن علقمة، لكنه عاد الى قريش قبل وصول الرسول ــ عليه السلام ــ عندما شاهد الهدي واقتنع بنية المسلمين دخول مكة للزيارة فقط، لكن قريشاً ارسلت عروة بن مسعود الثقفي، فتحدث مع الرسول ــ عليه السلام ــ بمثل ما تحدث غيره، وكان رد الرسول ــ عليه السلام ــ الاسرار على رغبة المسلمين بدخول مكة، لزيارة البيت، تعظيماً لحرمته، وعاد عروة الى قريش دون ان يحقق شيئاً.

دعا الرسول ﷺ خراش بن امية الخزاعي، وارسله الى قريش، ليقنعها بدخول المسلمين الى مكة، الا ان قريشاً كادت ان تقتل خراشاً وعقرت بعيره، فعاد الى الرسول ــ عليه السلام ــ فاخبره بالامر.

ونظراً لمكانة عثمان بن عفان في مكة، فقد ارسله الرسول ــ عليه السلام ــ الى قريش، لعله يصل معهم الى اتفاق يسمح للمسلمين بدخول مكة، وعندما وصل عثمان بن عفان الى مكة، اجاره هناك ابان بن سعيد ليساعده في اتمام مهمته التي جاء من اجلها، وتحدث عثمان مع قريش، فعرضوا عليه ان يطوف وحده بالبيت، الا انه رفض ذلك قائلاً: «ما كنت لافعل حتى يطوف رسول الله انما جئنا لنزور البيت العتيق، ولنعظم حرمته، ولنؤدي فرض العبادة عنده، وقد جئنا بالهدي معنا، فاذا نحرنا رجعنا عن مكة» الا ان قريشاً رفضت ذلك، وطال حديث عثمان مع قريش وطال غيابه عن الرسول ــ عليه السلام ــ وجاءت الاخبار الى الرسول ﷺ بان قريشاً قتلت عثمان غدراً وغيلة، عندها بايع المسلمون الرسول ــ عليه السلام ــ تحت الشجرة على الموت، الا ان عثمان بن عفان، عاد الى الرسول ــ عليه السلام ــ دون ان يمسه سوء، واخبره برفض قريش دخول المسلمين مكة في هذا العام.

عندما وصلت المشكلة الى هذا الحد، ارسلت قريش سهيل بن عمرو، وطلبت منه ان يعقد

صلحاً مع الرسول ﷺ فوافق الرسول على ذلك، وبعد محادثات بين الطرفين، توصلا الى معاهدة تتضمن البنود التالية:

١ ـــ هدنة بين الطرفين مدتها عشرة سنوات.

٢ ـــ يرد المسلمون من يأتيهم من قريش بغير اذن وليه.

٣ ـــ لا ترد قريش من يعود لها من المسلمين.

٤ ـــ من اراد ان يدخل في عهد المسلمين دخل فيه، ومن اراد ان يدخل في عهد قريش دخل فيه.

٥ ـــ ان لا تكون هناك عداوة بين الطرفين ولا سرقة خفية ولا خيانة.

٦ ـــ ان لا يدخل المسلمون الى مكة في عامهم هذا، على ان يدخلوها في العام القادم، وبعد خروج قريش منها، ويمكث المسلمون فيها ثلاث ايام بلياليها، ولا يكون معهم من السلاح الا السيوف في اغمادها.

ولما فرغ الطرفان من كتابة المعاهدة اشهد عليها رجالاً من المسلمين، ورجالاً من المشركين، ثم قدم الرسول ـــ عليه السلام ـــ الى هديه فنحره، ثم جلس فحلق راسه، فقام المسلمون الى هديهم فذبحوه، وحلقوا رؤوسهم، ومنهم من قصر.

استاء عدد من المسلمين من هذا الصلح، لانه حرمهم من دخول مكة في عامهم هذا، وهم على مقربة منها، ولانهم ظنوا ان هذا الصلح اساءة للمسلمين، ومنهم عمر بن الخطاب الذي سأل الرسول ـــ عليه السلام ـــ الست رسول الله فقال عليه السلام بلى، فقال عمر: او لسنا بالمسلمين، قال عليه السلام: بلى، قال عمر: اوليسوا بالمشركين، فقال عليه السلام: بلى، فقال عمر: فعلام نعطي الدنية في ديننا، فقال له عليه السلام اني عبدالله ورسوله، لن اخالف امره، ولن يضيعني.

وعاد المسلمون الى المدينة، واكثرهم يتوقع ان المعاهدة لم تكن في صالحهم، الا انهم ايقنوا فيما بعد، ان الصلح حقق لهم الشيء الكثير ومن ذلك:

١ ـــ اعترفت قريش من خلال هذه المعاهدة بكيان المسلمين ووجودهم، واخذت بالتعامل معهم على انهم قوة لها حسابها في الجزيرة العربية.

٢ ـــ كان المسلمون بحاجة ماسة الى فترة هدنة، يرتاحون فيها من القتال، ويتفرغون فيها للدعوة الاسلامية، حتى يعرفوا الناس على الاسلام، ويعملوا على نشره بالحجة والاقناع.

٣ ـــ اخذ عظماء قريش يفكرون بدخول الاسلام، بالاضافة الى المئات من قريش، الذين دخلوا الاسلام، وعندما ردهم الرسول ـــ عليه السلام ـــ الى مكة، لجأوا الى طريق تجارة قريش، واخذوا بمهاجمة قوافلها، المتجهة من والى مكة، حتى طلبت قريش من الرسول ـــ عليه السلام ـــ عدم ردهم، للتخلص من التهديد الذي يمثلونه، وكذلك فقد اتاحت المعاهدة للنساء اللحاق بازواجهن المهاجرين الى المدينة، دون ان يردهن الرسول ـــ عليه السلام ـــ لان المعاهدة تنطبق على الرجال فقط.

المدينة المنورة

بدر

الأبواء

ودان

البحر الأحمر

قديد

عسفان

كراع الغميم

جدة

الحديبية

مكة المكرمة

الطائف

خارطة رقم (٦)

٤ ــ دخلت خزاعة في عهد الرسول ﷺ ودخل بنو بكر في عهد قريش.

٥ ــ تفرغ المسلمون لمحاربة اليهود، الذين فقدوا دعم قريش، بعد هذه المعاهدة، واصبح المجال مفتوحاً امام المسلمين، للقضاء على مخططاتهم وغدرهم، ولذلك جاءت غزوة خيبر بعد حوالي شهر من عودة المسلمين الى المدينة من الحديبية.

وتحقق بالاضافة الى ذلك الكثير الكثير للمسلمين، فايقنوا ان الرسول ــ عليه السلام ــ كان محقاً في عقد المعاهدة مع قريش، وزاد عدد المسلمين بين الصلح وفتح مكة عن عدد المسلمين منذ بداية الدعوة الى ذلك الصلح.

غزوة خيبر

قال تعالى ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحاً قريباً ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ (١

تاريخ الغزوة: شهر محرم من السنة السابعة للهجرة (٦٢٨ ميلادية).

مكانها: حصون خيبر، على بعد خمسة ايام من المدينة المنورة، ناحية الشام (٢)، وهو ما يقارب مئة وسبعين كيلو متر (انظر الخارطة رقم ٧).

اهدافها:

عندما طرد الرسول ــ عليه السلام، بني النضير من المدينة المنورة، ارتحل اكثرهم الى خيبر، ومن هناك اخذوا وبقيادة زعيمهم حيي بن اخطب، بتحريض القبائل العربية التي ما زالت على الوثنية، لمحاربة المسلمين، ونجحوا في حشد اكثر من عشرة الف مقاتل، غزو المدينة المنورة في معركة الخندق، وبذلك غدت خيبر قاعدة للعدوان والتخطيط ضد المسلمين، واصبحت تشكل خطراً مباشراً عليهم، اذ يستطيع اهلها غزو المدينة وحدهم او بالتحالف مع اي عدو اخر للمسلمين، وذلك لما تتمتع به خيبر من امكانيات مادية وعسكرية، وما يتوفر لها من طاقة بشرية، فهي تمتلك تسعة الاف مقاتل، بالاضافة الى بني النضير الذين سكنو بها، ولذلك اراد الرسول ــ عليه السلام ــ القضاء نهائياً على اقوى اعدائه القريبين من المدينة، حتى يمضي قدماً في توحيد الجزيرة العربية، تحت راية الاسلام، مستفيداً من وقوف قريش على الحياد، بعد ابرام صلح الحديبية.

وقائع الغزوة

بعد حوالي شهر من عودة المسلمين الى المدينة من الحديبية، امر الرسول ــ عليه السلام ــ المسلمين بالاستعداد للمسير الى خيبر، لمقاتلة اليهود هناك، وطلب عليه السلام ان لا يخرج معه من كان ضعيفاً لا يحتمل الحرب او السفر، نظراً للصعوبات والمشاق التي توقع الرسول ــ عليه السلام ــ ان يصادفها في غزوته تلك.

تجمع لدى الرسول ــ عليه السلام ــ جيش مكون من الف واربعمائة مقاتل، بينهم مئتا فارس، فسار بهم حتى وصل منطقة الرجيع (انظر الخارطة رقم ٧).

وما ان علم رأس النفاق في المدينة «عبدالله بن ابي بن سلول» بنية المسلمين مهاجمة خيبر، حتى ارسل لليهود يعلمهم بالامر، ويطلب منهم الاستعداد لملاقاة المسلمين، ويحثهم على قتالهم، مغرراً بهم، بالاشارة الى قوتهم وكثرتهم، امام قلة المسلمين وعدم ترابطهم.

---

(١) سورة الفتح، الايات ١٨، ١٩.

(٢) معجم البلدان، الجزء ٢، صفحة ٢٩.

بدأ اهل خيبر بالاستعداد لحرب الرسول ــ عليه السلام ــ واخذوا يبحثون عن احلاف يساندهم في قتالهم للمسلمين، فاتفقوا مع قبائل غطفان على قيامها بمساعدتهم، والوقوف معهم ضد المسلمين، مقابل ان تأخذ غطفان نصف تمر خيبر، وبالفعل خرجت غطفان، واتجهت نحو خيبر الا ان وصول الرسول ــ عليه السلام ــ الى الرجيع اخافهم، وجعلهم يتوقعون ان الهدف من خروج المسلمين ليس خيبر وانما ديارهم، فخافوا ان يعقبهم الرسول ــ عليه السلام ــ اليها، فعادوا من حيث اتوا، وبذلك حال الرسول ــ عليه السلام ــ دون وقوف غطفان الى جانب اهل خيبر.

انطلق الرسول ــ عليه السلام ــ من الرجيع الى خيبر، ووصلها ليلاً، فقام المسلمون بتطويقها من جميع الجهات، ولم يعلم اليهود بذلك الا في الصباح، عندما خرج الفلاحون من حصونهم كالعادة، ليعملوا في مزارعهم المحيطة بها، ففوجئوا بوجود المسلمين في ديارهم، وعادوا على الفور وقد دب الرعب في نفوسهم، فدخلوا حصونهم وهم ينتظرون ماذا سيكون مصيرهم.

بدأ الرسول ــ عليه السلام ــ قتال اعدائه، فاعطى الراية الى ابي بكر الصديق رضى الله عنه الا ان ابابكر لم يستطع فتح اي من حصونهم، رغم ما بذل من جهد، فاعطى الراية الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، لكنه انتهى الى ما انتهى اليه ابو بكر، بعد ذلك اعطى الرسول ــ عليه السلام ــ الراية الى علي بن ابي طالب رضى الله عنه، فأخذ يقاتل اعداءه بكل ما اوتي من قوة.

ركز المسلمون هجومهم في البداية على حصن (ناعم) مع وجود اعداد قليلة من جيشهم حول الحصون الاخرى، ليحولوا بذلك دون ارسال المدد بين الحصون. (انظر الخارطة رقم ٧).

لم يصمد حصن ناعم كثيراً، فسقط في ايدي المسلمين، ليكون اول حصن يستسلم اهله مما زاد من معنويات المسلمين، واضعفت من معنويات اليهود.

توجه المسلمون بعد حصن (ناعم) الى حصون (النطاة) وهي حصن (الصعب) وحصن (قلة) وبدأوا بحصار حصن الصعب، فخرج اليهم رجل منه يقال له (يوشع) فلقية الحباب بن منذر، وتبارز معه وقتله، ثم خرج رجل آخر يقال له الدبال، فلقيه عمارة بن عقبة الغفاري، وتبارز الرجلان واستطاع عمارة ان يقتل الدبال، فخرج اهل الحصن، والذي يقدر عدد مقاتليه بخمسمائة رجل، ودار قتال شديد بينهم وبين المسلمين، استطاع اهل الحصن ان يردوا المسلمين عن حصنهم عدة مرات، الا ان المسلمين شنوا هجوماً عنيفاً على اعدائهم، ولم يستطع اهل الحصن في هذه المرة رد المسلمين، فسقط عدد كبير من الطرفين بين جريح وقتيل، ودخل المسلمون الحصن فوجدو كميات كبيرة من الطعام، في الوقت الذي بدأ المسلمون فيه يعانون من قلته، ووجدوا كذلك في الحصن الآت حرب مثل المنجنيق والدبابات.

ثم حاصر المسلمون حصن (قلة) لمدة ثلاث ايام، عندها خرج اهل الحصن الى المسلمين،

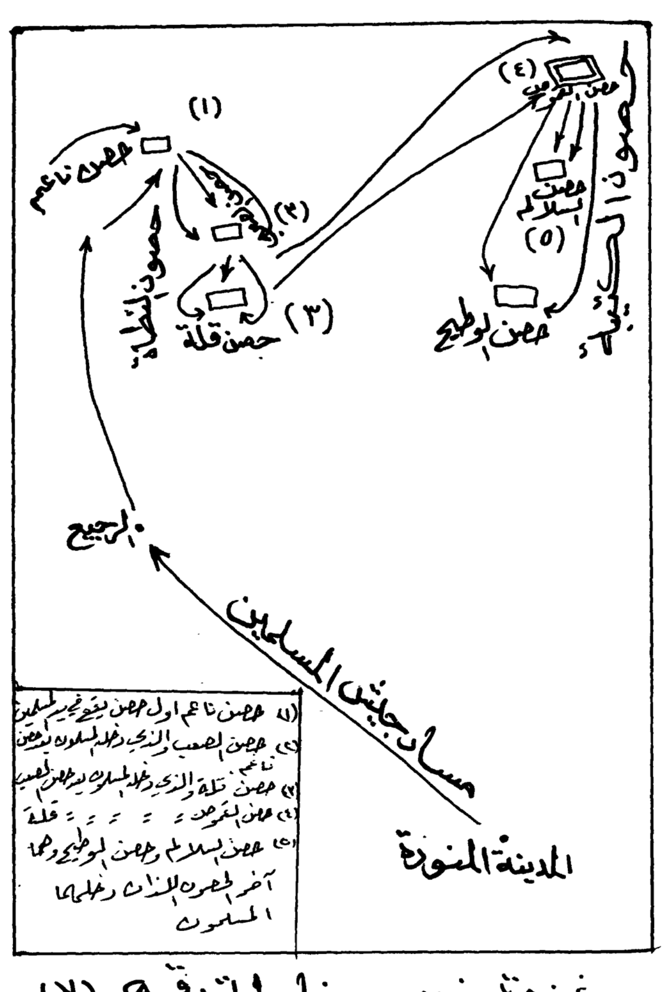
واقتتل الطرفان قتالاً شديداً، سقط على اثره الحصن في ايدي المسلمين، بعد مقتل عشرة رجال من اليهود، واستشهاد عدة رجال من المسلمين.

بعد ذلك توجه المسلمون الى حصون (الكتيبة) وهي حصن (القموص) وحصن (الوطيح) وحصن (البسلالم) وكان قد لجأ اليها من استطاع الفرار من اليهود من الحصون الاخرى التي استولى عليها المسلمون، فبدأوا بمحاصرة حصن القموص، وهو اكبر حصون خيبر وامنعها، واستطاع اهل الحصن الصمود امام حصار المسلمين عشرين ليلة قبل استسلامهم فدخله المسلمون، ثم توجهوا الى حصون الوطيح والسلالم، وفرضوا عليهما الحصار واخذوا بضربهما بالمنجنيق، وبعد اربعة عشر يوماً، ايقن اليهود ان مصيرهم الهلاك، ان هم استمروا بالمقاومة، فطلب اهل الحصنين من الرسول — عليه السلام — الصلح، فوافقهم على ذلك على ان يخرجوا من خيبر، ويتركوا ارضها للمسلمين، مقابل حقن دمائهم، وترك الذرية لهم.

وهكذا تم اخضاع خيبر كلها للمسلمين واراد الرسول ﷺ اجلاء اليهود عنها، الا انهم طلبوا من الرسول ﷺ ان يقيهم في خيبر ليعملوا في الزراعة، مقابل اعطاء المسلمين نصف انتاجهم منها، ولان المسلمين غير متفرغين للزراعة، لانشغالهم في نشر الدعوة الاسلامية والجهاد في سبيل الله، فقد وافق الرسول ﷺ على العرض الذي تقدم به اهل خيبر، وابقاهم في ديارهم.

بعد ذلك قسم الرسول — عليه السلام — الغنائم بين اصحابه، ثم عاد الى المدينة المنورة، فجاءه وفد من يهود فدك، بعد ان علموا ما حل باهل خيبر، يطلبون منه الامان، مقابل ان يعطوا المسلمين نصف ثمار ارضهم، فوافقهم الرسول ﷺ على ذلك.

كانت خسائر المسلمين في غزوة خيبر حوالي عشرين شهيداً، مقابل اعداد كبيرة من القتلى اليهود.



غزوة خيبر خارطة رقم (٧)

معركة مؤتة

رأيت خيار المؤمنين تواردوا شعوب وخلفا بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبدالله حين تتابعوا جمعاً وأسباب المنية تخطر (١)

تاريخ المعركة: شهر جمادى الاولى من السنة الثامنة للهجرة (٦٢٩ ميلادية).
مكانها: قرية مؤتة من بلاد الشام، تقع حالياً في محافظة الكرك في المملكة الاردنية الهاشمية (انظر الخارطة رقم ٨).
اهدافها:
لم تكن الجزيرة العربية تشكل مصدر تهديد وعامل اقلاق للامبراطورية الرومانية، فالعرب في جاهليتهم لم يكونوا اكثر من قبائل متفرقة متناحرة، لم ترق الى بلورة مفهوم شامل للامة التي تجمعها راية واحدة، ودولة واحدة، سيما ان عرب الشام كانوا تحت هيمنة الروم، وعرب العراق تحت السلطة والنفوذ الفارسيين، ولكن ومع بزوغ فجر الاسلام، وبعد ان غدا المسلمون هم القوة الرئيسية في جزيرة العرب، بدأ الروم يدركون ما يشكله ذلك من خطر على نفوذهم، الذي من الممكن ان. يتعدى ذلك الى تهديد وجود امبرطوريتهم في الشرق، ان استطاع المسلمون توحيد جزيرة العرب، تحت راية الاسلام، فأخذوا بالتحرش بالمسلمين، والتحريض عليهم، ومحاربة دعاتهم، ولاح في الافق ما يحبكة الروم، وبمساعدة العرب النصارى في الشام، ضد المسلمين.
عندما استشعر الرسول ــ عليه السلام ــ ذلك وجه حملة عسكرية بهدف انجاز ضربة عسكرية للروم في عقر امبراطوريتهم، قاصداً من ذلك اشعارهم بان ما يقف بمواجهتهم هو جيش ذو تنظيم، ودولة ذات سلطة وسيادة، قادرة على الدفاع عن نفسها.
السبب المباشر لمعركة مؤتة هو: قتل خمسة عشر رجلاً من دعاة الاسلام من اصحاب الرسول ــ عليه السلام ــ في الشام، في مكان يقال له: (ذات الطلع) وهم في مهمة سلمية بهدف نشر الاسلام عن طريق الاقناع بالحسنى.

الموقف قبل المعركة
١ ــ موقف المسلمين
اعد الرسول ــ عليه السلام ــ جيشاً قوامه ثلاثة الاف مقاتل، لارساله الى بلاد الشام في اول غزوة للمسلمين خارج الجزيرة العربية.

---

(١) ابيات من قصيدة قالها حسان بن ثابت في معركة مؤته.

جعل عليه السلام قيادة الجيش لزيد بن حارثة، فان اصيب فجعفر بن ابي طالب، فان اصيب فعبد الله بن رواحة.

ودع الرسول ــ عليه السلام ــ جيشه بالقرب من المدينة، وسار الجيش حتى وصل (معان) في بلاد الشام (جنوب الاردن حالياً) وبقي الجيش هناك ليلتين، والمسلمون يتدراسون الموقف بعد ان علموا ان هرقل ملك الروم قد نزل (مآب) في مائتي الف مقاتل فقال المسلمون: (نكتب الى الرسول ــ عليه السلام ــ فنخبره بعدد عدونا، فأما ان يمدنا بالرجال، واما ان يأمرنا بامره فنمضي به). (١)

ولكن سرعان ما تحرك المسلمون من معان الى تخوم البلقاء، لملاقاة الروم هناك، بغد ان خطب فيهم عبدالله بن رواحة قائلاً: (يا قوم والله ان التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، فما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به، فانطلقوا، فانما هي احدى الحسنيين، اما ظهور، واما شهادة، فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة (٢)، وواصل المسلمون تقدمهم حتى وصلوا الى قرية اسمها (مشارف) بالقرب من مؤتة.

٢ ــ موقف الروم.

ما ان علم هرقل بتحرك جيش المسلمين، حتى قام باعداد جيش قوامه مائة الف مقاتل، سار بهم حتى وصل الى (مؤاب) وانضم اليه مثل عددهم من القبائل العربية الموالية للروم من قبائل لخم وجذام والقين وبهراء وبلي، ليصبح بذلك عدد الجيش الذي اعد لمقاومة المسلمين مائتي الف مقاتل، اخذوا يحتشدون قرب مؤتة، وهم ينتظرون وصول جيش المسلمين لمقاتلته.

سير المعركة

حصل اول تماس بين المسلمين واعدائهم في قرية المشارف، الا ان زيد بن حارثة امر جيشه بالتحرك الى مؤتة، ليكون القتال هناك، وذلك لوجود الموانع الطبيعية التي يستطيع المسلمون التحصن بها، نظراً لقلة عددهم امام كثرة اعدائهم.

بدأ القتال بين الطرفين، فاندفع قائد جيش المسلمين زيد بن حارثة بالراية الى صفوف العدو، وقاتل قتالاً مستميتاً حتى قتل، فأخذ الراية جعفر بن ابي طالب، وقاتل كسلفه حتى قطعت يده اليمنى، فأخذ الراية بيده اليسرى حتى قطعت، فاحتضن الراية حتى قتل، وانتقلت الراية الى عبدالله بن رواحة والذي قاتل حتى قتل.

اخذ الراية ثابت بن ارقم، وهتف بالمسلمين ان يصطلحوا على قائد منهم، فأصطلحوا على خالد بن الوليد، الذي استلم الراية في مساء اليوم السادس للمعركة.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، مجلد ٢، صفحة ٣٧٥.
(٢) نفس المصدر السابق، مجلد ٢، صفحة ٣٧٥.

كان الرسول ــ عليه السلام ــ يراقب المعركة من المدينة المنورة، وهي معجزة من المعجزات التي منحها الله للرسول فنعى عليه السلام لاصحابه في المدينة زيداً وجعفراً وابن رواحة، وكان يصف لهم اولاً بأول احداث المعركة مع الروم، واخبرهم بتسلم خالد بن الوليد للقيادة قائلاً: «اخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليه».

كان تولي خالد بن الوليد للقيادة مع حلول الظلام، وهو الوقت الذي يتوقف فيه القتال، فقام بوضع خططه، لاخراج جيش المسلمين مما هم فيه فجمع شتات الكتائب، بعد الفوضى التي عمت صفوفهم واعاد تنظيم جيشه باسرع وقت، وانتخب مجموعة من الفرسان فأمرهم ان يذهبوا دون ان يراهم الروم الى خلف جيش المسلمين من جهة الجزيرة العربية، وان ينطلقوا في الصباح الباكر جهة المسلمين بسرعة كبيرة بعد انقسامهم الى فصائل تصل الجيش في فترات متقاربة، على ان يركضوا بخيولهم في اماكن ترابية حتى يثيروا الغبار الكثيف خلفهم وقد قصد خالد بن الوليد من ذلك ان يظن الروم ان جيشاً كبيراً قد اتى من المدينة لمساندة جيش المسلمين وبذلك يدب الرعب في صفوفهم.

وفي تلك الليلة قام خالد بن الوليد بتغيير كلي في ترتيب جيشه، فوضع ميمنة الجيش مكان الميسرة، ووضع الميسرة مكان الميمنة، واجرى تبديلاً في قلب الجيش، وما ان طلع الفجر حتى اتم خالد مهامه، وبذلك استطاع ان يوهم الروم ان جيشاً غير الجيش الذي لاقوه في الامس قد وصل الى ارض المعركة.

وامام حيرة الروم من التغيير الذي شاهدوه، اخذ فرسان المسلمين يتقدمون من جهة الجزيرة وهم يهللون ويكبرون والغبار خلفهم، مما زاد من خوف الروم واوقع الرعب في صفوفهم وصفوف اعوانهم من العرب النصارى، فاستغل خالد بن الوليد ذلك وامر جنوده بالقيام بهجوم شامل على اعدائه باقصى امكانياتهم، فتضعضع الروم امام هجمات المسلمين، وقتل منهم اعداد كبيرة.

ولما كان هدف القائد خالد بن الوليد من كل ذلك، هو الانسحاب من ارض المعركة وباقل الخسائر، فقد استغل الفوضى التي عمت صفوف الروم امام هجمات المسلمين، وأمر اصحابه بالانسحاب بهدوء ونظام، وبشكل تدريجي صوب الجزيرة العربية، وامر فرسان المسلمبن بالاستمرار بالتماس مع الروم، حتى يقطعوا عليهم التفكير في ملاحقة المسلمين، ثم انسحبوا بعد ان ابتعد الجيش عن ارض المعركة والتحقوا به.

لم يقم الروم بملاحقة المسلمين، لانهم توقعوا ان هدفهم ليس الانسحاب، وانما ايقاع الروم في كمين نصبوه خلف مكان المعركة.

واصل جيش المسلمين عودته حتى وصل ضواحي المدينة المنورة، وهناك لاقاه اهل المدينة والذين لم يعجبهم عودة الجيش دون ان يحقق انتصاراً على الروم، ظناً منهم ان جيشهم قد

انهزم وفر من امام اعدائه، فأخذوا يصيحون في وجوه العائدين يا فرار يا فرار والرسول — عليه السلام — يقول «ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار ان شاء الله».
استشهد من المسلمين في المعركة اثنا عشر رجلاً، مقابل مقتل اعداد كبيرة من الروم.


البحر الأبيض المتوسط
عمان
مؤتة
معان
تبوك
المدينة المنورة
البحر الأحمر
الخليج العربي
الربع الخالي

خارطة رقم (٨)

غزوة فتح مكة المكرمة

قال تعالى ﴿اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ (١).

تاريخ الغزوة : العشرون من رمضان من السنة الثامنة للهجرة (٦٢٩ ميلادية).
مكانها : مكة المكرمة.

اهداف الغزوة والسبب المباشر لها.

سبق وان عقد الرسول ــ عليه السلام ــ صلحاً مع قريش، استطاع من خلاله التفرغ لنشر الاسلام داخل الجزيرة العربية، والقضاء على اليهود فيها، الا ان الصلح كان عائقاً امام اخضاع مكة للاسلام، وهي التي كانت تعتبر العاصمة الدينية والسياسية للجزيرة العربية، لاحتوائها البيت الحرام، محج العرب وقبلتهم ومجمع آلهتهم.

وقد نص احد بنود صلح الحديبية مع قريش، على انه من اراد ان يدخل في عهد المسلمين دخل فيه، ومن اراد ان يدخل في عهد قريش دخل فيه، فدخلت خزاعة في عهد الرسول ــ عليه السلام ــ ودخل بنو بكر في عهد قريش.

وكان بين هاتين القبيلتين ــ بني بكر وخزاعة ــ عداء وثارات قديمة، فكان دخول احدهما في عهد المسلمين والاخرى في عهد قريش، يعني التزامهما بالصلح المبرم بين الطرفين، واحترامهما له، لكن بني بكر قامت وبتحريض من قريش بالاعتداء على خزاعة حليفة الرسول ــ عليه السلام ــ، مما دفع خزاعة للاستنجاد به عليه السلام لوقف هذه الاعتداءات.

ولما كان اعتداء بني بكر على خزاعة نقضاً لبنود صلح الحديبية من جانب قريش، فقد قام الرسول ــ عليه السلام ــ بالاستعداد لاخضاع مكة للاسلام.

الموقف قبل الغزوة

جاءت اخبار اعتداءات قريش وبني بكر على خزاعة من خلال عمرو بن سالم الخزاعي، الذي جاء مسرعاً الى الرسول ــ عليه السلام ــ في المدينة المنورة، وقص عليه وعلى اصحابه في المسجد، ما لقيه قومه على ايدي بني بكر وقريش داخل مكة وخارجها، فقال له الرسول ــ عليه السلام ــ، «نصرت ياعمرو بن سالم».

شعرت قريش بخطورة ما قامت به، فقررت ارسال ابي سفيان بن حرب الى المدينة، لعله يستطيع اقناع الرسول ــ عليه السلام ــ بالاستمرار بالصلح.

---

(١) سورة النصر.

ووصل ابو سفيان الى المدينة، وكلم الرسول ـــ عليه السلام ـــ فلم يرد عليه، فذهب الى ابي بكر الصديق، ليشفع له عند الرسول ـــ عليه السلام ـــ فابى، فذهب الى عمر بن الخطاب، الذي رد عليه رداً غليظاً قائلاً له: «اانا اشفع لكم عند رسول الله، والله لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم به» فذهب ابو سفيان الى علي بن ابي طالب لعله يساعده في مهمته، فرد عليه علي بن ابي طالب بالرفض، ونصحه بالعودة الى مكة، فركب ابو سفيان بعيره، وعاد من حيث اتى، ليخبر قريشاً عن ما لقيه من صدود.

أمر الرسول ـــ عليه السلام ـــ اصحابه بالاستعداد للحرب، دون ان يحدد لهم الجهة التي يقصدها حتى لاتتسرب اخبار تحركه الى قريش، الى ان اكمل المسلمون استعداداتهم للحرب وتجهزوا للمسير، عندها حدد لهم الرسول ـــ عليه السلام ـــ مقصده، وقام ببث العيون امامه ليحول دون وصول اخبار مسير الجيش الى قريش، حتى لا تستعد لمقاتله المسلمين، وبالتالي يكون دخول مكة من غير حرب.

وفي العاشر من رمضان، تحرك جيش المسلمين الذي يبلغ تعداده عشرة الاف مقاتل من المهاجرين والانصار وقبائل سليم وغطفان ومزينة وغيرهم، بعد ان استخلف الرسول ـــ عليه السلام ـــ على المدينة، ابا رهم، كلثوم بن حصين ابن عتبه الغفاري.

ولم تعلم قريش عن تحرك المسلمين، ولا عن نيتهم، الا انها كانت تتوقع خروج المسلمين الى مكة، فكانت تراقب بالقرب منها، وتستطلع الاخبار.

وصل جيش المسلمين الى (الظهران) قرب مكة، وانتظر الرسول ـــ عليه السلام ـــ حلول الظلام، عندها امر اصحابه بان يوقد كل رجل منهم ناراً، وذلك لارهاب قريش من ضخامة الجيش، قبل معرفتها بهويته.

وما ان رأت قريش النيران، حتى ارسلت ابا سفيان ليستطلع الأمر، فالتقى بالعباس عم الرسول ـــ عليه السلام ـــ والذي احضره الى الرسول ـــ عليه السلام ـــ وهناك اعلن ابو سفيان اسلامه.

وفي الصباح، امر الرسول ـــ عليه السلام ـــ بعرض الجيش امام ابي سفيان، حتى يرى ضخامته، فيعمل على اقناع اهل مكة بعدم الحرب.

عاد ابو سفيان الى مكة، واخبر قريشاً بما رأه، وطلب منهم عدم مقاومة المسلمين، معلناً لهم ان الرسول ـــ عليه السلام ـــ قد أمّن كل من يدخل دار ابي سفيان او المسجد الحرام او يلزم بيته، ففعل اهل مكة ذلك، الا فئة قليلة ابت الا القتال.

خطة دخول مكة

وضع الرسول ـــ عليه السلام ـــ خطته لدخول مكة على النحو التالي:

١ . خالد بن الوليد على الميمنة لدخول مكة من اسفلها (جنوبها) مروراً بقبائل اسلم وغفار ومزينه وجهينه.
٢ . الزبير بن العوام على الميسره، لدخول مكة من اعلاها (شمالها).
٣ . ابو عبيدة، عامر بن الجراح على المقدمة، لدخول مكة من الشمال الغربي.
٤ . تتجمع القوات بعد دخول مكة في منطقة جبل هند.
٥ . امر الرسول ــ عليه السلام ــ قواده بان لايقاتلوا الامن يتعرض لهم.

دخول مكة

تحرك جيش المسلمين حسب الخطة التي وضعها الرسول ــ عليه السلام ــ وعند دخول مكة، تعرض خالد بن الوليد لمقاومة من متطرفي قريش، وبعض حلفائهم من بني بكر في منطقة (الخندمه)، وسرعان ما سيطر خالد بن الوليد على الموقف، وفر اعداؤه من امامه، بعد مقتل ثلاثة عشر رجلاً منهم، ورجلين من المسلمين، ولم يتعرض المسلمون في باقي المناطق الى اي مقاومة تذكر، فدخلوا مكة المكرمة، دون حرب، كما اراد الرسول ــ عليه السلام ــ واخذت قوات المسلمين تتجمع في جبل هند، بعد استسلام مكة لهم.

قام الرسول ــ عليه السلام ــ بازالة الاصنام من الكعبة ومن حولها، وقد كان عددها ثلاثمائة وستين صنماً، أخذ الرسول ــ عليه السلام ــ يحطمها امام اعين قريش التي كانت ولزمن طويل تعبد تلك الاصنام وتعظمها، وكان ــ عليه السلام ــ يطعن تلك الاصنام بقوسه وهو يقول «جاء الحق وزهق الباطل، ان الباطل كان زهوقا»، وبعد اتمام ذلك امر بلالاً ان يؤذن فوق الكعبة، ثم صلى في البيت، وصعد عليه السلام على باب الكعبة وقريش ينظرون ماذا يصنع الرسول ــ عليه السلام ــ بهم، فخطب بهم خطبته المعروفة والتي قال في اخرها: «يا معشر قريش ماترون اني فاعل بكم؟»: قالوا «خيراً، أخ وابن اخ كريم»، فقال لهم: «لاتثريب عليكم اليوم، اذهبوا فانتم الطلقاء».

بقي الرسول ــ عليه السلام ــ في مكة خمسة عشر يوماً، ينظم امورها الادارية والاجتماعية، ويفقه الناس في الدين، ويرسل السرايا حولها والتي منها:
أ . سرية خالد بن الوليد الى بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة.
ب . سرية خالد بن الوليد الى العزي، وهو بيت بنخلة، كانت مضر من قريش تعظمه وكنانة وغيرها.

وعندما كان الرسول ــ عليه السلام ــ يتهيأ للعودة الى المدينة المنورة، علم بحشود قبيلتي هوازن وثقيف في حنين، فسار اليهم ليقاتلهم.

خسر المسلمون اثناء دخول مكة شهيدين، وخسر المشركون ثلاثة عشر قتيلاً وعدد من الجرحى.

غزوة حنين وحصار الطائف

قال تعالى:﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاًوضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم﴾(١).

غــزوة حنين.

تاريخ الغزوة: شهر شوال من السنة الثامنة للهجرة (٦٣٠ ميلادية).
مكانها : وادي حنين، وهو وادي قريب من مكة بينه وبين مكة ثلاثة ليال، وقيل بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً.(٢)

اسبابها.

قامت قبيلتا هوازن وثقيف بالتحشد في حنين، لمجابهة الرسول ــ عليه السلام ــ ظناً منهما انه سيقوم بمهاجمتهم بعد فتح مكة، فأعدوا انفسهم لغزوه قبل ان يغزوهم.

الموقف قبل المعركة:

١ ــ موقف المشركين

بعد ان فتح الرسول ــ عليه السلام ــ مكة المكرمة واخضعها للاسلام، مكث عليه السلام فيها اسبوعين، ثم اخذ يستعد للعودة الى المدينة المنورة.

وظنت قبيلتا هوازن وثقيف ان الرسول ــ عليه السلام ــ يتجهز ليسير اليهما، فقامت هاتان القبيلتان ومن انضم لهما من القبائل المجاورة، بالتحشد في (اوطاس) (٣) تحت قيادة رجل من قبيلة هوازن يدعى مالك بن عوف النضري، والذي امر المقاتلين بأحضار ابنائهم ونسائهم واموالهم الى ارض المعركة، ظناً منه ان الرجل لا ينهزم ويترك خلفه عياله وامواله:

٢ ــ موقف المسلمين

سمع الرسول ــ عليه السلام ــ بحشد المشركين في حنين، فارسل اليهم عبدالله بن ابي حدرد حتى يتحقق من الامر، وحين عاد عبدالله واخبر الرسول ــ عليه السلام ــ بأمر حشد

---

(١) سورة التوبة الايات ٢٥،٢٦،٢٧ .
(٢) معجم البلدان الجزء ٢ صفحة ٣١٣.
(٣) اوطاس: واد في ديار هوازن، ولذلك تسمى الغزوة ايضاً بغزوة اوطاس.

المشركين ونيتهم مهاجمة المسلمين، قرر عليه السلام مبادرتهم بالهجوم، فأمر اصحابه بالاستعداد للخروج الى اعدائهم، فلما اتموا ذلك، خرج بهم الرسول ـ عليه السلام ـ وساروا حتى وصلوا حنين، وقد كان عدد جيش المسلمين اثنى عشر الف مقاتل (عشرة الاف دخلوا مكة وانضم اليهم الفان من اهلها).

سير الغزوة

ما ان علم المشركون بتحرك المسلمين نحوهم حتى كمنوا لهم في جوانب وادي حنين، بهدف حصارهم فيه وجعله منطقة تقتيل للمسلمين، لارغامهم على الانسحاب، واتم المشركون ذلك، واخذوا مواقعهم قبل وصول المسلمين اليهم.

وصل المسلمون الى الوادي قبل طلوع الفجر، واخذوا يسيرون فيه، وانتظر اعداؤهم حتى انحدر اكثرهم فيه، عند ذلك قاموا برمي المسلمين بوابلٍ من السهام، ففوجىء المسلمون ولم يتبينوا مصدر الهجوم، بسبب الظلام واختفاء اعدائهم في كمائنهم.

كان لهذه المفاجأة اثر كبير في تفكك صفوف المسلمين، فأخذوا بالارتداد الى الخلف، للخروج من المأزق، وقد جعل ذلك اعداداً كبيرة من المسلمين حديثي العهد بالاسلام الى التفكير بالانسحاب، والذي كان منهم ابوسفيان الذي قال «لا تنتهي هزيمة المسلمين دون البحر».

ترك المشركون مواقعهم لمطاردة المسلمين، والذين اخذوا يزدحمون على مخارج الوادي، فانحاز الرسول ـ عليه السلام ـ وبعض اصحابه ذات اليمين، واخذ ينادي بالناس ليجتمعوا اليه، ولكن لم يتمكن من الوصول اليه غير مجموعة صغيرة، استطاعت ان تخترق ضربات المشركين الكثيفة.

اخذ الرسول ـ عليه السلام ـ يقاتل اعداءه بمئة رجل فقط، وبعد قتال شديد استطاع عليه السلام ان يردهم ويفرق صفوفهم، مما مكن الكثير من المسلمين من العودة الى ميدان القتال، وتوجيه الهجوم على المشركين من جميع الجهات.

لم يصمد المشركون امام ضربات المسلمين، فأخذوا يفرون من ارض المعركة والمسلمون يعملون فيهم قتلاً واسراً، وتفرق المشركون اثناء انسحابهم فمنهم من انهزم الى الطائف، وعلى رأسهم قائدهم مالك بن عوف، ومعه اكثر ثقيف، وانهزمت هوازن والقبائل الاخرى الى اوطاس ونخله.

ارسل الرسول ـ عليه السلام ـ السرايا لتطارد المشركين، فوصلت هذه السرايا الى اوطاس، وقتلت من المشركين سبعين رجلاً، كما وصلت الى نخلة، وقتلت اعداداً كبيرة منهم هناك، وعادت باعداد من الاسرى الى الرسول ـ عليه السلام.

وما ان جاء الضحى حتى كان الوضع قد استقر تماماً للمسلمين، فقام الرسول ـ عليه السلام ـ بتوزيع الغنائم على اصحابه، وأخذ يستعد للمسير الى الطائف لمقاتلة المشركين هناك.

حصار الطائف

عندما اكملت فلول المشركين انهزامها الى الطائف، اغلقوا مدينتهم عليهم، واخذوا ينتظرون قدوم المسلمين نحوهم.

سار الرسول ـــ عليه السلام ـــ الى الطائف، واقام معسكره بالقرب من حصونها، ودارت مناوشات بالسهام بين الطرفين، ونتيجة لقرب المسلمين من الحصون، فقد استشهد عدة رجال منهم، وجرح اخرون، عند ذلك امر الرسول ـــ عليه السلام ـــ اصحابه بالانسحاب قليلاً عن مواقعهم الى مدى لاتصل اليه سهام المشركين.

حاول المسلمون الوصول الى الحصون، فقام نفراً منهم بالدخول تحت الدبابات ولكن المشركين صبوا الحديد المصهور عليهم حين اقتربوا من الحصون، مما جعلهم يخرجون اتقاء الحديد فاصيب عدد منهم بنبال المشركين.

علم الرسول ـــ عليه السلام ـــ من خلال رجال تسللوا اليه من داخل الطائف، بوجود كميات كبيرة من الاطعمة داخل الحصون، وتمكن اهل الطائف من الصمود طويلاً امام الحصار، عند ذلك استشار عليه السلام اصحابه بشأن استمرار الحصار او ترك المدينة، فأشاروا عليه بتركها، وتحرك الجيش من هناك الى مكة لاداء العمرة، بعد (بضع عشر او بضع وعشرين ليلة) (١) على حصارهم الطائف.

واثناء عودة المسلمين الى مكة وخلال وجودهم في (الجعرانة) (٢) جاء الى الرسول ـــ عليه السلام ـــ وفد من هوازن يعلن اسلامه، ويطلب عودة الاموال والعيال، فخيرهم الرسول ـــ عليه السلام ـــ بين العيال والاموال فاختاروا العيال.

استشهد من المسلمين في حصار الطائف اثناء عشر رجلاً: سبعة من قريش واربعة من الانصار ورجل من بني ليث.

---

(١) تاريخ ابن خلدون الجزء ٢ صفحة ٤٧.

(٢) الجعرانة: ماء بين الطائف ومكة، وهي الى مكة اقرب، معجم البلدان الجزء ٢ صفحة ١٤٢.

غزوة تبوك (١)

قال تعالى ﴿يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل﴾ (٢).

تاريخ الغزوة: شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة (٦٣٠ ميلادية).

مكانها: مدينة تبوك، شمال الجزيرة العربية (انظر الخارطة رقم ٩).

اسبابها واهدافها:

جاءت هذه الغزوة على خلفية غزوة مؤتة، وامتداداً لها، فبعد ان عم الاسلام الجزيرة العربية، وتوحدت قبائلها تحت راية الدولة الاسلامية، بدأ الروم يعون عمق الخطر الذي يتهددهم، سيما وان الاسلام اخذ بالانتشار بين القبائل التي تقطن شمال الجزيرة، وهي التي كانت تدين بولائها للروم ودولتهم، وبدأ هرقل نتيجة لذلك، ولادراكه ان رسالة الاسلام لا تقف عند حدود، بحشد جيشه في تبوك، لغزو الجزيرة العربية، معتمداً على قبائل العرب في الشام، وشمال الجزيرة، جاعلاً منها نقطة الارتكاز لهجومه، وما ان علم الرسول ــ عليه السلام ــ بذلك حتى بدأ بالاستعداد لشن هجوم على الروم، لتحقيق الاهداف التالية:

١ ــ منع تقدم جيش الروم نحو الجزيرة العربية، حماية لدولة المسلمين وسيادتها.

٢ ــ نشر الاسلام خارج الجزيرة العربية.

٣ ــ ان يثبت للقبائل العربية الموجودة في شمال الجزيرة العربية، وقوفه معها، بعدما اخذت تلك القبائل باعتناق الاسلام على الرغم من نفوذ الروم في تلك المناطق.

٤ ــ التمهيد للمسلمين ــ من خلال هذه الغزوة ــ لبدء مرحلة الفتوحات خارج الجزيرة العربية.

الموقف قبل الغزوة.

أ . موقف المسلمين.

كان الرسول ــ عليه السلام ــ لا يخبر الناس بالجهة التي يريد ان يقصدها، حتى لا تصل اخبار تحركاته عليه السلام الى اعدائه ولكنه عندما علم ــ عليه السلام ــ بتحشدات الروم في تبوك، قام باخبار المسلمين عن وجهته للاسباب التالية:

١ ــ طول المسافة التي سيقطعها الجيش من المدينة المنورة الى تبوك.

٢ ــ الحر الشديد الذي سيتعرض له الجيش.

٣ ــ لم يكن وقت غزوة تبوك مناسباً لاكثر المسلمين، اذ جاءت في عام يشكو الناس فيه العسرة، وفي موسم نضج الثمار وقبل قطفها.

---

(١) وتسمى ايضاً غزوة العسره.

(٢) سورة التوبة الاية ٣٨.

وعلى الرغم من هذه الصعاب، فقد قام المسلمون باعداد انفسهم للمسير الى تبوك، وتحمل اغنياء المدينة الجزء الاكبر من نفقات اعداد الجيش.

وما ان اكمل المسلمون استعداداتهم، حتى انطلق بهم الرسول ــ عليه السلام ــ فأخذوا بقطع الصحراء القاحلة، يسيرون ليلاً، ويتوقفون في النهار، اتقاء للحر الشديد الى ان وصلوا تبوك.

٢ ــ موقف الروم.

اعد الروم جيشاً كبيراً تسانده بعض القبائل العربية الحليفة لهم، ولرفع معنويات الجنود وحثهم على القتال، فقد امر هرقل بصرف مرتبات سنة كاملة سلفاً لافراد جيشه النظاميين، وقام بتوزيع اموال كثيرة على القبائل العربية المساندة له.

بعد ان اتم هرقل استعداداته، اخذ بحشد قواته في تبوك، لينطلق منها الى الجزيرة لمحاربة المسلمين هناك.

سير المعركة

بقي الروم في تبوك بعد ان حشدوا قواتهم هناك، المكونة من الجنود النظاميين، وبعض القبائل العربية المساندة لهم، الى ان علموا بتحرك جيش المسلمين نحوهم، وبما يتمتع به هذا الجيش من ضخامة، ومعنويات مرتفعة، فقاموا بالانسحاب من تبوك نحو الشمال، قبل وصول جيش المسلمين هناك.

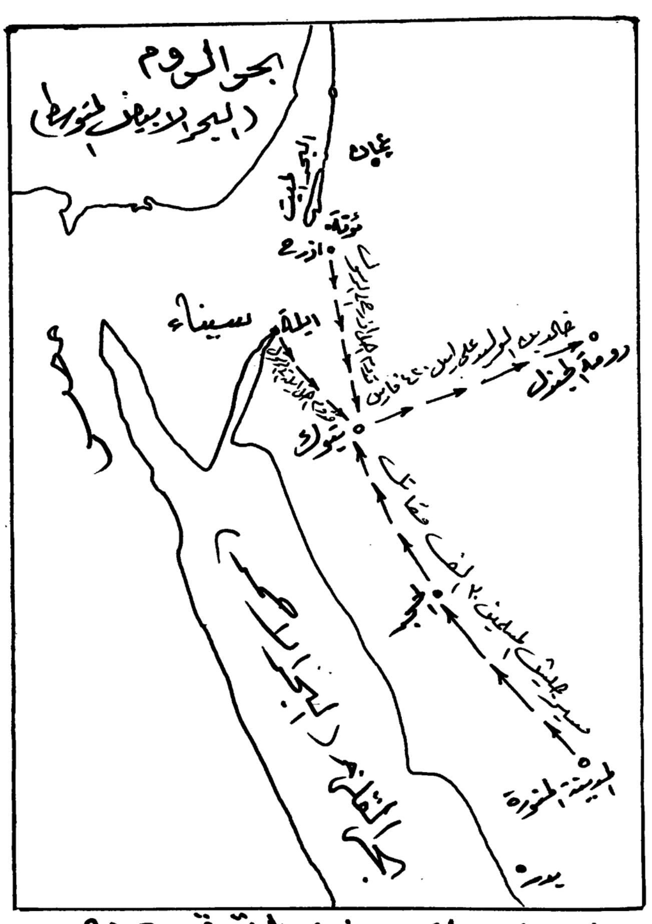
وصل الرسول ــ عليه السلام ــ الى تبوك، وعسكر بجيشه هناك، واخذ ينتظر لعل الروم يعودون اليه فيحاربهم، واستغل الوقت بعقد المعاهدات، وارسال الدوريات، فكان مجمل ما قام به اثناء وجوده في تبوك ما يلي:

١ ــ اتاه يوحنا بن رؤبة، صاحب ايلة، فعقد معه الرسول ــ عليه السلام ــ صلحاً، اقر فيه بدفع الجزية (انظر الخارطة رقم ٩).

٢ ــ اتاه اهل جرباء واذرح، فعقد معهم عليه السلام صلحاً واقروا بدفع الجزية.

٣ ــ بعث الرسول ــ عليه السلام ــ خالد بن الوليد في اربعمائة وعشرين فارساً، الى دومة الجندل (انظر الخارطة رقم ٩) وقبل وصول خالد الى المدينة، صادف بطريقه ملك دومة الجندل واخ له، قد خرجا لصيد بقر الوحش، فأسره خالد، بعد ان قتل اخاه، ثم هاجم دومة الجندل وفتحها، وغنم منها المسلمون الف بعير، واربعمائة درع، واربعمائة رمح، وعاد خالد بن الوليد باكيدر ملك دومة الجندل الى الرسول ــ عليه السلام ــ فصالحه، بعد ان اقر اكيدر بدفع الجزية، واخلى عليه السلام سبيله ليعود الى المدينة.

بقي الرسول ــ عليه السلام ــ في تبوك حوالي عشرين ليلة، ينشر الاسلام هناك، وينتظر لعل الروم يعودون، وعندما تأكد له ان الروم لن يعودوا الى تبوك، قام عليه السلام بالعودة بجيشه الى المدينة المنورة، وبذلك تكون غزوة تبوك اخر غزوات الرسول ﷺ.



غزوة تبوك خارطة رقم (٩)

بعثة اسامة بن زيد

تاريخ البعثة: شهر ربيع الاول من السنة الحادية عشرة للهجرة (٦٣٢ ميلادية).
مكانها: البلقاء من بلاد الشام.
اهدافها:

١ ـــ ازالة الرهبة الموجودة في نفوس العرب وغيرهم من دولة الروم، وكسر الحاجز النفسي الناتج من كونها دولة عظمى، تتمتع بقدرات عسكرية هائلة، وبالتالي فتح افاق جديدة امام الدعوة الاسلامية.

٢ ـــ مواصلة محاربة الروم لتأمين الحدود الشمالية للجزيرة العربية، وللحيلولة دون اعطاء الروم فرصة التفكير بغزو المسلمين.

الموقف قبل بعثة اسامه.

١ ـــ موقف المسلمين

منذ غزوة مؤتة والتي استطاع فيها خالد بن الوليد الانسحاب بالمسلمين من ارض المعركة، والرسول ـــ عليه السلام ـــ يتطلع لغزو الروم، استكمالاً لما بدأه زيد بن حارثة، وجعفر بن ابي طالب، وعبدالله بن ابي رواحة وغيرهم، فجاءت غزوة تبوك استمراراً لسابقتها، وضمن الاطار ذاته، الا ان الرسول ـــ عليه السلام ـــ لم يصطدم فيها بمواجهة عسكرية، بسبب انسحاب الروم الى داخل بلاد الشام.

بدأ الرسول ـــ عليه السلام ـــ بالتخطيط لحملة جديدة على بلاد الشام، فأمر بتكوين جيش لهذه الغاية، يضم كبار الصحابة، كأبي بكر، وعمر بن الخطاب، وجعل اسامه بن زيد قائداً لهذا الجيش، وهو الذي لم يكن قد بلغ العشرين من عمره.

خرج اسامه بن زيد وعسكر بجيشه (بالجرف) على مسافة ثلاثة اميال من المدينة المنورة، ولاحظ هناك ان كثيراً من المسلمين اخذوا يتذمرون من قيادته بسبب صغر سنه، في الوقت الذي يضم فيه الجيش كبار الصحابة، فخرج الرسول ـــ عليه السلام ـــ الى الناس بالرغم من اشتداد المرض عليه، وخطب فيهم وامر بأنفاذ الجيش بالقيادة التي عينها، وقد هم المسلمون بالمسير من الجرف الى بلاد الشام، لولا ان اسامه بن زيد، قد علم في هذه الاثناء بانتقال الرسول ـــ عليه السلام ـــ الى الرفيق الاعلى، فعاد الى المدينة ليشارك في غسل الرسول ـــ عليه السلام ـــ.

وبدأت مرحلة جديدة في حياة المسلمين، فتولى ابو بكر الصديق رضى الله عنه الخلافة، وارتدت كثير من القبائل عن الاسلام، لدى معرفتها بوفاة الرسول ـــ عليه السلام ـــ ثم اخذت الفتنة بالانتشار في ارجاء جزيرة العرب، فقرر ابو بكر محاربة المرتدين، في الوقت الذي كان فيه الرسول ـــ عليه السلام ـــ وقبل وفاته، قد امر بانفاذ جيش اسامه بن زيد الى بلاد الشام، وعلى الرغم من حاجة الخليفة الى كل طاقات الدولة، لقتال المرتدين، فقد امر بتنفيذ رغبة

الرسول ــ عليه السلام ــ واستعد جيش اسامه للمسير، فخرج اليهم ابو بكر وخطب فيهم قائلاً: «ايها الناس قفوا اوصيكم بعشر فاحفظوها عني... لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا أمرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة، ولا بعيراً، الا لمأكله». ثم استأذن الخليفة، اسامه بن زيد في بقاء عمر بن الخطاب، لمساعدته في تسيير امور الدولة، وانطلق اسامه بعد ذلك على رأس سبعمائة مقاتل، يقصد الشام.

٢ ــ موقف الروم

لم يتوقع الروم قيام المسلمين بغزوهم، في ظل الظروف التي اعقبت وفاة الرسول ــ عليه السلام ــ لذلك لم يبدوا اي استعداد لملاقاة جيش المسلمين.

وقائع الغزوة

وصل جيش اسامه الى بلاد الشام، وقام بمهاجمة اهل (ابنى) (وهي قرية صغيرة في مؤتة)(١) وذلك تمشياً مع اوامر الرسول ــ عليه السلام ــ قبل وفاته، وقبل تحرك الجيش، اذ قال لاسامه بن زيد عندما امره على الجيش: «سر الى موضع مقتل ابيك، فاوطئهم الخيل، فاغر صباحاً على اهل ابنى، وحرق عليهم، واسرع السير تسبق الاخبار فان ظفرك الله فأقلل اللبث فيهم، وخذ معك الادلاء، وقدم العيون والطلائع».

بقي المسلمون في القرى التي حددها لهم الرسول ــ عليه السلام ــ يوماً وليلة وهم ينشرون الاسلام، ويجمعون الغنائم، ويقاتلون من يقاتلهم، وياسرون من يعارضهم، ثم عادوا الى المدينة المنورة، بعد اربعين يوماً من مغادرتها، وقد حققوا النصر، دون ان يفقدوا اي مقاتل منهم.

عاد الجيش الى المدينة، في الوقت الذي اشتد فيه قتال المسلمين للمرتدين، فأستقبله الخليفة ابو بكر احسن استقبال واوكل اليه مهمة حماية المدينة خلال فترة راحته، وخرج باقي المسلمين لمحاربة المرتدين.

ساهم ارسال الخليفة لجيش اسامه، في بقاء القبائل العربية التي مر الجيش من ديارها على الاسلام، لادراكها ان المسلمين ما زالوا اقوياء، على الرغم من وفاة الرسول ــ عليه السلام ــ.

---

(١) معجم البلدان، الجزء ١، صفحة ٧٩.

حروب الردة (١)

زمانها: في السنة الحادية عشرة للهجرة، وقيل انها استمرت في اوائل السنة الثانية عشرة (٦٣٢، ٦٣٣ ميلادية).

مكانها: في معظم الجزيرة العربية (انظر الخارطة رقم ١٠).

قبل حروب الردة

عندما تولى ابو بكر الصديق رضى الله عنه الخلافة، ارتدت كثير من القبائل عن الاسلام، وادعى الكثيرون النبوة، بعد وفاة الرسول — عليه السلام — منهم مسيلمة الكذاب، الذي انحازت له بنو حنيفة، واهل اليمامة، وطليحة الاسدي، الذي انحازت له بنو اسد، وطيء وغطفان، وواصلت الوفود من القبائل العربية توافدها على المدنية المنورة، وهم يقرون الصلاة، ويطلبون من الخليفة اعفاءهم من اداء الزكاة، وباتت المدينة عرضة لاخطار محتملة من القبائل الطامعة بغزوها، والسيطرة عليها، في الوقت الذي ارسل فيه الخليفة ابوبكر، جيش اسامه بن زيد، الى بلاد الشام لمقاتلة الروم هناك، تنفيذاً لامر الرسول — عليه السلام — قبل وفاته.

هذه الامور جعلت خلافة ابو بكر في منتهى الصعوبة واملت عليه اتخاذ اجراءات صارمة، لاستعادة السيطرة على جزيرة العرب، واعادة بسط نفوذ الدولة وسلطتها، فكان من هذه الاجراءات:

١ — مقاتلة القبائل التي تقر الصلاة، وتمتنع عن اداء الزكاة الى بيت مال المسلمين، على الرغم من قلة عدد المسلمين، خاصة بعد ارسال جيش اسامه بن زيد لمحاربة الروم.

٢ — توقع الخليفة ان تكون المدينة المنورة عرضة لهجمات القبائل التي ارتدت عن الاسلام، فجعل على انقاب المدينة حراساً، يبيتون بالجيوش حولها، وكان من امراء الجيوش، علي بن ابي طالب، وسعد بن ابي وقاص، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف.

٣ — طلب الخليفة من المسلمين ملازمة المسجد، حتى يكونوا على استعداد لاي طارىء تسهيلاً للقيام باي امر تقتضيه الظرورة.

١ — الحرب بين ابي بكر الصديق رضى الله عنه وطليحة الاسدي.

ارسل طليحة الاسدي رجالاً الى المدينة المنورة، فنزلوا على وجوه الناس، مطالبين اياهم ان يحثوا الخليفة على اعفائهم من دفع الزكاة، ولكن ابا بكر رفض ذلك بشكل قاطع، فعادوا من المدينة، ونقلوا رد الخليفة الى قبائلهم (اسد وطيء وغطفان) ثم اقنعوا هذه القبائل بغزو المدينة، موهمين اياها، بقلة عدد المسلمين فيها.

---

(١) وقعت معارك كثيرة في حروب الردة ذكرتها تحت العنوان، اذ لايمكن الفصل بين هذه المعارك، فهي تشكل في مجملها معركة واحدة متداخلة متكاملة.

توقع الخليفة غزو هذه القبائل للمدينة، فجعل الحراس حولها، والزم اهلها البقاء في المسجد، وبعد ثلاثة ايام، قامت هذه القبائل بمهاجمة المدينة، بنصف جيشها، بينما بقي النصف الاخر في منطقة (حس) لتوفير الاسناد للمهاجمين، وعندما علم الخليفة بذلك، امر حراس المدينة بالبقاء في اماكنهم، وخرج مع المسلمين لمحاربة المرتدين، والذين لم يصمدوا امام المسلمين، وانسحبوا الى منطقة الحس، وانضموا هناك الى باقي قواتهم، ثم ما لبثوا ان استعدوا للمسلمين، اذ خرجوا اليهم، واخذوا بالقاء قرب الماء المنفوخة المربوطة بالحبال، ودحرجوها نحو المسلمين، فنفرت الابل منها ورجعت الى المدينة، والمسلمون عليها، دون ان يقتل منهم اي رجل، وتوقع المرتدون ان المسلمين قد وهنوا، وبات الخليفة في المدينة، يعبىء الجيش، ثم خرج ليلاً الى اعدائه، جاعلاً على ميمنته النعمان بن مقرن، وعلى ميسرته عبدالله بن مقرن، وعلى الساقة سويد بن مقرن، وما طلع الفجر الا والمسلمون وعدوهم في صعيد واحد، ودار قتال بين الطرفين، لم يصمد فيه المرتدون، فولوا الادبار، والمسلمون يلاحقونهم، حتى وصلوا الى (ذي القصة).

حدثت هذه الوقعة في شهر جمادى الاخرة من السنة الحادية عشرة للهجرة وكان لها رغم صغرها، اطيب الاثر في نفوس المسلمين، فقد اعادت لهم الثقة بانفسهم، حين استطاعوا ان يهزموا اعداءهم، واخذت الصدقات تعود الى المدينة المنورة.

قدم جيش اسامه بن زيد من بلاد الشام بعد ذلك بليال، فاستخلفه الخليفة في المدينة للراحة، والعمل على حمايتها، ان تعرضت لاي اعتداء، وركب الخليفة فيمن كان معه فى ذي القصة، وطلب المسلمون منه ان يرجع الى المدينة، ويوكل مهمة قتال المرتدين الى غيره من القادة الاكفاء، الا ان الخليفة رفض ذلك (وخرج بنفسه الى ذي حس، وذي القصة، حتى نزل على اهل الربذة بالابرق، وهناك جماعة من بني عبس وذبيان، وطائفة من بني كنانة، فاقتتلوا، فهزم الله الحارث وعوفاً، واخذ الحطيئة اسيراً، فطارد بني عبس، وبني بكر، واقام ابو بكر على الابرق اياماً، وقد غلب بني ذبيان على البلاد) (١) (انظر الخارطة رقم ١٠).

ثم خرج الخليفة بعد ان استراح جيش اسامه، الى ذي القصة مرة اخرى، على راس الجيوش الاسلامية، وهناك اعاد المسلمون طلبهم، والحوا عليه بالرجوع الى المدينة، فوافق على ذلك، وقام بتعيين القادة، وارسل مع كل قائد كتاباً، وفصل كل قائد بجنده من ذي القصة، ثم رجع الى المدينة.

قادة الجيوش وواجباتهم

عين الخليفة احد عشر اميراً، وعين لكل واحد منهم واجباته، وعلى النحو التالي:

---

(١) البداية والنهاية، الجزء ٦ صفحة ٣١٤.

١ ــ خالد بن الوليد المخزومي: يسير الى طليحة بن خويلد فاذا فرغ منه، سار الى مالك بن نويرة بالبطاح.
٢ ــ عكرمة بن ابي جهل: يسير الى مسيلمة الكذاب.
٣ ــ شرحبيل بن حسنة: يسير في اثر عكرمة بن ابي جهل، الى مسيلمة الكذاب، ثم الى بني قضاعة، ثم الى كندة بحضرموت.
٤ ــ المهاجر بن ابي اميه: يسير الى جنود العنسي، ومعونة الابناء على قيس بن المكشوح في اليمن.
٥ ــ خالد بن سعيد بن العاص: يسير الى مشارف الشام.
٦ ــ عمرو بن العاص: يسير الى جماع قضاعة ووديعة والحارث.
٧ ــ حذيفة بن محصن الغطفاني: يسير الى اهل دُبا بعُمان.
٨ ــ طرفة بن صاحب: يسير الى بني سليم، ومن معهم من هوازن.
٩ ــ سويد ين مقرن: الى تهامة باليمن.
١٠ ــ العلاء بن الحضرمي: الى البحرين.
١١ ــ عرفجة بن هرثمة: الى مُهرة.

٢ ــ خالد بن الوليد ومحاربة المرتدين.

أ وقعة بزاخة

بعد انتصار الخليفة ابو بكر على المرتدين في وقعة ذي القصة، طلب الى الامراء الذين عينهم السير كل الى الجهة التي حددت له، وكانت مهمة خالد بن الوليد محاربة طليحة الاسدي ومن تبعه من بني اسد وطيء وغطفان.

ودع الخليفة خالد بن الوليد، ووعده بانه سيلقاه من ناحية خيبر، بمن معه من الامراء، وذلك لارهاب المرتدين، وليكون وصول خالد لهم مباغتة (وكان الصديق قد بعث عدي بن حاتم قبل خالد بن الوليد وقال له. ادرك قومك، لا يلحقوا بطليحة فيكون دمارهم)(١) فلما مال خالد بن الوليد الى بني طيء، طلب منه عدي امهاله ثلاثة ايام، لعله يستطيع اقناع بني طيء بعدم مقاتلة المسلمين، وبالعودة الى الاسلام، وبالفعل نجح عدي في مهمته، ورجع الى خالد بن الوليد في خمسمائة مقاتل من بنيء طيء، ممن عادوا الى الاسلام، وبذلك جنب المسلمين الصدام مع طيء، واضاف الى جيشهم قوات تسانده.

ثم اراد خالد بن الوليد بني جذيلة فطلب منه عدي بن حاتم ان يمهله حتى يذهب اليهم لعله ينقذهم كما انقذ بني طيء، فوافقه خالد على ذلك، وذهب عدي الى بني جذيلة، وعاد

(١) البداية والنهاية، الجزء ٦ صفحة ٣١٧.

من هناك بالف راكب، عادوا الى الاسلام، وانضموا الى جيش خالد.
ثم انطلق خالد حتى نزل (بأجأ وسلمى) وهناك عبأ خالد جيشه، وتقاتل مع طليحة الاسدي، في مكان يقال له بزاخة (وهو ماء لطيء بارض نجد، وقيل ماء لبني اسد)(١).
وكان قد انضم الى طليحة عينية بن حصن، في سبعمائة من قومه بني فزارة، وعندما دار القتال بين المسلمين واتباع طليحة انسحب عينية مع رجاله عن طليحة وبذلك تفرق المرتدين، وهرب طليحة ومعه امرأته الى بلاد الشام.
ثم نزل خالد على بني كلب، وهناك اسر عينية بن حصن، وبعث به مكبلاً الى المدينة المنورة، وبقي خالد في بزاخة شهراً كاملاً، يقاتل فلول المرتدين، وياخذ بثأر من قتل من المسلمين، واستسلمت له بنو سليم، وهوازن، واقروا دفع الزكاة، بعد ان علموا بانتصار خالد على طليحة الاسدي.

ب . وقعة البطاح.
بعد انتصار خالد على طليحة وبعد ان استسلمت له قبائل طيء، وبني اسد وبني سليم، وهوازن، اراد خالد استغلال الموقف، والهجوم على مالك بن نويرة، الا ان الانصار عارضوه في ذلك، وابوا المسير معه، حتى يرسلوا بذلك الى الخليفة، ليروا ما يأمرهم به، فسار خالد بدونهم الى (البطاح) وبعد يومين، ارسل له الانصار انهم سيلحقون به.
وعندما وصل خالد بن الوليد الى البطاح، وجد ان مالك بن نويرة قد فرق قومه في ديارهم، وهرب هو الى الصحراء.
بعث خالد السرايا لجمع الهاربين، واخذ الغنائم، فعادت احدى السرايا بمالك بن نويرة، والذي قتله احد المسلمين خطأ.
جـ . وقعة اليمامة.
اصبح لمسيلمة الكذاب نفوذ واسع في بني حنيفة في نجد، بعد ادعائة النبوة، وخداعه قومه، بانه شريك للرسول ــ عليه السلام ــ في الوحي، وما زاد من خطره على الاسلام، كثرة بني حنيفة، والتفافهم حول مسيلمة، ولذلك تعتبر وقعة اليمامة من اصعب المعارك التي خاضها المسلمون في حروب الردة.
عندما عين الخليفة ابو بكر الامراء في ذي القصة، امر عكرمة بن ابي جهل ان يتوجه الى اليمامة، لمقاتلة مسيلمة الكذاب، ولكنه عجز ان يصمد امام كثرة بني حنيفة، وحاول شرحبيل ايضاً مقاتلة مسيلمة، الا انه اخفق كما اخفق عكرمة، فارسل الخليفة الى عكرمة وشرحبيل ان يتوقفا عن مقاتلة مسيلمة الكذاب، لحين وصول خالد لهما.
واثناء مسير جيش خالد باتجاه اليمامة، اصطدمت مقدمة جيشه باربعين فارساً من بني حنيفة،

---

(١) معجم البلدان، الجزء ١ صفحة ٤٠٨

يقودهم مجاعة بن مرارة، وكان هؤلاء الفرسان منطلقين لاخذ ثأر من بني سليم، وبني عامر، فالقى المسلمون القبض عليهم، وارسلوهم الى خالد بن الوليد، الذي لم يصدق سبب خروجهم فقتلهم جميعاً، الا مجاعة، فقد ابقاه خالد للحصول على المعلومات عن عدوه، وعدته، وتحصيناته.

ونظراً لصعوبة الموقف، ولضمان نجاح المسلمين في معركتهم في اليمامة، فقد ارسل الخليفة بقوات اسلامية، لدعم جيش خالد، وتوفير الحماية اللازمة له من الخلف، لمنع المرتدين من الالتفاف على جيش المسلمين.

وما ان علم مسيلمة الكذاب بقدوم خالد نحو اليمامة، حتى ضرب عسكره في (عقرباء) جاعلاً جيش المسلمين امامه، وريف اليمامة خلفه (انظر الخارطة رقم ١٠).

تقابل الجمعان، وبدأ بنو حنيفة الهجوم على المسلمين، واستطاعوا اختراق صفوف المسلمين، وازاحتهم عن موقعهم، حتى انهم دخلوا خيمة خالد بن الوليد.

اعاد خالد بن الوليد تجميع المسلمين، وتنظيم صفوفهم، وقام بهجوم كبير على المرتدين، ودارت معركة عنيفة بين الطرفين، لم يصمد فيها المرتدون كثيراً، واخذو يتقهقرون وينسحبون الى حديقه محاطة بالاسوار، وعندما اتموا ذلك، قاموا بأغلاق ابوابها عليهم.

لاحق المسلمون المرتدين الى الحديقة واستطاعوا دخولها من احد ابوابها، بعد ان دخل لها البراء بن مالك، من على احد جدرانها، وفتح الباب، فاندفع المسلمون الى داخلها، ودارت معركة كبيرة مع المرتدين، بين اشجار النخيل، انتهت بالقضاء على كل المرتدين الموجودين داخل الحديقة، وقتل مسيلمة الكذاب على يد وحشي مولى جبير بن مطعم، قاتل حمزة عم الرسول — عليه السلام — في معركة احد، واشترك مع وحشي في قتل مسيلمة، رجل اخر من الانصار، حيث ضربه وحشي بحربته وضربه الانصاري بسيفه.

بعد نصر المسلمين في الحديقة ومقتل مسيلمة الكذاب، اراد خالد بن الوليد تطهير الحصون الموجودة هناك، ولكن مجاعة بن مرارة، استطاع ان يخدعه، وذلك انه عندما (نادى خالد بن الوليد بالرحيل لينزل على الحصون، قال له مجاعة: انه والله ما جاءك الا سرعان الناس، وان الحصون لمملؤة رجالاً، فهلم لك الى الصلح على ما ورائي فصالحه خالد على كل شيء، دون النفوس، ثم قال مجاعة: انطلق اليهم فاشاورهم، وننظر في هذا الامر، ثم ارجع اليك فدخل مجاعة الحصون، وليس فيها الا النساء والصبيان ومشيخة فانيه، ورجال ضعفى، فظاهر الحديد على النساء، وامرهن ان ينشرن شعورهن، وان يشرفن على رؤوس الحصون، حتى يرجع اليهن، فنظر خالد الى رؤوس الحصون وقد اسودت)(١) فصدق ما قاله مجاعة ووافق على الصلح، وذلك لان المسلمين قد انهكتهم الحرب، وكثرت الجراحات فيهم، ودعا خالد قوم مجاعة الى الاسلام فاسلموا عن اخرهم.

---

(١) تاريخ الطبري، الجزء ٢ صفحة ٢٨٢.

قتل من المسلمين في وقعة اليمامة حوالي الف شهيد، وقتل من المرتدين حوالي عشرين الف رجل، من اصل اربعين الف مقاتل.

٣ ـ حروب البحرين.

عقد الخليفة لواءاً للعلاء بن الحضرمي، وامره بالمسير الى البحرين، لمقاتلة المرتدين هناك، وكان يسكنها بنو بكر، وبنو عبد القيس، من قبائل ربيعة، فعادت بنو قيس الى الاسلام، بينما رفضت بنو بكر ذلك.

انطلق العلاء بن الحضرمي الى البحرين، ومر باليمامة بعد انتصار خالد بن الوليد على المرتدين فيها، فانضمت اليه اثناء مسيره بعض القبائل الموجودة في طريقه، ممن استمروا على الاسلام، ومن الذين عادوا اليه.

واجهت الجيش اثناء تحركه ظروف قاسية، ولكن تصميم الرجال على مواصلة المسير في سبيل الله جعلهم يتخطون كل العقبات التي مرو بها من حر وجوع وعطش.

وصل الجيش الى منطقة (الحطم) وعسكر هناك، فاخذ المسلمون يحفرون الخنادق، كوسائل دفاعية، وذلك لكثرة عدد عدوهم، وقام اعداؤهم بحفر الخنادق ايضاً، ودارت مناوشات بين الطرفين، استمرت لمدة شهر، دون ان يحقق اي طرف نتائج حاسمة خلال هذه المدة.

وفي اجواء الانتظار والضجر هذه، سمع المسلمون ذات ليلة ضوضاء شديدة في معسكر عدوهم، فأرسل القائد العلاء بن الحضرمي احد جنوده الى هناك، ليأتيه بالخبر، فوجد المرتدين في حالة سكر، بعد افراطهم في شرب الخمر، عند ذلك عمل العلاء على استغلال هذه الفرصة، فامر جنوده بأقتحام خنادق المرتدين، وانزل المسلمون بأعدائهم خسائر كبيرة، ولم يمض وقت طويل، حتى استطاعوا قتل وجرح واسر معظم المرتدين، وفر الباقون منهم باتجاه جزيرة دارين المواجهة للبحرين.

طارد المسلمون المرتدين الفارين الى الجزيرة، واستطاعوا ان يقضوا على كل اعدائهم هناك، وبذلك عادت البحرين الى الاسلام، واخذت الحياة هناك تعود الى طبيعتها.

٤ ـ حروب عُمان ومهرة اليمن

كان الخليفة ابو بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ قد عقد لواءاً لحذيفة بن محصن، وامره بالمسير الى (دُبا) بعُمان، وعقد كذلك لواءاً لعرفجة بن هرثمة، وامره بالمسير الى مهرة اليمن، وامر الخليفة الاميرين ان يسيرا معاً، وان يبدآ بعُمان، وتكون القيادة لحذيفة، وعند الوصول الى مهرة تصبح القيادة لعرفجة.

واثناء مسير الجيش، كان عكرمة بن ابي جهل قد هاجم مسيلمة الكذاب في اليمامة، قبل

وصول شرحبيل بن حسنه اليه، فوقعت خسائر كبيرة في صفوف المسلمين، مما حدا بالخليفة ان يامر عكرمة بالمسير بجيشه، ليلحق بقوات حذيفة وعرفجة، لمعاونتهما في المهام الموكلة اليهما، واستطاع عكرمة ان يلحق بهما قبل وصولهما الى عُمان، وهناك انظم اليهما (انظر الخارطة رقم ١٠).

كان في عُمان رجل قد ادعى النبوة، يقال له (ذو التاج: لقيط بن مالك الازدي) فتبعه الجهلة من اهل عُمان، وعندما علم هذا الرجل بتحرك جيش المسلمين نحوه، واقترابه منه، خرج الى مكان يقال له (دُبا) وحشد هناك اتباعه، وجعل الذراري والاموال من ورائهم، فلما وصل المسلمون الى هناك، عسكروا في مكان يقال له (صحار) وتقاتل الطرفان قتالاً شديدا، كاد المسلمون ان ينهزموا فيه، الا ان وصول مدد للمسلمين من بني ناجية وعبد القيس، قد ساعدهم على شن هجوم كبير على المرتدين، والذين لم يصمدوا كثيرا امام ضربات المسلمين، وفروا من ارض المعركة، فتبعهم المسلمون، واستطاعوا ان يقتلوا منهم حوالي عشرة الاف مقاتل.

بعد السيطرة على عُمان، قاد عكرمة بن ابي جهل المسلمين، وسار بهم حتى وصل مهرة، وكان للمرتدين هناك اميران: امير يقال له (شخريت)، واخر يقال له (المصبح): احمد بن محارب، وكان هذان الاميران على خلاف، مما سهل على المسلمين مهمتهم، فراسل عكرمة شخريت، وطلب منه العودة الى الاسلام، فوافقه شخريت الى ذلك، وانضم الى صفوف المسلمين، اما المصبح، فقد اغتر بجنده، واراد الحرب، فدار قتال شديد بين اتباعه وبين المسلمين، قتل خلاله المصبح، وعدد كبير من جنوده، وسيطر المسلمون على الباقين، وغنموا اموالاً كثيرة.

٥. حروب اليمن

كان قد ظهر في اليمن في زمن الرسول — عليه السلام — رجل ادعى النبوة يدعى الاسود العنسي، واستطاع الاسود ان يضلل الكثير من الناس، ولكنه قتل في زمن الرسول — عليه السلام — وعادت اليمن الى الاسلام.

وعندما توفي الرسول — عليه السلام — وتولى الخلافة من بعده ابو بكر الصديق — رضي الله عنه — ارتد كثير من اهل اليمن عن الاسلام، وعمل اتباع الاسود العنسي على اثاره الفتن، واقناع الناس بالارتداد عن الاسلام، ولكن البعض قد آثر البقاء على الاسلام، والوقوف بوجه المرتدين.

كاتب ابو بكر الصديق — رضي الله عنه — من بقي على الاسلام من اهل اليمن، وطلب منهم الصبر، ووعدهم بانه سيرسل لهم جيشاً، لمساعدتهم في القضاء على المرتدين.

بعد ان قضى عكرمة بن ابي جهل على المرتدين في مهرة اليمن، انطلق من هناك الى اليمن،

وسار حتى وصل الى مكان يقال له (أبين) وقد اصبح تحت امرته جيش كبير جداً، حيث انضم اليه اثناء مسيره اعداد كبيرة من المقاتلين، من القبائل التي كان يمر بها.

عندما علم المرتدون بوصول عكرمة الى هناك، دب الرعب في نفوسهم، فانسحبوا، وتفرقوا في الجبال.

وكان الخليفة قد عقد لواءاً للمهاجر بن اميه، وامره بالمسير الى اليمن، وسار المهاجر الى صنعاء، بعد ان مر بمكة والطائف (انظر الخارطة رقم ١٠) واستطاع ان يعيد الهدؤ الى المنطقة، وبذلك عادت اليمن الى الاسلام.

٠٦ حروب حضرموت وكنده.

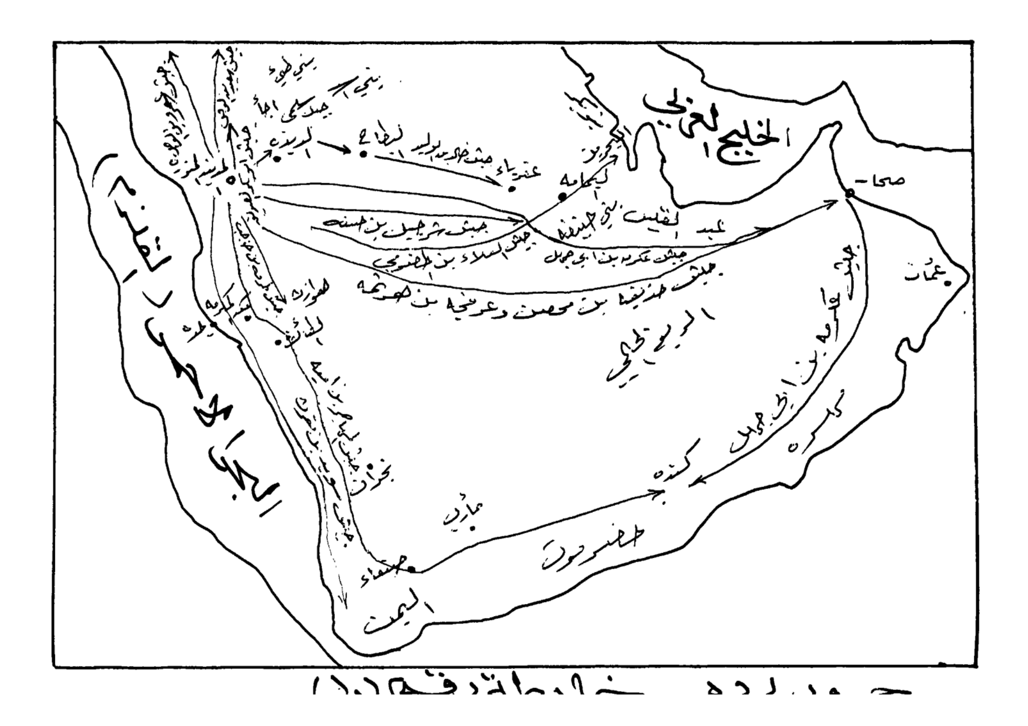
كان الرسول ــ عليه السلام ــ قد جعل زياد بن لبيد على حضرموت، وجعل المهاجر بن امية على كنده، وعندما توفي الرسول ــ عليه السلام ــ عاد المهاجر الى المدينة، وبقي زياد في حضرموت.

كان في كنده رجل يقال له الاشعث، وكان سيد قومه، ومحبباً لديهم، وقد سار هذا الرجل على نهج العنسي، فتبعه كثير من الناس، وبدأ بأثارة الفتن في كنده، وشن الحروب على من بقي من المسلمين هناك، فاضطر زياد بن لبيد الى طلب النجدة من المهاجر.

وصل المهاجر الى زياد، وقام المسلمون بشن هجوم على الاشعث، فلم يصمد امام المسلمين، وانسحب باتباعه الى حصن (النجير) وقد كان لهذا الحصن ثلاثة مداخل، فعسكر زياد بن لبيد على احدها، وعسكر المهاجر بن اميه على المدخل الثاني، وفي هذه الاثناء وصل عكرمة بن ابي جهل الى هناك، فعسكر على المدخل الثالث، وبذلك طوق المسلمون الحصن من جميع مداخله، وقطعوا الامدادات عن الاشعث واتباعه.

لم يتحمل الاشعث الحصار، فامر اتباعه بالهجوم على المسلمين، ودار قتال شديد بين الطرفين، استبسل فيه اتباع الاشعث، الا انهم وامام كثرة المسلمين، ايقنوا بانهم لن يستطيعوا عمل شيء، فاستسلموا بعد مقتل اعداد كبيرة منهم، واسر الاشعث، وارسل الى المدينة المنورة.

بقي المهاجر وعكرمة في كندة وحضرموت، واخذوا يقومون بمطاردة المرتدين، وتنظيم الامور، حتى عادت الحياة الى طبيعتها هناك، وعاد الاسلام قوياً، وبذلك انتهت حروب الردة، والتي كان آخرها حروب حضرموت وكندة.


الخليج العربي
البحر الأحمر (القلزم)
صحار
عمان
اليمامة
البحرين
البطاح
جيش شرحبيل بن حسنة
جيش العلاء بن الحضرمي
جيش عكرمة بن أبي جهل
جيش حذيفة بن محصن وعرفجة بن هرثمة
الربع الخالي
كندة
حضرموت
مأرب
صنعاء
اليمن
نجران
الطائف
هوازن

فتوح العراق

(سر الى العراق حتى تدخلها، وابدأ بفرج الهند، وهي ابلة، وتألف اهل فارس، ومن كان في ملكهم من الامم)(١)

تاريخ بدء الفتوح: مطلع السنة الثانية عشرة للهجرة (٦٣٣ ميلادية).
مكانها: ارض العراق شمال الجزيرة العربية.
الاهداف:

اعاد الخليفة ابوبكر الصديق — رضى الله عنه — الجزيرة العربية كلها الى الاسلام، بعد ان حارب المرتدين وقضى عليهم، ثم اخذت انظار الخليفة تتطلع لنشر الاسلام خارج الجزيرة العربية، انطلاقاً من شمولية الدعوة الاسلامية، وعدم اقتصارها على جنس بعينه، ولكن تحقيق هذا الهدف كان يقتضي تخليص الشعوب المحيطة بالجزيرة العربية من سلطة الحكومات والدول المستبدة التي فرضت نفسها على هذه الشعوب، ولذلك شرع المسلمون بالاعداد للفتوح على جبهتين، الاولى باتجاه بلاد الشام الخاضعة للامبراطورية الرومانية، والثانية باتجاه العراق الخاضعة للامبراطورية الفارسية، وكانت رغبة الخليفة في البداية، هي ان يتجه المسلمون نحو الشام، الا انه قرر اخيراً ان تسير الجيوش اولاً الى العراق للاسباب التالية:

١ — لا زال الفرس يعانون من هزيمتهم امام الروم، اثر الانتصارات التي حققها الروم عليهم زمن الرسول — عليه السلام — وقبل تولي ابي بكر الخلافة بسنوات.

٢ — قدم القائد المثنى بن حارثة الشيباني من البحرين الى المدينة المنورة، واستطاع ان يقنع الخليفة بسهولة مهمة قتال الفرس، وطردهم عن العراق، واخضاع هذه البلد للاسلام، لا سيما وان للمثنى خبرة جيدة في هذا المضمار، فقد قاتل الفرس، وانتصر عليهم في عدة مواقع.

٣ — كانت اغلبية سكان العراق من العرب، وكانوا يعانون من جور الفرس وظلمهم، ويتشوقون الى اليوم الذي يقوم فيه العرب المسلمون بمساعدتهم في التخلص من حكم الفرس، ونيل حريتهم، واستعادة السيطرة على مصادر بلادهم التي كان يذهب اكثر انتاجها الى مستودعات الفرس، ولذلك نجد ان الخليفة عندما ارسل خالد بن الوليد الى العراق، طلب منه ان لا يتعرض لهؤلاء المزارعين، وان يتركهم وشأنهم.

---

(١) مما كتبه ابو بكر الصديق — رضى الله عنه — الى خالد بن الوليد في اليمامة، يأمره بالمسير الى العراق. والابلة: بلدة على شاطيء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة، معجم البلدان، الجزء ١ صفحة ٧٧.

بدأت الاستعدادت لتحريك جيوش المسلمين الى العراق، وقد كان اكثر هذه الجيوش موزعاً في الجزيرة العربية بعد القضاء على المرتدين، ونظراً للدور الكبير الذي لعبه خالد بن الوليد في حروب الردة، فقد اختاره الخليفة قائداً لجيوشه المتجهة الى العراق، وارسل الخليفة الى خالد الموجود في اليمامة، يأمره بالمسير الى العراق ليدخله من جنوبه، وارسل الى عياض بن غنم الذي كان موجوداً في (النباح) يأمره بالمسير الى العراق ليدخله من شماله، حتى يلتقي بخالد في الحيرة، وطلب الخليفة من كل من خالد وعياض ان لا يرافقهما اي مرتد حتى يرى ما سيفعل بهم، كما وطلب منهما عدم اجبار المقاتلين على الميسر معهما، وترك الحرية لأي مقاتل بالمسير الى العراق او العودة الى دياره، وذلك لصعوبة المهمة التي سيقوم بها المسلمون من جهة، ولان المسلمين ما زالوا يعانون من اثار حروب الردة من جهة اخرى، وامر الخليفة، القعقاع بن عمرو ان يلحق بخالد بن الوليد، وامر عبد بن عوف الحميري ان يلحق بعياض بن غنم، وارسل الى المثنى بن حارثة ان يلتقي بخالد بن الوليد ويكون تحت امرته.

استلم خالد بن الوليد كتاب الخليفة، وخير جنوده بين العودة او المسير معه، ثم انطلق من اليمامة الى العراق على راس الفي مقاتل فقط، بعد ان عاد الكثير من الجنود الى ديارهم، وانضم الى خالد اثناء مسيره الى العراق ثمانية الاف مقاتل من عشائر ربيعة ومضر، بالاضافة الى ثمانية الاف مقاتل مع المثنى بن حارثة، انضموا الى خالد قرب العراق، ليصبح عدد جيش المسلمين بذلك ثمانية عشر الف مقاتل، هم الذين خاضوا الحرب ضد الفرس تحت قيادة خالد بن الوليد.

معركة ذات السلاسل(١)

(فاسلم تسلم، واعتقد لنفسك وقومك الذمة، واقرر الجزية، والا فلا تلومن الا نفسك، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة)(٢)

تاريخ المعركة: شهر محرم من السنة الثانية عشرة للهجرة (٦٣٣ ميلادية).

مكانها: منطقة الحفير قرب البصرة في ارض العراق (انظر الخارطة رقم ١١).

سببها:

عندما علم الفرس بقدوم جيوش المسلمين الى العراق، اعدوا قواتهم لمحاربة المسلمين، لمنعهم من دخول العراق، والعمل على ردهم الى الجزيرة العربية.

الموقف قبل المعركة

١ ـــ المسلمون

بعد ان تجمعت جيوش المسلمين في (النباح) قرب العراق، تحت قيادة خالد بن الوليد، ارسل خالد من هناك كتاباً الى «هرمز» امير (البصرة) يحذره فيه من محاولة مقاومة المسلمين، ويخيره بين ثلاث، الاسلام او الجزية او القتال.

استعد جيش المسلمين لمواصلة مسيره الى العراق، حيث قسمه خالد بن الوليد الى ثلاث فرق، تسير كل فرقة بطريق غير الطريق الذي تسير فيه الاخرى، ويفارق يوم واحد بين الفرقة والفرقة التي تليها، ثم تلتقي كلها في (الحفير) على ماء لبني باهلة، وقد كان ترتيب مسير الفرق على النحو التالي:

(١) الفرقة الاولى: بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني، وتسير في اليوم الاول.

(٢) الفرقة الثانية: بقيادة عدي بن حاتم الطائي، وتسير في اليوم الثاني.

(٣) الفرقة الثالثة: تضم باقي الجيش، ويقودها خالد بن الوليد وتسير في اليوم الثالث.

٢ ـــ الفرس.

ما ان وصل كتاب خالد بن الوليد الى هرمز، حتى ارسل هرمز كتاباً الى «شيري بن كسرى» ملك الفرس، وكتاباً اخر الى ابنه «اردشير بن شيري» يطلب منهما ارسال الجيوش لمساعدته في قتال المسلمين.

---

(١) تسمى ايضاً بمعركة الحفير، كذلك تسمى بمعركة كاظمه، والحفير وكاظمه: منطقتان تبعدان عن بعضهما (٥٠) ميلاً .

(٢) ما كتبه خالد بن الوليد الى هرمز امير البصرة قبل وصول المسلمين هناك.

اخذ هرمز يحشد جيشاً كبيراً. يلاقي به جيش المسلمين، لمنعهم من التقدم، الى حين وصول المدد اليه، واتجه الى (كاظمة)، فعسكر بجيشه هناك، ينتظر وصول المسلمين.

سير المعركة:

علم هرمز من استخباراته وعيونه، ان جيش المسلمين يتجه نحو (الحفير) وليس الى (كاظمه)، فأنطلق من مكانه الى الحفير، ووصل اليها قبل المسلمين، فنزل على الماء فيها، وجعله تحت سيطرته، حتى يحرم المسلمين من الاستفادة منه.

قدم خالد بن الوليد الى الحفير، وامر جنوده بالعسكرة فيها، فاشتكى له المسلمون قلة الماء، فقال لهم، «الا انزلوا وحطوا اثقالكم، ثم جالدوهم على الماء، فلعمري سيصيرن الماء لأصبر الفريقين، واكرم الجندين».

استعد الجيشان الى المعركة، ووقف هرمز في جيشه وعلى ميمنته وميسرته الاخوان «قباذ بن اردشير» و «انوشجان» وهما اميران من بيت الملك.

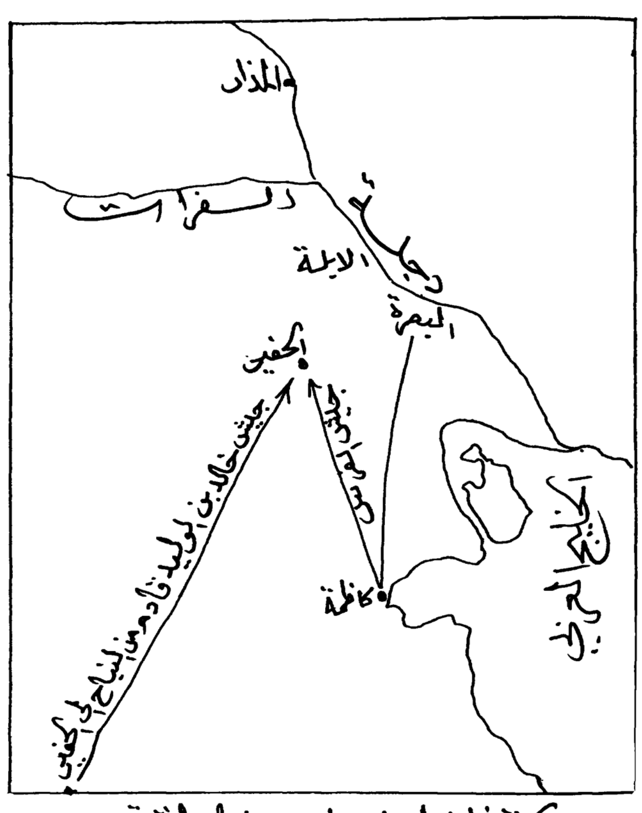
تقدم هرمز، ووقف في المنطقة الفاصلة بين الجيشين، واخذ ينادي من هناك على خالد بن الوليد لمبارزته، فخرج خالد والتقى مع هرمز في منازلة بالسيوف، ثم طلب هرمز من خالد ان يتحولا الى المصارعة بدون سيوف، فوافقه خالد على ذلك.

كان هرمز يهدف من المصارعة، الى ايقاع خالد في مكيدة اعدها قبل الالتقاء به، اذ كان قد طلب الى مجموعة رجال اختارهم ان يتقدموا نحوه عند الاشارة اليهم، الا ان خطة هرمز قد فشلت، عندما تحرك القعقاع بن عمرو في مجموعة من المسلمين فتصدوا لرجال هرمز وحالوا بينهم وبين خالد، في هذه الاثناء اجهز خالد على هرمز وقتله.

ما ان شاهد الفرس قتل قائدهم، حتى دب الرعب في صفوفهم، فأخذوا يفرون من ارض المعركة، ولكن بصعوبة، بسبب السلاسل التي كان هرمز قد ربطهم بها لمنعهم من الفرار ــ اخذت المعركة اسمها من هذه السلاسل ــ مما سهل على المسلمين ايقاع خسائر كبيرة في اعدائهم.

امر خالد بن الوليد، المثنى بن حارثة بمطاردة من استطاع الفرار من الفرس، فلاحقهم المثنى واثناء مطاردته اياهم، مر بحصن يعود لأميرة فارسية ويسمى حصن المرأة، فطلب من اخيه «المعنى» ان يحاصر الحصن، واستمر هو بالمطاردة حتى مر على حصن يسمى حصن الرجل، وهو لزوج الاميرة الفارسية، فقام بدخوله، وقتل كل من فيه، وعندما علمت الاميرة بمقتل زوجها، صالحت المعني، واسلمت وتزوجها.

بعد ان استراح جند المسلمين، قام خالد بن الوليد بتقسيم الغنائم عليهم، وارسل بالخمس والخبر الى المدينة المنورة، ليبشر الخليفة ابا بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ بالنصر الذي حققه المسلمون في اول معركة لهم ضد اعدائهم الفرس في ارض العراق.



معركة ذات السلاسل خارطة رقم (١)

معركة المذار(١)

(صفر الاصفار، فيه يقتل كل جبار، على مجمع الاصفار)(٢)

تاريخ المعركة: اول شهر صفر من السنة الثانية عشرة للهجرة (٦٣٣ ميلادية).
مكانها: منطقة المذار على الشاطىء الشرقي لدجلة، بين واسط والبصرة (انظر الخارطة رقم ١١)
وقائع المعركة:

كان هرمز قائد جيش الفرس في معركة ذات السلاسل، قد ارسل الى اردشير ملك الفرس، يخبره بتقدم المسلمين الى العراق، طالباً منه مدداً يعينه على محاربة المسلمين، فقام اردشير باعداد جيش كبير، وارسله الى هرمز، تحت قيادة «قارن بن قريانس» الا ان جيش المسلمين قد انتصر على جيش هرمز في معركة ذات السلاسل، قبل وصول المدد اليه، واثناء مسير جيش قارن نحو الجنوب، التقى بالفارين من معركة ذات السلاسل وضمهم اليه، وواصل مسيره حتى وصل المذار، فعسكر بجيشه هناك.

على الجانب الاخر، كان خالد بن الوليد قد امر المثنى بن حارثة بمطاردة الفرس الفارين من معركة ذات السلاسل، فواصل المثنى ملاحقتهم حتى وصل الى المذار، وهناك شاهد جيش الفرس، فارسل الى خالد بن الوليد يخبره بالامر، ويطلب منه الاسراع بتحريك جيش المسلمين نحوه، خوف قيام الفرس بمهاجمة قوته الصغيرة وافنائها.

وما ان علم خالد بوجود جيش للفرس في المذار، حتى امر جيشه بالتحرك الى هناك، وطلب من جنوده المسير في حالة التعبئة والاستعداد لخوض القتال ضد الفرس، دون الحاجة الى هدر الوقت في التحضير لذلك.

عسكر قارن بجيشه في المذار، وجعل على ميمنته قباذ وعلى ميسرته انوشجان، جاعلاً دجلة على يمينه، والرافد الذي يمده وراء ظهره، وكدس السفن في الماء، واخذ يستعد لملاقاة جيش المسلمين الذي ما لبث ان وصل هناك، وعسكر امام جيش الفرس.

خرج قارن يريد المبارزة، وخرج اليه خالد بن الوليد، الا ان معقل بن الاعشى سبقه الى قارن، وتبارز معه، واستطاع ان يقتله، وما ان شاهد الفرس قائدهم قد قتل، حتى قاموا بمهاجمة المسلمين، ودار قتال شديد بين الطرفين، قتل فيه قباذ واخوه انوشجان، وامام صمود المسلمين وتصميمهم على النصر، بدأ الفرس في التقهقر الى السفن التي كدسوها في الماء، والفوضى

---

(١) سميت المعركة بأسماء اخرى هي ١ ـــ معركة الثنى ٢ ـــ معركة النهر.

(٢) مما قيل في هذه المعركة.

تعم صفوفهم، فأخذوا يتزاحمون عليها، مما ادى الى غرق اعداد كبيرة منهم، واستطاع الباقون الفرار بعيداً، و لم يتمكن المسلمون من مطاردتهم، لعدم وجود سفن لديهم.

قتل من الفرس في هذه المعركة حوالي ثلاثين الف مقاتل، وبعد ان ارتاح المسلمون من تعب القتال، قام خالد بتقسيم الغنائم على الجنود، وارسل بالخمس والخبر الى الخليفة ابي بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ.

بعد ذلك قام خالد بوضع حاميات على المداخل التي يمكن للفرس الدخول منها نحو المسلمين، بحيث تكون هذه الحاميات بمثابة نقاط مراقبة لتحركات الفرس.

معركة الولجة

ولم أر قوماً مثل قوم رأيتهم على ولجات البر احمى وانجبا
وأقتل للرأس في كل مجمع اذا صعصع الدهر الجموع وكبكبا(١)

تاريخ المعركة:

الثاني والعشرين من صفر من السنة الثانية عشرة للهجرة (٦٣٣ ميلادية).

مكانها:

الولجة بارض كسكر الواقعة في واسط في العراق (انظر الخارطة رقم ١٢).

سببها:

كان لهزيمة الفرس امام المسلمين في معركتي ذات السلاسل والمذار اثر بالغ في عاصمة الفرس المدائن، اذ شعر ملك الفرس اردشير بالخطر الحقيقي على امبراطوريته ان هو لم يستطيع ان يوقف الزحف الاسلامي، فقام باعداد جيش كبير، ارسله الى الولجة لمحاربة المسلمين هناك، واتبعه بجيش اخر يساند الجيش الاول ويكمل تدمير جيش المسلمين.

الاستعداد للمعركة

١ ـــ من جانب الفرس

جعل اردشير قيادة الجيش الاول ل «الاندرزغر» الحاكم العسكري لولاية خراسان، وامره بالتحرك على الفور، وجعل قيادة الجيش الثاني ل «بهمن بن جاذوية» وامره انيلحق بالاندرزغر لمساعدته في الاطباق على جيش المسلمين.

انطلق الجيش الاول من كتسفون، وسار على امتداد الضفة الشرقية لنهر دجلة، واجتازه حتى وصل كسكر الواقعة بين البصرة والكوفة، ثم سار الى الجنوب الغربي الى الفرات حتى وصل الولجة (انظر الخارطة رقم ١٢).

٢ ـــ من جانب المسلمين.

علم خالد بن الوليد قائد جيش المسلمين بتحركات الفرس من خلال عيونه من العرب الذين كانوا يأملون بأنتصار المسلمين، وزوال الطغيان الفارسي من بلادهم.

اخذ خالد بن الوليد يعد العدة، ويضع خططه للمعركة، آخذاً في الاعتبار الأمور التالية:

١ ـــ كثرة الجيش الذي وصل الى الولجة، والمدفوع بالحقد والغيظ، والرغبة بالانتقام، وما يتطلبه ذلك من وضع خطة محكمة لدحره.

---

(١) مما قاله القعقاع بن عمرو وهو يفخر بأنتصار المسلمين على الفرس في هذه المعركة.

٢ ــ وجود جيش فارسي اخر يسير خلف الجيش الاول، وما تشكله امكانية انضمام الجيشين معاً من صعوبات امام جيش المسلمين، ولتفادي ذلك، فانه لا بد من القضاء على الجيش الاول قبل وصول الجيش الثاني.

٣ ــ انضمام من فر من الفرس في معركتي ذات السلاسل والمذار الى الجيش الموجود في الولجة.

فتبلور في ضوء ذلك خطة خالد لهذه المعركة على النحو التالي:

١ ــ امر جيشه بالتحرك فوراً الى الولجة ليقابل جيش الفرس هناك قبل وصول الجيش الثاني، وترك وراءه قوات اسلامية تدير المناطق التي احتلها المسلمون بقيادة سويد بن مقرن.

٢ ــ ما ان وصل الجيش الى الولجة، حتى قام خالد بن الوليد بتنظيم جيشه وفتحه للمعركة امام جيش الفرس وفق التشكيل التالي:

أ ــ القلب ويقوده خالد بنفسه.

ب ــ الميمنة بقيادة يسر بن ابي رهم.

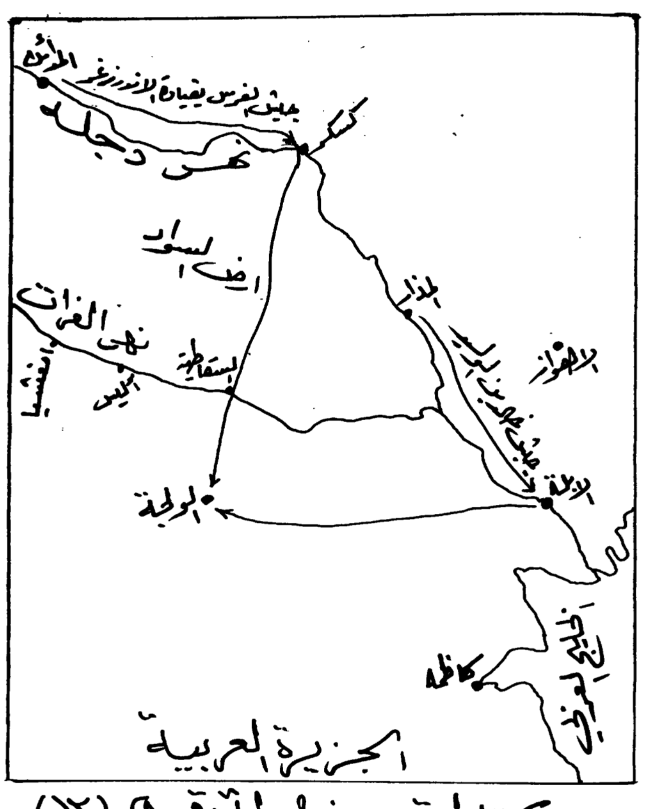
جـ ــ الميسرة بقيادة سعد بن مرة العجلي.

د ــ الخيالة، ويتبعون للميسرة والميمنة لكل منهما الفا فارس.

وقد طلب منهم خالد بن الوليد عدم الوصول الى ارض المعركة، وان يكمنوا خلف جيش المسلمين بوضع لا يراهم به الفرس، وتكون مهمتهم مهاجمة الفرس من الخلف من الجانبين الايمن والايسر حال تلقيهم اشارة من خالد بن الوليد، وبذلك يستطيع المسلمون القضاء على الجيش الفارسي، دون ان يستطيع احد منهم الفرار بسهولة.

سير المعركة:

بعد ان نظم الجيشان صفوفهما، واستعدا للمعركة، امر خالد بن الوليد وفي صبيحة اليوم التالي جيشه بالهجوم على جيش الفرس، ولم يقم قائد جيش الفرس، بتأجيل المعركة والانسحاب قليلاً الى الخلف ليستغل مياه نهر الفرات لحمايته من اي عملية التفاف يقوم بها المسلمون، وانما اغتر بجيشه، وشجعه على ذلك انه لم ير خيلاً في جيش المسلمين، وان تعداد المسلمين لا يزيد كثيراً على عشرة الاف مقاتل كلهم مترجلون، ولربما راودته نفسه ان المنهزمين من الفرس في المعارك السابقة مع المسلمين، كانوا يبالغون بقوة المسلمين وعددهم، واستمر القتال بين الطرفين، وشرع المسلمون بشن هجمات متواصلة على اعدائهم، ولكن الفرس الذين كانوا يبدلون الصفوف الامامية باستمرار، استطاعوا صد هذه الهجمات، فأخذ التعب يظهر على جنود المسلمين نتيجة الهجمات المتكررة منهم.



معركة الولجة خارطة رقم (١٢)

وما ان راى الاندرزغر جيش المسلمين، وقد بدأ واضحاً عليه الارهاق من استمرار القتال بهذه الطريقة، حتى امر جيشه بالقيام بهجوم شامل على المسلمين، واستطاع المسلمون الصمود امام الفرس، وقتلوا اعداد كبيرة منهم، ولكن ذلك لم يعق الفرس الذين ظنوا ان القضاء على جيش المسلمين المنهك بات وشيكاً، وفي هذه الاثناء كانت المفاجأة للفرس بقدوم خيل المسلمين من الجوانب وقيامها بالالتفاف على الفرس من الخلف، بعد ان اعطاهم خالد بن الوليد الاشارة ليبدأوا الهجوم، فعمت الفوضى صفوف الفرس، واصبح همهم هو الفرار من ارض المعركة، فأخذوا يدوسون بعضهم بعضاً، والمسلمون يقتلون منهم من كل الاتجاهات، حتى استطاعوا القضاء على معظم جيشهم، وفر من تبقى، ومنهم القائد الاندرزغر الى الصحراء، والذي وجد ميتاً عطشاً.

قام خالد بن الوليد بعقد الاتفاقات مع الفلاحين، ولم يقم المسلمون بايذائهم، وذلك تنفيذاً لامر الخليفة ابي بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ قبل تحرك جيش المسلمين الى العراق.

معركة أليس(١)

(اللهم ان لك علي ان منحتنا اكتافهم، الا استبقي منهم احداً قدرنا عليه، حتى اجري نهرهم بدمائهم)(٢)

تاريخ المعركة: الخامس والعشرين من شهر صفر من السنة الثانية عشرة للهجرة (٦٣٣ ميلادية).

مكانها: منطقة أليس على نهر الفرات في العراق (انظر الخارطة رقم ١٢)

سببها:

كان خالد بن الوليد قد قتل في معركة الولجة التي سبقت هذه المعركة، طائفة من بكر بن وائل من نصارى العرب المحالفين للفرس، فاجتمعوا يريدون الثأر لمن قتل منهم على ايدي المسلمين.

الاستعداد للمعركة:

١ ــ من جانب العرب النصارى والفرس

بدأ العرب النصارى مراسلة الفرس للحصول على دعمهم في قتال المسلمين، فكتب اردشير ملك الفرس الى بهمن بن جاذوية، قائد جيش الفرس الموجود في (قسياثا) يأمره بالمسير الى (أليس) لمساعدة العرب النصارى هناك، وكان جيش بهمن قد ارسل اصلاً لمساعدة جيش الاندر زغرالذي قضى عليه المسلمون في الولجة، وعندما وصل امر اردشير الى بهمن اوكل القيادة الى مساعدة (جابان) وعاد هو الى المدائن، ليلتقي بملك الفرس، والذي كان يحتضر للموت.

سار جابان الى أليس، وانضم اليه العرب النصارى من بني عجل وتيم اللات وضبيعة وعرب الضاحية من الحيرة، فتمت هناك تعبئة الجيش وفق الشكل التالي:

أ ــ الميمنة: بقيادة الأسود العجلي، وهو عربي نصراني، ومعه قبيلة بني عجل وتيم اللات وضبيعة وعرب الضاحية من الحيرة.

ب ــ الميسرة: بقيادة جابر بن بجير، وهو عربي نصراني، ومعه زهير ومالك من قبيلة جذرة.

جـ ــ القلب: بقيادة جابان الذي يعتبر قائداً عاماً لكل الجيش.

---

(١) تسمى ايضاً معركة نهر الدم.

(٢) مما قاله خالد بن الوليد عند اقتراب القتال في هذه المعركة.

٢ ــ من جانب المسلمين:

عندما علم خالد بن الوليد بتجمع العرب النصارى في أليس، انطلق بجيشه الى هناك، يريد القضاء عليهم قبل وصول جيش الفرس لمساعدتهم، وترك خلفه كمينين من الخيالة، يفاجئان العدو عند اشتداد القتال، ولكن خالد فوجىء عند وصوله الى أليس بوصول جابان قبله بعدة ساعات.

نظم خالد جيشه للقتال وعلى النحو التالي:

(١) القلب: ويقوده بنفسه.

(٢) الميمنة: ويقودها عاصم بن عمرو شقيق القعقاع بن عمر الشيباني.

(٣) الميسرة: ويقودها عدي بن حاتم الطائي.

سير المعركة:

اغتر اعداء المسلمين بكثرة عددهم، فلم يبالوا بوصول جيش المسلمين لهم، واخذوا يتناولون الطعام، على الرغم من طلب قائدهم جابان اليهم عدم القيام بذلك، والتفرغ لملاقاة المسلمين، وفي هذه الاثناء، خرج خالد بن الوليد من بين صفوف المسلمين، واخذ ينادي على اعدائه، طالباً المبارزة، فلم يجروء على الخروج له الا رجل عربي نصراني اسمه مالك بن قيس من بني جذره، فاسمعه خالد بن الوليد كلاماً قاسياً وقتله على الفور.

نهض الاعاجم عن طعامهم، واخذوا اسلحتهم، ولم يتأخر المسلمون في بدء القتال، بل قاموا بهجوم كبير على اعدائهم، ودار قتال شديد بين الطرفين، اظهر فيه الاعاجم مقاومة شديدة، وهم يظنون ان القائد بهمن بن جاذوية سيصلهم بمدد فارسي يساعدهم على قتال المسلمين، وامر خالد بن الوليد الخيالة بالدخول الى ارض المعركة لتحقيق المفاجأة التي خطط لها سلفاً، عندها انهارت مقاومة الفرس، وتبعثرت صفوفهم، فاصبح لا هم لهم الاالخروج من ارض المعركة، والفرار بعيداً عن قبضة المسلمين.

امر خالد منادياً ينادي بالمسلمين «الاسر،الاسر،لاتقتلوا الا من امتنع» وبدأت مطاردة الاعداء، فاخذت خيول المسلمين تجمع الفارين افواجاً افواجاً، وظلوا كذلك يومين متتالين بعد يوم المعركة.

امر خالد بقتل جميع من فر من ارض المعركة، واعمل المسلمون فيهم القتل لمدة يوم وليلة، الى ان فرغوا منهم، فسالت على اثر ذلك دماء كثيرة في النهر، حولت لونه الى لون الدم، ولذلك سميت هذه المعركة بمعركة نهر الدم، وقد قتل من الاعاجم في هذه المعركة سبعون الف مقاتل.

قام خالد بتقسيم الغنائم على المسلمين، وارسل بالخبر والخمس الى الخليفة ابي بكرالصديق ــ رضى الله عنه ــ ثم عقد المعاهدات مع السكان المحليين، بعد ان أقروا بدفع الجزية.

وقعة امغشيا

(يا معشر قريش، عدا اسدكم على الاسد، فغلبه على خرلذيله، اعجزت النساء ان ينشئن مثل خالد)(١)

تاريخ الوقعة: اخر شهر صفر من السنة الثانية عشرة للهجرة (اواسط شهر ايار سنة ٦٣٣ ميلادية).

مكانها: امغشيا، وهي مدينة في العراق (كان فرات باذقلي ينتهي اليها)(٢).

اهدافها:

بعد ما انتهت اليه معركة أليس من انتصار للمسلمين، وهزيمة للفرس وحلفائهم، اراد خالد بن الوليد استغلال الموقف، والتحرك الى امغشيا والتي لا تبعد كثيراً عن أليس، لاخضاعها للمسلمين، والقضاء على الفارين اليها من معركة أليس.

احداث الوقعة:

أمر خالد جيشه بالتحرك فوراً من أليس الى امغشيا، وعندما علم اهلها بقدوم المسلمين اليهم، تركوا المدينة، وهربوا منها الى السواد، مخلفين وراءهم بيوتهم واملاكهم، فلما وصلها المسلمون، ولم يجدوا فيها احداً، قاموا بأغتنامها، فحصلوا منها على غنائم فاقت ما حصلوا عليه في معاركهم السابقة، حيث وصل سهم الفارس الى الف وخمسمئة درهم عدا الانفال.

---

(١) ما قاله الخليفة ابو بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ عندما جاءه خبر الوقعة وغنائم المسلمين فيها.

(٢) معجم البلدان، الجزء ١ صفحة ٢٥٤.

فتح الحيرة

(اني ادعوكم الى الله والى الاسلام، فان قبلتم ان تدخلوا في ديننا، فلكم مالنا وعليكم ما علينا، واذا ابيتم فالجزية، واذا رفضتم دفع الجزية، فأنني والله قد اتيتكم بقوم هم احرص على الموت منكم على الحياة) (١).

تاريخ الفتح : منتصف شهر ربيع الأول من السنة الثانية عشرة للهجرة (اواخر شهر ايار من السنة «٦٣٣» ميلادية).

مكان الفتح : الحيرة عاصمة الفرس في العراق (تبعد عن الكوفة ثلاث اميال) (٢).

اهداف الفتح.

بعد ان استطاع المسلمون الانتصار على كل الجيوش التي اعدها الفرس لوقف تقدمهم في العراق، اصبح من البديهي ان يواصل جيش المسلمين تقدمه شمالاً لأخضاع الحيرة لسيادته، كونها عاصمة الفرس في العراق، وتتمتع بأهمية كبيرة من النواحي الاستراتيجية والعسكرية والسياسية الاقتصادية.

وقائع الفتح.

كان يحكم الحيرة رجل فارسي يدعى «ازاذبة» وتوقع هذا الرجل ان يتقدم جيش المسلمين الى الحيرة بعد انتصاراته على الفرس في معارك ذات السلاسل، والمذار، والولجة، وأليس، وامغشيا، فقام باعداد جنوده، وتجهيزهم لمنع المسلمين من دخول المدينة.

أمر ازاذبة بحشد جنوده خارج المدينة، ثم ارسل ابنه من هناك على رأس قوة من الفرسان ترابط على طريق المسلمين، حتى تبلغ عن تقدمهم، وتعمل على ايقافه، وتقوم بأغلاق قناطر الفرات، لحرمان المسلمين من استخدام النهر.

وفي اوائل شهر ربيع الاول من السنة الثانية عشرة للهجرة، امر خالد بن الوليد جيشه

---

(١) ما قاله خالد بن الوليد اثناء المفاوضات بينه وبين اهل الحيرة.

(٢) معجم البلدان، الجزء ٢ صفحة ٣٢٨.

بالتحرك من امغشيا الى الحيرة، وطلب ان تحمل المعدات والجنود بالسفن وتسير الجمال والخيول بالقرب منها على اليابسة.

علم ابن ازاذبة بتحرك جيش المسلمين، فقام بتحويل مياه النهر الى مجرى غير مجراه الاصلي، مما أدى الى توقف سفن المسلمين عن المسير، والتصاقها بقاع النهر، فأدرك خالد مكيدة الفرس، وانطلق على رأس قوة من الفرسان نحو ملتقى نهر العتيق، وهناك باغت قوة من الفرس، كان قد وضعها ابن ازاذبة امامه، لتحويل مجرى النهر، وحمايته من المسلمين ، فقضى خالد عليها، وقتل جميع افرادها، ثم انطلق نحو ابن ازاذبة، الذي كان قد خلد الى الراحة، ظناً منه ان القوة التي وضعها امامه ستخبره بتقدم المسلمين، فباغته خالد، وقتله هو ومن معه الا القليل من الجنود، استطاعوا الفرار، وقاموا بأخبار ازاذبه عما حل بهم، ثم اعاد خالد المياه الى المجرى الأصلي للنهر، فأخذت السفن تسير فيه، وواصل الجيش تقدمه نحو الحيرة.

تحرك ازاذبه بجيشه من مشارف الحيرة، بغية اللحاق بأبنه ومساعدته، الا ان خبر قتله على ايدي المسلمين، قد جاءه في نفس الوقت الذي وصل فيه خبر موت ملك الفرس اردشير، مما اربك ازاذبه، وجعله يترك الجيش وينطلق نحو المدائن، تاركاً الدفاع عند المدينة لاهلها من العرب النصارى.

واصل المسلمون تقدمهم نحو الحيرة، وقبل وصولهم اليها، اتجهوا نحو مدينة الخورنق، ومن هناك تقدموا نحو الحيرة ليدخلوها من الخلف.

لم يلق المسلمون مقاومة تذكر، ولم يهرب اهل الحيرة منها، بل تحصن اكثرهم في قلاع المدينة الاربع (تتبع هذه القلاع للعرب النصارى، وتحتوي كل منها على قصر تسمى بأسمه القلعة)، فقام خالد بتعيين اربعة قادة، وامرهم بمحاصرة القلاع، طالباً اليهم ان يخيروا أهلها بين الاسلام او الجزية او القتال، وان يمهلوهم يوماً واحداً للرد على ذلك، وكان توزيع القادة على القلاع على النحو التالي:

١ ــ ضرار بن الازور، لمحاصرة القصر الابيض التابع لأياس بن قبيصه الطائي ملك الحيرة، والذي كان يعمل تحت امرة القائد الفارسي ازاذبه.

٢ ــ ضرار بن الخطاب الفهري، لمحاصرة قصر العدسيين، والذي يقطنه عدي بن عدي بن المقتول.

٣ ــ ضرار بن المقرن المزني، لمحاصرة قصر بني مازن، والذي يقطنه حيري بن اكال.

٤ ــ المثنى بن حارثه الشيباني، لمحاصرة قصر بن بقيلة، والذي يقطنه عمرو بن عبدالمسيح.

تحرك القادة نحو اهدافهم، وبدأوا بمحاصرة القلاع، وانذروا اهلها، ممهلين اياهم يوماً واحداً للرد، لكن الرد جاءهم بأختيار القتال، ورفض الاسلام او دفع الجزية.

بدأت المناوشات بين الطرفين، واقتصرت على التراشق بالسهام، ثم اخذ المسلمون يفكرون بالطرق الممكنة لدخول القلاع.

شرع ضرار بن الازور بهجومه على القصر الابيض، حيث اختار قوة من الرماة، وامرهم بالاقتراب الى ادنى نقطة من عدوهم، ولمدى يسمح بوصول السهام اليهم، ومن هناك امرهم برمي سهامهم دفعة واحدة نحو عدوهم، فقتلوا رماة المنجنيق المتواجدين فقط في هذه القلعة، واجبروا الباقين على ترك فتحات القلعة المطلة على المسلمين.

استمر المسلمون في حصارهم للقلاع، فايقن اهلها انه لا فائدة من الاستمرار في المقاومة، وان من الاجدى لهم مصالحة المسلمين، فارسلوا الى خالد بن الوليد يطلبون منه التفاوض، فوافقهم على ذلك، وانتدبوا عنهم عمرو بن عبدالمسيح، الذي توصل الى معاهدة مع خالد بن الوليد، اقر فيها اهل المدينة الجزية، وتعهدوا بأن يكونوا عيوناً للمسلمين، يبلغونهم عن تحركات الفرس، مقابل ان يتعايش المسلمون معهم، ويقوموا بحمايتهم.

فتحت القلاع ابوابها للمسلمين، واصبحت المدينة تحت سيطرتهم، فجعلها خالد قاعدة لأنطلاق السرايا والجيوش الى المناطق المجاورة، وأخذ يرسل من هناك الرسائل الى قادة الفرس، والى العامة من الناس، يدعوهم فيها الى الاسلام، ويحثهم على الدخول فيه، محذراً اياهم من عدم الاستجابة لذلك، واستمر على نهجه هذا في الحيرة عاماً كاملاً.

معركة الانبار (١)

(اني ارى اقواماً لا علم لهم بالحرب، فارموا عيونهم ولا توخّوا غيرها) (٢)

تاريخ المعركة : لم تذكر المراجع تاريخاً محدداً للمعركة، ولكن بعض الكتاب قدره في شهر ربيع الثاني من السنة الثانية عشرة للهجرة (تموز سنة ٦٣٣ ميلادية).

مكانها: مدينة الانبار، التي كانت تقع على الفرات في غربي بغداد (٣) انظر الخارطة رقم ١٣).

الموقف قبل المعركة.

١. موقف المسلمين واهدافهم من المعركة.

وضع الخليفة ابو بكر الصديق رضي الله عنه خطته في دخول العراق، بحيث يدخله خالد بن الوليد من جنوبه، ويدخله عياض بن غنم من شماله، ثم يلتقي القائدان في الحيرة.

واستطاع خالد بن الوليد ان يتم مهمته ويصل الى الحيرة في حوالي اربعين يوماً، ولكن عياض بن غنم واجه صعوبات كبيرة، ولم يستطع التقدم شمالاً، فبقي في (دومة الجندل) دون ان يستطيع احتلالها، الى ان جاءه خالد بن الوليد، وساعده في هذه المهمة، (سيرد ذكر ذلك في معركة دومة الجندل).

وكانت خطة الخليفة ان يحتل المسلمون العراق من الشمال والجنوب، ويخضعوا كل المناطق فيما بينهما للمسلمين، ثم ينطلق جيش المسلمين بعد ذلك لاحتلال عاصمة الفرس المدائن، بعد القضاء على الفرس والعرب والنصارى المتعاونين معهم ضد المسلمين.

امر الخليفة ابو بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ بان يتحرك خالد بن الوليد من الحيرة الى الشمال، ليقوم بالمهام التي اوكلت الى عياض بن غنم، فاستخلف خالد بن الوليد على الحيرة القعقاع بن عمرو التميمي، وسار بجيشه حتى وصل (كربلاء) وخيم بجيشه هناك عدة ايام، وكان اثناء مسيرة يقوم بضرب الفرس والعرب المتعاونين معهم، والموجودين في طريق الجيش، حتى يمنعهم من التفكير في ضرب جيش المسلمين بعد التوغل شمالاً، ثم تحرك الجيش من كربلاء الى الانبار على الشاطيء الشرقي للفرات، وكان على مقدمته الاقرع بن حابس.

٢. موقف الفرس والعرب المتعاونين معهم.

ما ان وصلت مقدمة جيش المسلمين الى مشارف الانبار، حتى قام اهلها بالتحصن في المدينة، مستغلين وجود خندق حول المدينة يفصل بينهم وبين المسلمين.

---

(١) **تسمى ايضاً بمعركة (ذات العيون) لكثرة ما فقيء فيها من عيون اعداء المسلمين.**

(٢) **مما قاله خالد بن الوليد اثناء محاصرة المسلمين لمدينة الانبار.**

(٣) **معجم البلدان، الجزء ١ صفحة ٢٥٧.**



معركة الانبار (ذات العيون) خارطة رقم (١٣)

كان حاكم المدينة، وهو رجل فارسي اسمه (شيرزاد) قد سمع عن ما حققه خالد بن الوليد ضد الفرس واعوانهم، في المعارك السابقة، فوضع في حسبانه ان يقوم بمصالحة خالد بن الوليد حين وصوله المدينة.

سير المعركة.

وصل خالد بن الوليد الى مدينة الانبار، وقام على الفور بفرض الحصار عليها، واخذ يطوف حولها، لمعرفة النقاط التي يستطيع المسلمون منها دخول المدينة.

امر خالد اصحابه، بان يرموا المدافعين عن الخندق بالسهام قائلاً لهم: (اني ارى قوما لا علم لهم بالحرب، فارموا عيونهم ولا توخوا غيرها، فرموا رشقاً واحداً، ثم تابعوا ففقيء ألف عين يومئذ، فسميت تلك الوقعة ذات العيون وتصايح القوم. ذهبت عيون اهل الانبار(١)، وعلى اثر ذلك ارسل «شيرزاد» الى خالد بن الوليد يطلب منه الصلح وبشروط لم تناسب خالد، فرد خالد رسل «شيرزاد» ولم يوافق على الصلح.

اراد خالد بن الوليد دخول المدينة، فاتى اضيق مكان في الخندق، ونحر ضعاف الأبل، والكبيرة منها في السن، والتي لا تقدر على السفر، ورمى بها في تلك المنطقة من الخندق، فسار المسلمون من فوقها، واجتمعوا واعداؤهم في الخندق، ودار قتال شديد بين الطرفين، انسحب على اثره اعداء المسلمين الى حصونهم، مما جعل شيرزاد يرسل رسله الى خالد بن الوليد يوافق على الصلح، بالشروط التي وضعها خالد، وطلب شيرزاد من خالد ان يخلي سبيله، فوافق خالد على ذلك، واشترط على شيرزاد ان يخرج من المدينة وليس معه من الاموال والمتاع اي شيء.

دخل خالد بن الوليد المدينة بعد استسلامها، ورأى ان اهل المدينة يكتبون العربية ويتعلمونها، وعندما سألهم عن ذلك، اخبروه انهم عرب سبق وان هاجروا الى هذه المدينة، وكان يسكنها قبلهم عرب اخرون، هم الذي علموهم الكتابة، فقام خالد بن الوليد على اثر ذلك بمعاملتهم معاملة حسنة، وقبل منهم الجزية.

وبعد ان استقر الوضع تماماً في المدينة، قام خالد بن الوليد بمصالحة من يسكن حولها، فبدأ باهل (البوازيج)، ثم راسل اهل (كلواذي) (١) على الشاطيء الشرقي لدجلة فوافقوه على الصلح، واقروا دفع الجزية.

---

(١) تاريخ الطبري الجزء ٣ صفحة ١٨٧.

(٢) كلواذي . بالقرب من مدينة السلام بغداد، وناحية الجانب الشرقي من بغداد من جانبها، وناحية الجانب الغربي من نهر بوق وهي الان خراب، (في عصر ياقوت الحموي المتوفي سنة ٦٢٧هـ) اثرها باقي، بينها وبين بغداد فرسخ واحد للمنحدر: معجم البلدان الجزء ٤ صفحة ٤٧٧.

معركة عين التمر

تاريخ المعركة : شهر ربيع الثاني من السنة الثانية عشرة للهجرة (٦٣٣ ميلادية).
مكانها : بلدة عين التمر، قرب الانبار غربي الكوفه (١) (انظر الخارطة رقم ١٣).

وقائع المعركة.

بعد سيطرة المسلمين على مدينة الانبار، اراد خالد بن الوليد الاستمرار في التقدم في اخضاع العراق لسيادة المسلمين، فتوجه بجيشه الى عين التمر، وهي مدينة يحكمها رجل فارسي يدعى «مهران بن بهرام)»، واغلب سكانها عرب من قبائل النمر وتغلب واياد، يتزعمهم «عقه بن ابي عقه».

عندما اقترب خالد بن الوليد من المدينة ، طلب عقه بن ابي عقه من مهران بن بهرام، ان يترك محاربة العرب المسلمين لاتباعه من عرب المدينة قائلاً له: (ان العرب اعلم بقتال العرب فدعنا وخالداً، فرد عليه مهران، صدقت لعمري، لأنتم اعلم بقتال العرب، وانكم مثلنا في قتال العجم، فخدعه والقى به وقال دونكموهم وان احتجتم الينا اعنا كم) (٢)، وقد اراد مهران من ذلك ان يوقع العرب النصارى في مصيدة العرب المسلمين، فان انتصر عقه بن ابي عقه على خالد بن الوليد فسيكون النصر بأسم مهران، وان انهزم عقه امام خالد، فسيكون المسلمون قد ضعفوا، واصبح من السهل محاربتهم.

بقي مهران في المدينة، وانطلق عقه بمن معه من العرب النصارى من عين التمر، لملاقاة المسلمين قبل وصولهم المدينة، وحين التقى عقه مع خالد، قام خالد بمهاجمته، واستطاع الامساك به قبل ان يقوم بتنظيم صفوف جيشه، فأسره وعاد به الى المسلمين، وعندما شاهد العرب النصارى ما حل بقائدهم، اشتد بهم الخوف، فولوا منهزمين الى المدينة، واخذوا يتحصنون بها، والمسلمون يتبعونهم قتلاً واسراً.

عندما علم مهران بما حل بجيش عقه، فضل عدم الاصطدام بخالد، حتى لا يكون مصيره كمصير من سبقه من قادة الفرس، الذين لاقوا الهزيمة على ايدي المسلمين، وانسحب بجيشه الفارسي من المدينة الى خارجها، تاركاً اهل المدينة من العرب يلاقون مصيرهم وحدهم.

واصل جيش المسلمين تقدمه نحو المدينة، وقام بفرض الحصار عليها، بعد ان تحصن اهلها

---

(١) معجم البلدان، الجزء ٤ صفحة ١٧٦.
(٢) تاريخ الطبري، الجزء ٣ صفحة ١٨٨.

فيها، واغلقوا عليهم الاسوار، واشتد حصار المسلمين للمدينة، واهلها صامدون، اذ توقعوا ان خالد لن يستمر بحصارهم، خصوصاً بعد حصول المسلمين على غنائم كثيرة من اهل المدينة، ظنا منهم ان المسلمين يقاتلون من اجل الغنائم، ولكنهم وبعد ان استمر الحصار، راسلوا خالد، وطلبوا منه الصلح مقابل الافراج عن اهل المدينة، ولكن خالداً رفض ذلك، وطلب منهم الاستسلام بدون شروط، فوافقوا على ذلك، وقاموا بفتح الحصون امام المسلمين، فدخلها خالد، وامر بقتل جميع الرجال البالغين، وذلك عقاباً لهم على موقفهم، وقيامهم بقتال المسلمين نيابة عن الفرس.

واثناء تجول خالد في المدينة، مر على كنيسة وجد فيها اربعين غلاماً يتعلمون الانجيل، ففرقهم على الامراء والاغنياء، وغنم المسلمون من المدينة غنائم كثيرة جداً.

معركة دومة الجندل

(انا اعلم الناس بخالد، لا احد ايمن طائراً منه، ولا احد في حرب، لا يرى قوم وجه خالد قلوا او كثروا الا انهزموا عنه، فاطيعوني وصالحوا القوم) (١).

تاريخ المعركة : جمادى الاخرة من السنة الثانية عشرة للهجرة (٦٣٣ ميلادية).

مكانها : دومة الجندل، وهو حصن بين الشام والمدينة المنورة، قرب جبل طيء (٢) (انظر الخارطة رقم ١٤).

اهدافها.

بعد وصول الرسول ــ عليه السلام ــ الى تبوك في السنة التاسعة للهجرة، وانسحاب الروم منها دون ان يستطيعوا مقاتلة المسلمين، ارسل الرسول ــ عليه السلام ــ من هناك سرية بقيادة خالد بن الوليد الى دومة الجندل، واستطاع خالد ان يلقي القبض على ملكها «اكيدر بن عبدالملك» ويحضره الى الرسول ــ عليه السلام ــ فقام عليه السلام بعقد صلح مع اكيدر، يقوم بموجبه اهل دومة الجندل بدفع الجزية للمسلمين.

وبعد وفاة الرسول ــ عليه السلام ــ ارتدت معظم القبائل العربية عن الاسلام، ولم تعد تدفع الصدقات، بالاضافة الى توقف من كان يدفع الجزية عن دفعها، بما فيهم قبيلة كلب التي كانت تسكن دومة الجندل، فلما قام ابو بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ بمحاربة المرتدين في الجزيرة العربية، لم يرسل جيشاً الى دومة الجندل في ذلك الوقت، وانما اخر عملية اخضاعها للمسلمين الى مرحلة لاحقة، كونها تقع في اطراف الجزيرة العربية.

بعد ان استقر الوضع تماماً في الجزيرة العربية، واصبحت خاضعة كلها للاسلام، قام الخليفة بارسال الجيوش الى خارجها، فارسل خالد بن الوليد الى العراق ليدخله من جنوبه، وارسل عياض بن غنم ليدخل العراق من شماله، ليلتقي مع خالد في الحيرة، واستطاع خالد ان يصل الحيرة في حوالي اربعين يوماً، اما عياض والذي كان من المخطط له ان يبدأ من دومة الجندل، ثم ينطلق شمالاً، لم يستطع ان يتجاوز تلك المدينة، وعجز عن اخضاعها للاسلام، مما حدا به ان يرسل الى خالد بن الوليد، يطلب منه المعونة في محاربة اهل دومة الجندل.

---

(١) مما قاله اكيدر ملك دومه الجندل عند سماعه بتحرك خالد بن الوليد الى دومة الجندل.

(٢) معجم البلدان، الجزء ٢، صفحة ٤٨٧.

الموقف قبل المعركة

١. موقف المسلمين.

وصل رسول عياض بن غنم الى خالد بن الوليد، طالباً ان يقوم خالد بمساعدة عياض في محاربة اهل دومة الجندل، وقد كان خالد يسيطر على الوضع في المناطق التي دخلها المسلمون في العراق، بعد ان هزم الفرس في جميع المعارك التي خاضوها ضد المسلمين، فارسل خالد الى عياض يخبره انه قادم اليه، وطلب خالد من القعقاع بن عمرو التميمي ان يقوم بأدارة شؤون المناطق التي سيطر عليها المسلمون في العراق طيلة فترة غيابه عنها، ثم تحرك خالد على رأس جيش تعداده ستة الاف مقاتل، سار بهم حتى وصل الى دومة الجندل، وهناك اصبح عياض تحت امرته.

٢. موقف المشركين.

كان يقود المشركين في دومة الجندل رجلان هما، اكيدر بن عبدالملك والجودي بن ربيعه، وعندما علما بقدوم خالد بن الوليد الى المدينة، قاما بمراسلة حلفائهم من القبائل العربية المجاورة لهم، يطلبان منهم المساعدة في مقاتلة المسلمين، فتدفق المقاتلون من هذه القبائل الى دومة الجندل، وعسكر اكثرهم خارج حصون المدينة، وذلك لاكتظاظها بالمقاتلين.

وعندما اقترب خالد من المدينة، حاول اكيدر ان يقنع المشركين بمصالحة خالد، الا انه عجز عن تحقيق ذلك، مما جعله يخطط للهرب من المدينة، لادراكه ان خالداًلن يرحمه هذه المرة، فتسلل من الحصن، ولكنه وقع في اسر مفرزة من المقاتلين المسلمين، فاحضروه الى خالد الذي امر بقتله فوراً.

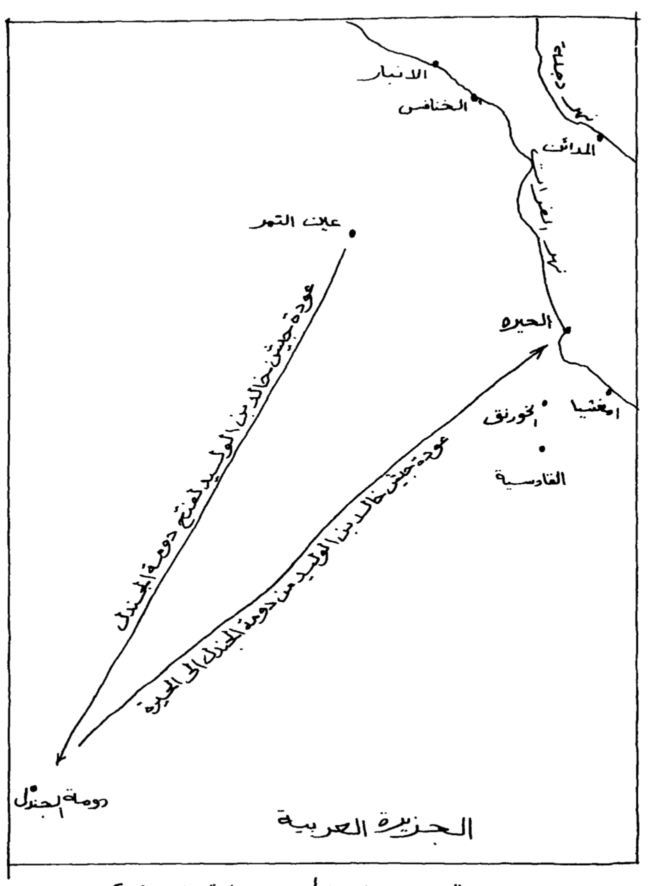
سير المعركة.

ما ان وصل خالد الى دومة الجندل، حتى قام بتوزيع قوات المسلمين حول المدينة، فمنع خالد بذلك وصول اي امدادات لاعدائه، ولم يقم بمهاجمتهم، وذلك لتيقنه انه سيكون الخاسر ان هو بدأ الهجوم، وابقى جيشه على اتم الاستعداد، حتى يقوم المشركون بذلك.

وبالفعل لم يصبر المشركون كثيراً، وقام الجودي بقيادتهم والهجوم على المسلمين، ودار قتال شديد بين الطرفين حول المدينة، وبعد فترة وجيزة بدأ المشركون بالتضعضع، واخذوا يفرّون الى المدينة ليحتموا بحصونها، ولكن اهل المدينة قاموا باغلاق ابوابها، عندما رأوا المشركين والمسلمين مندفعين الى المدينة، وبذلك تركوا المشركين يلقون مصيرهم على ايدي المسلمين، فأسرت اعداد كبيرة منهم ومن بينهم الجودي.

بقيت حصون المدينة منيعة امام المسلمين، فقام خالد بقتل الجودي ومن معه، ورمى بهم الى ابواب المدينة، ثم شن المسلمون هجوماً كبيراً على هذه الابواب، فقتلوا كل المدافعين عنها، وتدفقوا الى داخل المدينة، واستطاعوا ان يسيطروا عليها تماماً.

بقي خالد في المدينة عدة ايام، ثم غادرها عائداً الى الحيرة، وبرفقته عياض بن غنم (انظر الخارطة رقم ١٤).



معركة دومة الجندل خارطة رقم (١٤)

معركة الحصيد

الا ابلغا اسماء ان خليلها　　　قضى وطرا من روزمهر الأعاجم

غداة صبحنا في حصيد جموعهم　　　بهندية تفري فراخ الجماجم (١)

تاريخ المعركة: شهر شعبان من السنة الثانية عشرة للهجرة (٦٣٣ ميلادية).
مكانها : الحصيد، وهو واد بين الكوفة والشام (٢) (انظر الخارطة رقم ١٥).

اسبابها:

بعد ان غادر خالد بن الوليد العراق، واتجه الى دومة الجندل شمال الجزيرة العربية، لمساعدة عياض بن غنم في السيطرة على المدينة، ظن الفرس ان خالداًقدعاد الى المدينة المنورة، وان الفرصة مواتية لاعادة ما احتله المسلمون من ارض العراق الى الامبراطورية الفارسية، على الرغم من ان جيش المسلمين الذي كان ما يزال في العراق لم يتقص سوى ستة الاف مقاتل، رافقوا خالداً الى دومة الجندول.

امر قائد الفرس الاعلى «بهمن بن جاذويه» بتكوين جيش فارسي كبير، ثم راسل العرب النصارى، يطلب مساندتهم لطرد المسلمين من العراق، فأستجابوا لذلك، وسرعان مالبوا دعوته بهدف الثأر لما اصابهم على ايدي المسلمين في المعارك التي وقفوا فيها الى جانب الفرس.

وقد تهيأ لبهمن بن جاذويه جيش ضخم، فقام بتقسيمه الى قسمين، امر القسم الاول وهو بقيادة (روزبه) بالتحرك الى الحصيد، وامر القسم الثاني وهو بقيادة (زرمهر) بالتحرك الى الخنافس.

وقائع المعركة.

علم الزبرقان بن بدر عامل خالد بن الوليد على الانبار بتحركات الفرس، فأرسل بالخبر الى القعقاع بن عمرو نائب خالد بن الوليد في الحيرة، وقائد المسلمين فترة غياب خالد عن العراق، فقام القعقاع بن عمرو بعدة تدابير هامة لمنع الفرس من تحقيق اهدافهم، حيث سحب بعض المفارز التي سبق وان ارسلها خالد بن الوليد عبر الفرات وحشدها في الحيرة، وارسل قوات اسلامية الى الحصيد بقيادة ابي ليلى، اعبد بن فدكي السعدي، لمنع تقدم الفرس من

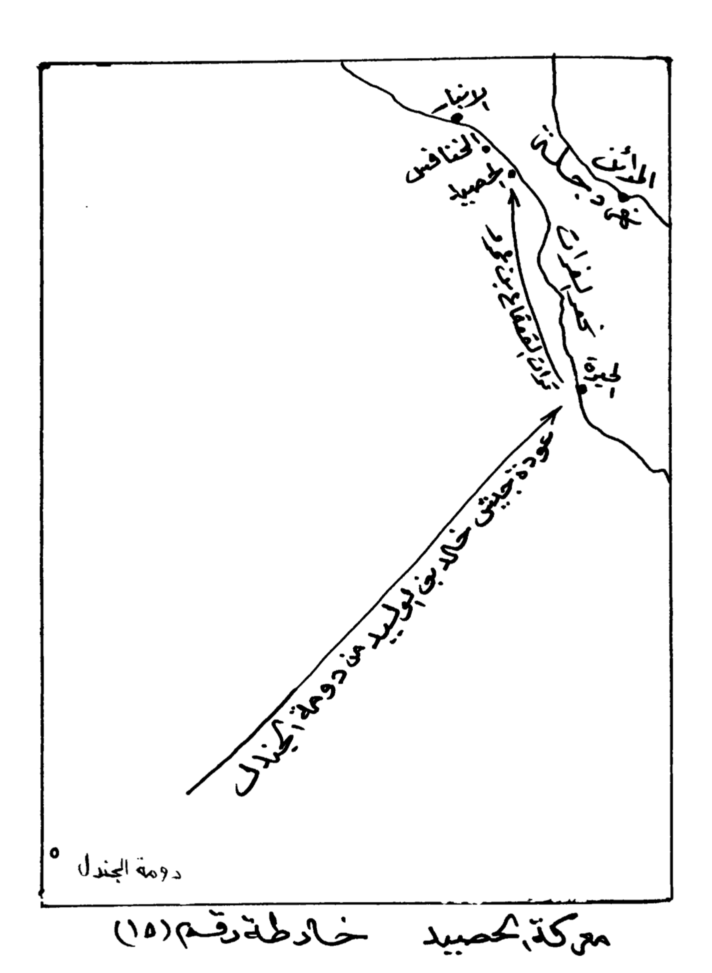
---

(١) مما قاله القعقاع بن عمرو التميمي في هذه المعركة.
(٢) معجم البلدان، الجزء ٢ صفحة ٢٢٦.

هناك، واحتفظ بالقسم الاكبر من قواته في الحيرة، جاعلاً جنوده على اتم الاستعداد للتدخل عند حدوث اي طارىء.

وردت الاخبار الى خالد بن الوليد اثناء عودته الى الحيرة، فلما وصلها، امر القعقاع بن عمرو بالتحرك الى الحصيد على رأس جيش من المسلمين لمقاتلة الفرس هناك، وما ان علم (روزبه) قائد جيش الفرس في الحصيد بقدوم القعقاع نحوه حتى قام بطلب المساعدة من (زرمهر) قائد جيش الفرس في الخنافس، فحضر زرمهر بنفسه.

وصل القعقاع بن عمرو الى الحصيد، وقام بتنظيم جيشه للمعركة، ثم امر جنوده بالهجوم على الفرس، فدار قتال شديد بين الطرفين، واستطاع القعقاع ان يقتل زوربه، عندها طلب زرمهر ان يخرج اليه رجل من المسلمين يبارزه، فخرج له احد المسلمين، واستطاع ان يقتله، فلما رأى الفرس قتل القائدين الفارسيين، دبت الفوضى في صفوفهم، وبدأوا بالهرب من ارض المعركة، مخلفين وراءهم اعداد كبيرة من القتلى، واتجه من نجى منهم الى الخنافس، لينضموا الى الجيش الفارسي الموجود هناك.



معركة الحصيد خارطة رقم (١٥)

معركة الخنافس

وقالوا ما تريد ؟ فقلت ارمي ... جموعاً بالخنافس بالخيول
فدونكم الخيول، فالجموها ... الى قوم بأسفل ذي اثوم
فلما ان احسوا ما تولوا ... ولم يغررهم ضبح الخيول
وفينا بالخنافس بأقيات ... لمهبوذان في جنح الاصيل (١)

تاريخ المعركة : شهر شعبان من السنة الثانية عشرة للهجرة (٦٣٣ ميلادية).
مكانها : الخنافس، وهي ارض للعرب في طرف العراق قرب الانبار من ناحية البردان (٢).

اهدافها.

بعد ان انتصر المسلمون على الفرس في معركة الحصيد، انسحبت فلول الفرس الى الخنافس، لتنضم الى جيش الفرس المعسكر هناك، فقام خالد بن الوليد بأرسال قوات اسلامية الى الخنافس لملاحقتهم، ومحاربتهم هناك.

وقائع المعركة.

توجهت القوات الاسلامية الى الخنافس، بقيادة ابو ليلى، اعبد بن فدكي السعدي، فلما علم «مهبوذان» قائد جيش الفرس في الخنافس بقدوم المسلمين نحوه، دب الرعب في قلبه، وخشي ان يدخل معركة مع المسلمين يكون مصير جيشه فيها كمصير جيوش الفرس في المعارك السابقة، فأمر جنوده بترك الخنافس والانسحاب منها الى (المصيخ).
وعندما وصل ابو ليلى الفدكي الى الخنافس، لم يجد فيها جيشاً يحاربه، فقام بدخولها، وارسل بالخبر الى خالد بن الوليد.

---

(١) مما قاله ابو ليلى الفدكي في هذه المعركة.
(٢) معجم البلدان، الجزء ٢ صفحة ٣٩١.

معركة المصيخ

سائل بنا يوم المصيخ تغلباً وهل عالم شيئا وأخر جاهل
طرقناهم فيها طروقاً فاصبحوا احاديث في افناء تلك القبائل
وفيهم اياد والنمور وكلهم اصاخ لما قد عزهم للزلازل (١)

تاريخ المعركة : شهر شعبان من السنة الثانية عشرة للهجرة (٦٣٣ ميلادية).
مكانها : المصيخ بين حوران والقلت (٢).

وقائع المعركة.

بعد معركتي الحصيد والخنافس، تجمعت قوات الفرس المنهزمة في المصيخ، لتنضم الى قوات العرب النصارى المحتشدة بالقرب من الحصيد، بغية الثأر لمقتل قائدهم عقه بن ابي عقه في معركة عين التمر

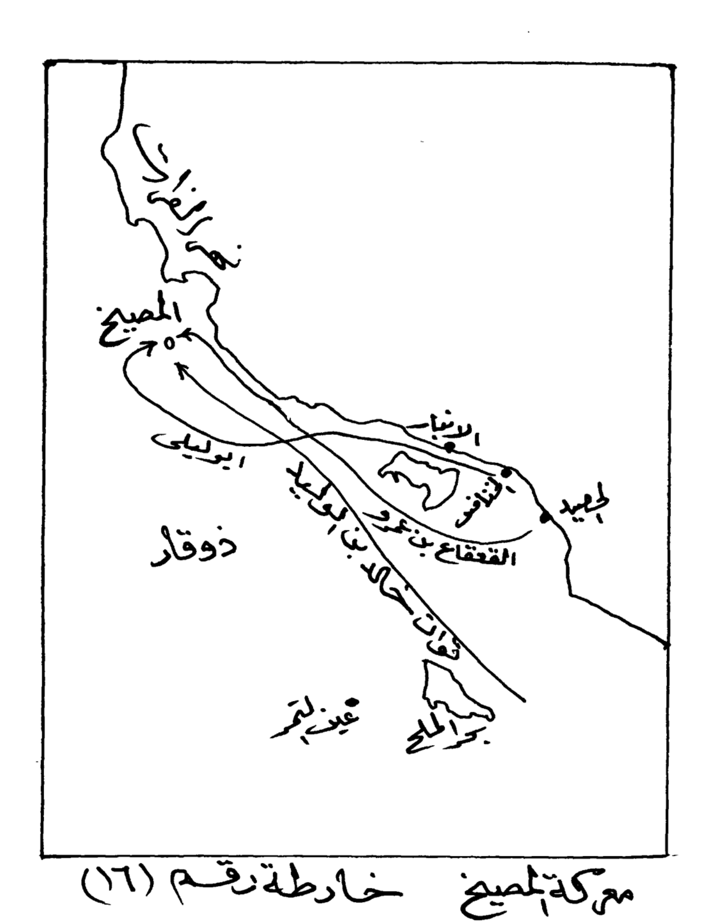
عندما علم خالد بن الوليد بتجمع الفرس في المصيخ، امر قوات المسلمين ان تتحرك من اماكنها في الحصيد والخنافس وعين التمر،وان تلتقي في ليلة واحدة وفي ساعة معينة في المصيخ (انظر الخارطة رقم ١٦).

وصلت القوات الثلاث الى المصيخ، والتقت هناك في المكان والزمان المحددين لها، وكانت الاخبار التي وصلت الفرس، ان المسلمين ما زالوا بعيدين عنهم، وان من الصعب تجميع قواتهم بسرعة وشن هجوم عليهم، ولكن الذي حدث هو غير ما توقعوه، فقد قدم خالد الى المصيخ ليلاً، وامر قواته ان تقوم بالهجوم فوراً على الفرس من ثلاثة اتجهات، وهذا الاجراء فاجأ الفرس، فدبت الفوضى بين جنودهم، واستطاع المسلمون قتل اعداد كبيرة منهم.

وقد كان هدف خالد من الهجوم ليلاً على معسكر الفرس، هو القضاء على جميع قواتهم هناك، الا ان الظلام ساعد اعداد كبيرة منهم على الهرب خارج المعسكر، والالتجاء الى منطقة الزميل.

---

(١) مما قاله القعقاع بن عمرو التميمي في هذه المعركة.
(٢) معجم البلدان، الجزء ٥ صفحه ١٤٤.



معركة المصيخ خارطة رقم (١٦)

معركة الثني

تاريخ المعركة : شهر شعبان من السنة الثانية عشرة للهجرة (٦٣٣_ ميلادية).
مكانها : الثني قرب المصيخ والزميل في ارض العراق.

وقائع المعركة.

بعد ان لجأ الفرس الفارون من معركة المصيخ الى الزميل، توجه خالد بن الوليد نحوهم بهدف ملاحقتهم، والقضاء عليهم، خوف ان يعيدوا تنظيم صفوفهم، ويهاجموا جيش المسلمين.
وفي طريقه الى الزميل عرج خالد بجيشه الى منطقة الثني، حيث كان العرب النصارى قد اعادوا تجميع انفسهم هناك بغية الثأر لمقتل قائدهم عقه بن ابي عقه في معركة الانبار، ولما وصل خالد الى منطقة الثني قام بهجومه على اعدائه، متبعاً نفس اسلوبه الذي استخدمه في معركة المصيخ، اذ اطبق عليهم من ثلاثة اتجاهات، جاعلاً من الليل ستاراً لهجومه، فاستطاع بذلك ان يجعل من ارض المعركة منطقة تقتيل لاعدائه الذي لم ينج احد منهم.

معركة الزميل

تاريخ المعركة : شهر شعبان من السنة الثانية عشرة للهجرة (٦٣٣ ميلادية).
مكانها : الزميل قرب الثني بأرض العراق.

وقائع المعركة:

بعد ان قضى خالد بن الوليد على اعدائه في الثني، تحرك مباشرة وفي نفس الليلة، الى منطقة الزميل التي تجمع فيها الفارون من الفرس في معركة المصيخ.

ما ان وصل خالد الى هناك، حتى امر قواته على الفور ببدء هجومها على اعدائه، وبنفس الاسلوب في المعركتين السابقتين فما شعر الفرس الا وجيش المسلمين يطبق عليهم ليلاً من ثلاث اتجاهات، واستطاع المسلمون قتل اعداد كبيرة من اعدائهم، فيما فر الباقون من ارض المعركة.

وعلم خالد بن الوليد ان هلال بن عقه بن ابي عقه، قد جمع من حوله جيشاً من العرب النصارى في مكان قريب منه في (الرضاب)، فتحرك خالد الى هناك، ولكنه لم يجد احداً يحاربه، حيث فر اعداؤه من الرضاب، عند سماعهم بقدومه نحوهم، وانتشروا في الصحراء.

معركة الفِراض

لقينا بالفراض جموع الروم وفرس غمها طول السلام
ابدنا جمعهم لما التقينا وبيتنا بجمع بني رزام
فما فتئت جنود السلم حتى رأينا القوم كالغنم السوام (١)

تاريخ المعركة : الخامس عشر من ذي القعدة من السنة الثانية عشرة للهجرة (كانون ثاني سنة ٦٣٤ ميلادية).
مكانها : الفراض وهو تخوم الشام والعراق والجزيرة في شرقي الفرات (٢) (انظر الخارطة رقم ١٧).

اسبابها:

تحرك خالد بجيشه من الرضاب قرب الزميل، وامر باقي قوات المسلمين المتواجدة في العراق بان تلتحق بجيشه في الفراض، الواقعة على الحدود بين الامبراطوريتين الفارسية والرومانية، واللتين كانتا في صراع دائم قبل مجيء الاسلام.
وعندما اجتمع جيش خالد بالفراض على الجهة الجنوبية لنهر الفرات، تراسل كل من الفرس والروم والعرب النصارى من قبائل ثعلب واياد والنمر، فأسفرت مراسلاتهم عن حشد جيش كبير على الجبهة الاخرى للنهر، وهذه المعركة هي الاولى والأخيرة التي يحارب فيها المسلمون قوات مشتركة من الفرس والروم.

احداث المعركة.
استمر المسلمون معسكرين في جنوب نهر الفرات، واعدائهم في الجهة الاخرى من النهر، والماء يحول بينهما، فلما اكتمل حشد اعداء المسلمين، طلبوا من خالد ان يعبر اليهم او يعبروا له، فقال لهم بل اعبروا الينا، فقاموا بالعبور من النهر، ثم طلب الروم تمييز القوات عن بعضها في ثلاث اقسام، بحيث يكون جنود كل دولة لوحدهم.

---

(١) مما قاله القعقاع بن عمر التيمي في هذه المعركة.
(٢) معجم البلدان، الجزء ٤ صفحة ٢٤٤.

ما ان اكمل اعداء المسلمين عبورهم النهر، حتى امر خالد جيشه ببدء الهجوم، ودار قتال شديد بين الطرفين، اخذ المسلمين فيه يضيقون على اعدائهم الذين لم يصمدوا طويلاً في المواجهة، فارتبكت صفوفهم، وانهارت عزائمهم، الى ان رجحت الكفة تماماً لصالح المسلمين، ففر اعداؤهم من ارض المعركة، بعد ان قتل منهم اعداد كبيرة.

بقي خالد في الفراض عدة ايام، ثم امر جيشه بالتحرك الى الحيرة، فسار الجيش في ثلاث اقسام، هي المقدمة، تليها القوات الرئيسية، ثم المؤخرة التي كان يقودها خالد.

وما ان تحرك الجيش من الفراض حتى غادره خالد سراً الى مكة المكرمة، ليدرك حج ذلك العام، وما ان وصل الجيش الى الحيرة، حتى كان خالد بن الوليد قد عاد من مكة المكرمة، ودخل الحيرة مع مؤخرة الجيش بعد مسيرة حوالي شهر من الفراض الى الحيرة، ولم يكن خالد قد استأذن ابا بكر الصديق رضي الله عنه لترك الجيش والذهاب الى الحج، وعندما علم الخليفة بذلك عاتب خالد عتاباً شديداً.

ومعركة الفراض هي اخر معارك خالد بن الوليد في العراق، حيث بدأ بعدها المسلمون هجوماً كبيراً ضد الامبراطورية الرومانية في بلاد الشام، وواجهوا صعوبات كبيرة في محاربة الروم، مما حدا بالخليفة ابي بكر الصديق، ان يأمر خالد بن الوليد بترك العراق والتحرك الى بلاد الشام لمساعدة المسلمين هناك في حربهم ضد الروم.

حماة

الرقة

الثني

الرضاب

الفراض

جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد

عودة خالد بن الوليد الى الحيرة

نهر الفرات

تدمر

بادية الشام

معركة الفراض خارطة رقم (١٦)

فتوح الشام

تاريخ الفتوح : بدأت في اول السنة الثالثة عشرة للهجرة (٦٣٤ ميلادية).
مكانها : بلاد الشام.

اهدافها:

١ ــ انتقل الرسول ــ علية السلام ــ الى جوار ربه، وهو يوصي بانفاذ بعثة اسامه بن زيد الى بلاد الشام، وكان علية السلام قد ارسل قبلها جيشاً لمحاربة الروم في مؤتة، وقاد بنفسه جيشاً اخر الى تبوك، ولأدراك الخليفة ابي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ لرغبة الرسول ــ عليه السلام ــ ومغزى هذه الرغبة، فقد اخذت انظاره بالتوجه صوب بلاد الشام.
٢ ــ كانت بلاد الشام تخضع لحكم الامبراطورية الرومانية، وكان المسلمون يعون ان الروم لن يتوانوا عن ضرب دولتهم ومهاجمتهم، ان هم رأوا ادنى خطر يأتيهم من ناحية الجزيرة، ولذلك اراد الخليفة ابو بكر استباق ذلك، وانها اي تهديد محتمل من جانب الروم، خاصة وان توقعات المسلمين بشأن الروم قد صدقت، اذ تحالف الروم مع الفرس والعرب النصارى، وخاضوا معركة مشتركة ضد المسلمين في الفراض.
٣ ــ جاء الاسلام للناس كافة، ويقع على عاتق المسلمين نشر الاسلام والدعوة له، لذلك كانت فتوح الشام تطبيقاً لهذا المبدأ، لا سيما وانها تحد الجزيرة العربية من الشمال، وبالتالي لابد من السيطرة عليها، كمعبر ضروري للجيوش الاسلامية نحو باقي المناطق، في اسيا الصغرى، وافريقيا وغيرها.
٤ ــ كانت الكثير من القبائل العربية تقطن بلاد الشام، ولكون دين الامبراطورية الرومانية هو المسيحية، فقد انخرطت معظم هذه القبائل في هذه الديانة، ولكن هؤلاء العرب كانوا يعانون مثل معظم الشعوب الخاضعة للامبراطورية الرومانية، من جور الروم وظلمهم، وكانوا ينتظرون يوم الخلاص من هذا الظلم.
٥ ــ شجعت الانتصارات التي حققها المسلمون في العراق على الامبراطورية الفارسية، الخليفة ابا بكر على خوض مثل هذه التجربة ضد الامبراطورية الرومانية، ولذلك قام الخليفة بأعداد الجيوش وارسالها الى بلاد الشام، فغدا المسلمون بذلك يقاتلون وفي آن واحد اعظم دولتين آنذاك، دولة الفرس ودولة الروم.

ما ان تعمقت فكرة ارسال الجيوش الاسلامية الى بلاد الشام في ذهن الخليفة ابي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ حتى قام بجمع الصحابة من حوله، وشاورهم في الامر، فوافقوه على ذلك.

اخذ الخليفة يرسل الكتب الى عماله في الجزيرة العربية، يشرح لهم رغبته في ارسال الجيوش الى بلاد الشام، ويطلب منهم حث المسلمين على المسير الى المدينة المنورة، حتى تنطلق الجيوش من هناك، واخذ المسلمون يتدفقون على المدينة المنورة، من قبائل حمير وطيء ومن مكة ومن كافة ارجاء الجزيرة العربية، وتوقع الخليفة ابو بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ ان يلق المسلمون مقاومة عنيفة من الروم في بلاد الشام، لذلك فقد وضع تخطيطاً متكاملاً لحركة الجيوش الاسلامية، وعين عدة قادة لهذه الجيوش ومن الرجال المعروف عنهم الشجاعة والحنكة والصبر، وحدد لكل قائد الجهة والمهام المنوطة به، وقد كان قادة هذه الجيوش والوجهه المحددة لكل منهم كما يلي (انظر الخارطة رقم ١٨):

١ ــ يزيد بن ابي سفيان: ووضع تحت امرته قائداً اخر هو ربيعة بن عامر، والحق بكل واحد منهما الف فارس، وحدد وجهتهما الى دمشق.

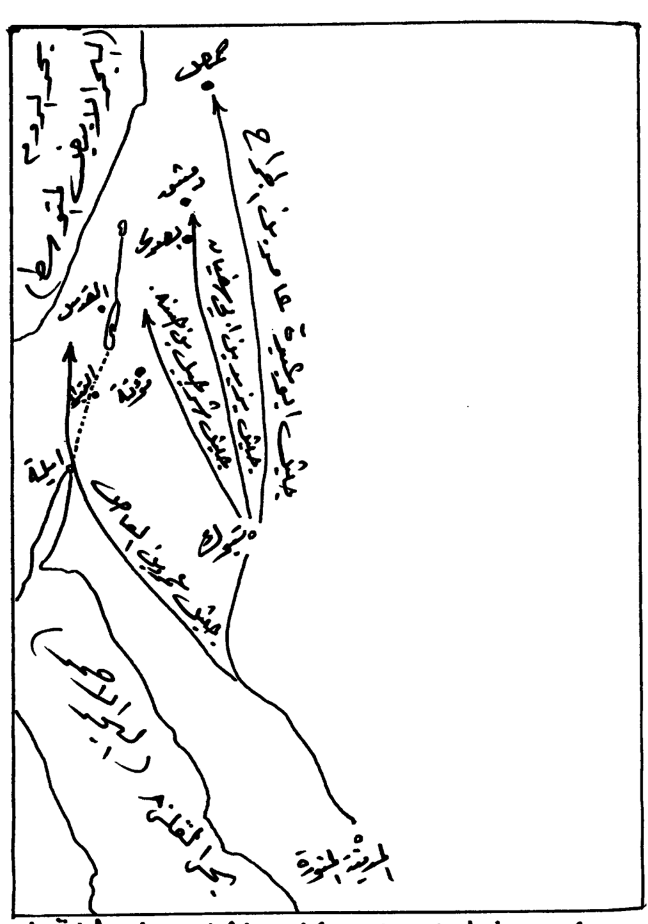
٢ ــ عمرو بن العاص: الى فلسطين، ويسير عن طريق ايلة، وامره على اهل الطائف وهوازن وبني كلاب.

٣ ــ شرحبيل بن حسنه: وكان عائداً من العراق رسولاً من قبل خالد بن الوليد، فأستبقاه الخليفة ابو بكر ــ رضي الله عنه ــ ثم ارسله قائداً يحارب في بلاد الشام، وتكون وجهته الى الاردن.

٤ ــ ابو عبيدة، عامر بن الجراح: وتكون وجهته الى حمص، ويضم جيشه المهاجرين والانصار، ويعتبر ابو عبيده قائداً عاماً للجيوش الاسلامية في بلاد الشام، وتجتمع هذه الجيوش مع بعضها اذا لزم الأمر تحت امرته.

٥ ــ خالد بن الوليد: امره الخليفة بالتحرك من العراق الى بلاد الشام، لمساعدة المسلمين هناك، بعد ازدياد الخطر عليهم من الروم، وقد كان تحرك خالد من العراق بعد تحرك الجيوش الاسلامية الى بلاد الشام، ونشوب عدة مجابهات مع الروم، قام الروم على اثرها بحشد جيش كبير لمحاربة المسلمين.

بعد اعداد الجيوش الاسلامية في المدينة وتعيين قادتها، بدأت هذه الجيوش بالتحرك نحو الشام، وكان اول جيش ينطلق هو جيش يزيد بن ابي سفيان، بعد ان ودعه الخليفة ابو بكر ــ



مسار جيوش المسلمين من المدينة إلى بلاد الشام — خارطة رقم (١٨)

رضي الله عنه ـــ (حيث ساروا على وادي القرى، ليخرجوا على تبوك، ثم على الجابية، الى دمشق)(١)، وتبعه لواء شرحبيل بن حسنه، ثم لواء ابي عبيدة، عامر بن الجراح، ثم لواء عمرو بن العاص، وكان بين اللواء والأخر مسير يوم واحد.

وصل خبر تحرك المسلمين الى هرقل عندما كان موجوداً في حمص، عن طريق بعض الرجال من العرب النصارى الذين كانوا موجودين في المدينة اثناء اعداد الجيوش.

اخذ هرقل ملك الروم يعد العدة لمحاربة المسلمين، واعادتهم من حيث اتوا، واضعاً في اعتبازه ان المسلمين قوة ليس من السهل الوقوف امامها، بعد ان رأى ما حل بالفرس في العراق، فكان لا بد من وضع استراتيجية يستطيع الروم من خلالها ايقاف تقدم المسلمين، ولذلك امر هرقل باعداد جيش كبير تتوفر له كل الامكانات التي تساعده في القضاء على المسلمين، وقام بتعيين القادة لملاقاة جيوش المسلمين وعلى النحو التالي:

١ ـــ تذارق اخو الملك هرقل: يقود تسعين الف مقاتل، لملاقاة عمرو بن العاص في فلسطين.
٢ ـــ جرجة بن توذرا: يقود خمسين الف مقاتل، لملاقاة يزيد بن ابي سفيان.
٣ ـــ الدراقس : لملاقاة شرحبيل بن حسنة.
٤ ـــ الفيقار بن انسطوس(٢): في ستين الف مقاتل، لمقابلة ابو عبيدة، عامر بن الجراح.

بالاضافة الى هذه الجيوش، فقد اخذت تتجمع قوات رومانية كبيرة في اجنادين، للانطلاق من هناك الى باقي المناطق التي تتواجد فيها الجيوش الاسلامية وحسب الاحتياجات.

دارت عدة اشتباكات بين الروم والمسلمين اثناء مسير الجيوش الاسلامية، فقد اعترضت قوة من العرب النصارى يزيد بن ابي سفيان في تبوك، ولكنه استطاع ان يقضي عليها بالاضافة الى مناوشات بسيطة كان المسلمون يسيطرون عليها بسرعة.

استمرت الجيوش الاسلامية تتقدم الى اهدافها المرسومة لها من قبل الخليفة ابي بكر الصديق ـــ رضي الله عنه ـــ وعلم المسلمون ان الروم قد حشدوا لهم، فراسلوا ابا عبيدة في ذلك، ووجدوا ان اجتماع جيوشهم افضل لهم واجدى، فقام ابو عبيدة بأعطاء اوامره الى جيوش المسلمين في الشام، لتجتمع مع بعضها تحت قيادته، بأستثناء لواء عمرو بن العاص الذي كان بعيداً في وادي عربة، وارسل ابو عبيدة الى الخليفة بهذه الاخبار.

عندما علم هرقل ان المسلمين قد جمعوا جيوشهم معاً، امر وكأجراء مماثل بتجميع قوات الروم تحت قيادة موحدة وفي مكان واحد.

---

(١) فتوح الشام للواقدي، الجزء ١ صفحة ٤.

(٢) ورد في بعض المراجع اختلاف بسيط في كتابة اسماء القادة الرومان، وربما كان السبب في ذلك هو عدم الفة تلك الاسماء الرومانية عند العرب، وبما ان اكثر المؤرخين كتبوها عن الرواة، فانهم يكتبونها حسب لفظ الرواه لها.

وصلت هذه الاخبار الى الخليفة ابي بكر الصديق ـــ رضي الله عنه ـــ فادرك مدى صعوبة الموقف وخطره، ولما كان لابد من ايجاد الطرق الكفيلة بأنجاح الحملة على بلاد الشام، ارتأى الخليفة ان ارسال خالد بن الوليد بمدد من العراق الى الشام، وجعله قائداً عاماً لجيوش المسلمين هناك، سوف يعزز من موقف المسلمين، ويقوية ضد الروم.

مسيرة خالد بن الوليد من العراق الى الشام

شاور الخليفة اصحابه في جعل خالد بن الوليد قائداً على جيوش المسلمين في بلاد الشام، فأقروه على ذلك، عندئذ قام بأرسال الكتاب التالي الى خالد بن الوليد:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله بن عتيق بن ابي قحافه الى خالد بن الوليد السلام عليكم، اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو، واصلي على نبيه محمد ـــ ﷺ ـــ واني قد وليتك على جيوش المسلمين، وامرتك بقتال الروم، وان تسارع الى مرضاة الله عز وجل وقتال اعداء الله وكن ممن يجاهد في الله حق جهاده، ثم كتب ﴿يا ايها الذين آمنواهل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم﴾ الاية وقد جعلتك الأمير على ابي عبيدة ومن معه)(١).

كما امرة الخليفة بان يقوم بتقسيم الجيش الذي معه في العراق، الى قسمين، يأخذ معه نصفه، و يترك النصف الثاني في العراق تحت قيادة المثنى بن حارثة.

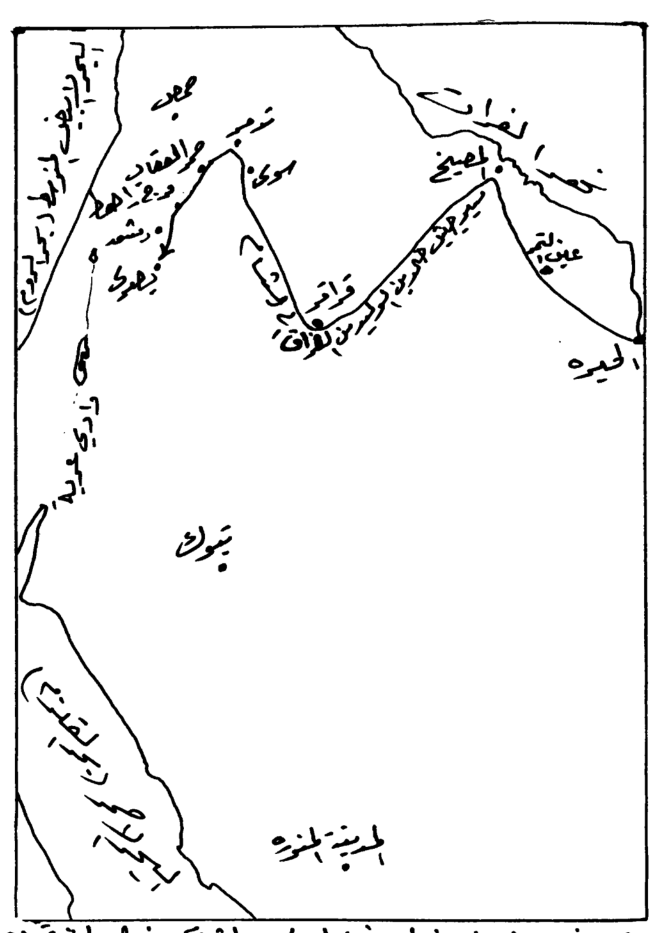
وصل كتاب ابي بكر الى خالد وهو ينوي خوض معركة القادسية، فقام خالد بالعمل فوراً على تنفيذ اوامر الخليفة، فقسم الجيش الى نصفين، وانطلق من العراق الى الشام بنصف الجيش، واختار خالد بن الوليد طريقاً صعباً للغاية، واراد من ذلك تقصير المسافة والوصول بسرعة الى الشام.

كان دليل خالد بن الوليد في مسيره رافع بن عميره الطائـي، والذي حذر خالد من المسير في هذا الطريق لصعوبته، وقلة الماء فيه، الا ان خالداًاختاره لمسير الجيش، للوصول بسرعة الى الشام لمساعدة المسلمين هناك.

وفي شهر ربيع الاول من السنة الثالثة عشرة للهجرة (شهر حزيران من السنة ٦٣٤ ميلادية) خرج خالد بن الوليد في تسعة الاف مقاتل من الحيرة في العراق، وسار عبر عين التمر، ثم صذودة، ثم المصيخ، ثم قراقر، ومنها بدأ بقطع المسافة الخطيرة، حيث قلة الماء وحرارة الصحراء الشديدة، ووصل الجيش في اليوم الخامس الى مكان الماء الذي يعرفه دليلهم رافع، بعد ان

---

(١) البداية والنهاية، الجزء ٧ صفحة ٥.



تحركات خالد بن الوليد من الحيرة في العراق إلى ميدان الشام خارطة رقم (٩)

امضى الجيش يومين بدون ماء، وعند وصوله الى هناك، فقد دليلهم ابصاره ولم يعد يرى شيئاً، الا انه بذكائه استطاع ان يصف للمسلمين مكان الماء فأعطاهم علاماته، وهي شجرة صغيرة وجدوا منها بقية، فحفروا هناك، ووجدوا الماء، وشرب الجيش بعد ان كاد ان يفنى، ثم تحرك حتى وصل سوى، وبذلك بدأ المسلمون دخول الشام، وقضوا على المقاومة البسيطة فيها، ثم انطلقوا الى ارك (وهي قرية صغيرة في طريق برية حلب قرب تدمر وهي ذات نخل وزيتون)(١) وكان يسكنها العرب النصارى تحت امرة قائد روماني، وعند وصول المسلمين لها تحصن اهلها، ففرض خالد بن الوليد الحصار عليها، الا انها استسلمت بسرعة مقابل شرط واحد فقط هو دفع الجزية، وارسل خالد من هناك قوتين الى بلدتي السخنة وكرمه القريتين من ارك، فرحب اهل القريتين بالمسلمين، واستسلموا مقرين دفع الجزية.

ثم تحرك جيش المسلمين الى تدمر، وعندما وصلها تحصن اهلها فيها، ودارت مفاوضات بينهم وبين المسلمين نتج عنها اقرار اهل المدينة بدفع الجزية للمسلمين، ودخولهم المدينة دون حرب.

ثم تحرك خالد بن الوليد الى القريتان (وهي قرية كبيرة من اعمال حمص في طريق البرية بينها وبين سخنه وارك اهلها كلهم نصارى... وهي التي تدعى حوارين، وبينها وبين تدمر مرحلتين)(٢) وقاوم اهلها جيش خالد، الا انهم لم يصمدوا طويلاً امام جيش المسلمين، وتم الاستيلاء على القرية.

ثم تحرك خالد بن الوليد نحو دمشق ــ مروراً من حمر العقاب الى مرج راهط، وهناك حارب خالد اهل مرج راهط وهزمهم، ومن هناك راسل ابا عبيدة، عامر بن الجراح الذي كان موجوداً شمال شرق نهر الاردن، وكان يقود قوات المسلمين وتحت امرته شرحبيل بن حسنة، ويزيد بن ابي سفيان، فلما علم ابو عبيده بأقتراب خالد، اراد فتح بصرى قبل وصوله لها، حتى لا تكون عائقاً لتقدم قواته، فارسل ابو عبيدة، شرحبيل على رأس اربعة الاف فارس، للاستيلاء عليها.

انطلق شرحبيل الى بصرى، وحاصرها عدة ايام، ثم خرج اهلها لمحاربة المسلمين، ودار قتال شديد بين الطرفين، فحاول الروم تطويق المسلمين، وكادوا ان ينجحوا في ذلك، لولا وصول خالد في هذه الاثناء، مما جعلهم يتركون القتال، وينسحبون الى داخل المدينة ليتحصنوا فيها، فقام خالد بفرض الحصار على المدينة عدة ايام، ودارت مناوشات بين الطرفين، كان اهل المدينة خلالها يتوقعون وصول امدادات لهم من الروم، الا انهم تيقنوا ان ذلك لن يحدث، عندما

---

(١) معجم البلدان، الجزء ١ صفحة ١٥٣

(٢) معجم البلدان، الجزء ١ صفحة ٣٣٦

علموا بأن الروم مشغولون باعداد تحشدات في اجنادين، فقرروا الاستسلام للمسلمين، واقروا دفع الجزية وبذلك قام المسلمون بأحتلال اول مدينة هامة في بلاد الشام.

استلم خالد بن الوليد قيادة جيش المسلمين بالقرب من بصرى، واعطى اوامره لكل الوية المسلمين المنتشرة في بلاد الشام، بالتحرك الى اجنادين، لمقاتلة تحشدات الروم هناك.

معركة اجنادين (١)

(اعلموا انكم لستم ترون للروم جيشاً مثل هذا اليوم، فان هزمهم الله على ايديكم فما تقوم لهم بعدها قائمة ابدا، فاصدقوا في الجهاد، وعليكم بنصر دينكم، واياكم ان تولوا الادبار فيعقبكم ذلك دخول النار، واقرنوا المواكب ومكنوا المضارب، ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة وايقظوا هممكم)(٢)

تاريخ المعركة: اواخر شهر جمادي الأولى من السنة الثالثة عشرة للهجرة (٦٣٤ ميلادية).
مكانها: اجنادين، وهو موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين.

اسباب تقدم خالد بن الوليد نحو اجنادين:

١ ــ علم خالد بن الوليد ان الروم قد حشدوا قوات كبيرة في اجنادين، لمواجهة المسلمين، وان هذا الحشد تركز لمواجهة عمرو بن العاص الموجود انذاك في وادي عربة، فأراد مقابلة الروم هناك، لنصرة عمرو بن العاص، لادراكه ان اي هزيمة تلحق بالمسلمين في بداية هجومهم على الشام، ستكون لها اثار سلبية في نفوس المسلمين.
٢ ــ ان تجمع قوات المسلمين الموجودة تحت امرة خالد بن الوليد مع القوات الموجودة تحت امرة عمرو بن العاص، يكسبا المسلمين قوة اكبر ووضع افضل.
٣ ــ اراد التوجه الى اجنادين، حتى لا يقوم الروم بحشد قوات كبيرة له في مناطق اخرى، بعيداً عن فلسطين فيشاغلوه بها، بينما تكون قواتهم الموجودة في اجنادين كاحتياط قد تتمكن من القضاء على قوات عمرو بن العاص.
٤ ــ اراد ان يقضي على القوات الرئيسية التي حشدها الروم، اذ ان القضاء عليها وهي بمثابة مركز ثقل الروم، سيسهل القضاء على اي قوات اخرى يحشدونها بعد ذلك.
٥ ــ مرونة حركة جيش المسلمين بالنسبة لجيش الروم، اعطت خالد بن الوليد دافعاً قوياً للتحرك نحو اجنادين. اذ ان حشود معركة اجنادين استغرقت من الروم حوالي شهرين، اما المسلمون فأن استعدادتهم لها لم يطل اكثر من اسبوع.

---

(١) تذكر كثير من المراجع ان معركة اجنادين بعد معركة اليرموك، ولكن المنطق يظهر ان اجنادين وقعت قبل اليرموك وان قائدها هو خالد بن الوليد بينما كان يقود المسلمين بعد اليرموك ابا عبيدة عامر بن الجراح.
(٢) مما قاله خالد بن الوليد للمسلمين قبل معركة اجنادين، فتوح الشام للواقدي جزء ١ صفحة ٣٤.

الموقف قبل المعركة

١ ــ موقف المسلمين.

تحرك جيش المسلمين نحو اجنادين، وارسل قائده خالد بن الوليد الى عمرو بن العاص الموجود انذاك في جنوب فلسطين، يطلب اليه ان يلاقيه في اجنادين، وقد كان تحرك جيش المسلمين منظماً، حيث سار امامه قوة استطلاع لتحسس اي مكمن للخطر على الجيش، وتبعها القوة الرئيسية للجيش، بعدها النساء والاطفال والمؤن، ثم حرس المؤخرة.

(الطريق الذي سلكه الجيش غير مذكور في المراجع التاريخية، ولكن من المعتقد انه يقع شمال البحر الميت، لان الجيش وصل الى اجنادين، قبل لواء عمرو بن العاص الذي انضم الى الجيش في اجنادين، فلو ان الجيش سار جنوب البحر الميت، لتقابل مع عمرو بن العاص، الذي كان ما يزال في وادي عربة، على الطريق، ومن المحتمل ان يكون الجيش قد سار عبر جرش واريحا، ثم التف حول القدس، التي كانت محمية بقوة من قبل الروم، فأجتاز الجبال الممتدة الى الجنوب منها، وبعد ذلك انحدر الى سهل اجنادين)(١) وهناك اصطف جيش المسلمين امام جيش الروم، وعلى مسافة قريبة منه، واخذ الطرفان بالأستعداد للمعركة، ثم بدأت عملية الاستطلاع من الطرفين، فقام خالد بن الوليد، بأرسال ضرار بن الازور لأستكشاف قوة العدو، فتقدم حتى وصل الى مسافة قريبة جداً من العدو، وكاجراء معاكس قام الروم بأرسال ثلاثين فارساً لالقاء القبض عليه، فلما اقتربوا منه، عاد نحو صفوف المسلمين لابعادهم عن جيشهم، وعند ذلك انقضى عليهم، واخذ يقاتلهم واحداً تلو الأخر حتى استطاع ان يقتل منهم تسعة عشر فارساً، ثم عاد الى جيش المسلمين، وقوبل بالترحيب والثناء من المسلمين، الا من القائد خالد بن الوليد الذي غضب من تصرفه، لخروجه عن المهمة الاساسية التي ارسل من اجلها وهي الاستطلاع.

رتب خالد بن الوليد جيشه، فجعل في القلب معاذ بن جبل، وفي الميمنة عبدالرحمن بن ابي بكر الصديق، وفي الميسرة سعيد بن عامر، وفي الجناح الايسر شرحبيل بن حسنة، ولم تذكر المراجع عمن كان في الجناح الايمن، وجعل يزيد بن ابي سفيان في اربعة الاف فارس كأحتياط لجيش المسلمين، وكحماية للنساء والاطفال خلف الجيش، وطلب من النساء مساعدة الجيش والدفاع عن النفس اذا لزم الأمر.

٢ ــ موقف الروم

ما ان وصل المسلمون الى اجنادين، واصطفوا امام قوات الروم، حتى قام قائد جيش الروم

---

(١) سيف الله خالد بن الوليد ــ الجنرال أــ اكرم صفحة ٣٦٥.

وردان ومساعده القبقلار، بالاستعداد للمعركة، وقام القبقلار بأرسال رجل من العرب النصارى خفية الى المسلمين، للاطلاع على احوالهم، واستطاع الرجل دخول معسكر المسلمين دون ان يعرفوه، لانهم توقعوا انه من العرب المسلمين، وعندما عاد الى القبقلار في اليوم التالي، وساله عن المسلمين قال له: (رهبان بالليل وبالنهار فرسان، ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده، ولو زني رجم لاقامة الحد فيهم)(١) وعندما سمع القبقلار ذللك تأثر وايقن ان النصر للمسلمين لامحالة، وان هزيمة الروم مؤكدة.

سير المعركة:

اصبح الجيشان مستعدين للقتال، وتقدم جيش المسلمين من جيش الروم، وجنوده يهللون ويكبرون، وعلى الفور قام الروم برفع الصلبان والاعلام، في هذه الاثناء خرج من بين صفوف الروم رجل كبير السن واقترب من المسلمين (ونادى بلسان عربي، ايكم المقدم فليخاطبني وليخرج الي وعليه امان)(٢) فخرج اليه خالد بن الوليد، وبعد نقاش بين الرجلين، حاول الرجل اقناع خالد بالعودة الى الجزيرة العربية، وخالد يبين له انه على الروم اختيار واحده من ثلاث اما الاسلام او الجزية او القتال، فعاد الرجل الى معسكره، وعاد خالد الى المسلمين.
(عندما علم وردان بالأجابة، رتب اصحابه وتقدم وقدم امامه الرجالة صفاً امام القوم، وبأيديهم المزاريق والقسي)(٣) فنادى معاذ بن جبل بالمسلمين ان يتقدموا لقتال الروم، لكن خالد بن الوليد طلب منه الانتظار حتى يعطي توجيهاته، واخذ يمشي بين الصفوف وينظمها، ثم اعطى اوامره بالتقدم، وعند ذلك قامت مقدمة جيش الروم برمي المسلمين المتقدمين بالسهام بشكل مكثف، فقتل منهم اعداد كبيرة، وجرح اخرون، وتقدم ضرار بن الازور نحو الروم، واستطاع ان يقتل منهم عدة مقاتلين، فطلب وردان قتل ضرار بن الازور، فتقدم منه امير طبرية فقتله ضرار، ثم تقدم نحوه امير عمان وبعد عراك طويل لا غالب فيه ولا مغلوب فيه تقدم قائد جيش الروم وردان في عشرة من فرسانه، وعندما راى خالد بن الوليد ذلك، خرج في عشرة فرسان، وبعد عراك بين الطرفين هاجم الروم المسلمين ودار قتال شديد بين الطرفين استمر حتى العصر، عند ذلك توقف القتال وقد قتل من الروم اعداد كبيرة بينهم عدة رجال من قادتهم.

---

(١) تاريخ الطبري الجزء ٢ صفحة ٦١.
(٢) فتوح الشام للواقدي الجزء ١ صفحة ٣٦.
(٣) فتوح الشام للواقدي الجزء ١ صفحة ٣٦.

وفي المساء اجتمع قائد الروم مع مساعديه للتشاور في الأمر، وهم في ذهول مما وجدوه من المسلمين، وبعد نقاش طويل اشار احدهم الى انه لا سبيل الى النصر بدون مقتل قائد المسلمين، حتى يتفرق اصحابه ولن يكون ذلك الا بحيلة يضعونها، ووافقة وردان على ذلك، وما جاء الصباح حتى كانوا قد وضعوا مكيدتهم، حيث ارسلوا رجلاً من العرب النصارى واسمه داود الى خالد بن الوليد، يطلب فيه ان تكون محادثات بين وردان قائد الروم، وخالد بن الوليد قائد المسلمين، وان تكون المحادثات في نقطة بين الطرفين، وان لا يشترك فيها احد غيرهما.

وكانت خطة الروم تتمثل في ان يكمن عشرة من فرسانهم قرب المكان الذي سوف تدور فيه المحادثات، وهناك يفاجئون خالداً ويقومون بقتله، الا ان ذكاء خالد لم يتح للروم تنفيذ خطتهم، حيث اخبره داود بما ينوي الروم عمله من خديعة، بعدما تيقن هذا الرجل ان هلاك الروم سيكون على ايدي المسلمين، فقام بأخبار خالد بن الوليد، وطلب منه الامان وعدم الافصاح بالخبر، وعاد داود الى معسكر الروم، واخبر وردان ان خالد موافق على طلبه، فقام الروم بتجهيز عشرة من فرسانهم ليكمنوا ليلاً في المكان المقرر، وقام خالد بأختيار عشرة من فرسانه الاشداء، بقيادة ضرار بن الازور، واوضح لهم ما ينوي الروم عمله، وطلب منهم الذهاب في جنح الليل الى فرسان الروم، وقتلهم وبدون ان يعرف الروم، وذلك حتى يفاجئوا وردان في الصباح، ويقوموا بقتله، وبالفعل حدث ما اراد المسلمون، حيث خرج وردان في الصباح، وتقدم نحوه خالد، ودار حديث بين القائدين اظهر بعده وردان الخديعة، فوثب الى خالد يريد الامساك به، فنادى على فرسانه ليخرجوا الى خالد فيقتلوه، الا انه فوجىء بأن الذين خرجوا اليه هم فرسان المسلمين، وفي مقدمتهم ضرار بن الازور، وقاموا بقتله.

وجد خالد ان هذا هو الوقت المناسب لشن هجوم شامل على الروم الذين ما زالوا تحت تأثير الصدمة بمقتل وردان، ولذلك امر خالد المسلمين بشن هجوم عنيف على الروم، وبكل ما اوتوا من قوة، واستطاع المسلمون وبعد تفريق صفوف الروم، الوصول الى القبقلار وقتله، مما زاد من تبعثر جيش الروم وتمزقه، واصبح هم جنود الروم، هو الخروج من هذا الجحيم الذي هم فيه، فأخذوا يفرون من ارض المعركة في جميع الاتجاهات، الا ان اعداد كبيرة منهم لقوا مصرعهم اثناء المطاردة التي استمرت حتى المساء.

انتهت المعركة وبنصر ساحق للمسلمين، فقد خسر الروم خمسين الف مقاتل، من اصل تسعين الف مقاتل رومي اشتركوا في المعركة، مقابل استشهاد اربعمئة وخمسين مسلماً من اصل اثنين وثلاثين الى اربعين الف مقاتل، هم عدد جيش المسلمين.

وصلت اخبار هزيمة الروم الى ملكهم هرقل اثناء وجوده في حمص، فتأثر بشكل كبير جداً جراء ذلك، وتوقع ان تكون دمشق هي الهدف القادم للمسلمين، فقام بأرسال قوات رومانية لحمايتها، وترك هو حمص، وسافر الى انطاكيه، ليبتعد عن خطر المسلمين.

فتح دمشق(١) ووقعة مرج الصفر

(بسم الله الرحمن الرحيم، من ابي بكر خليفة رسول الله الى خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين... اخبرك ان تنزل الى دمشق الى ان يأذن الله بفتحها على يديك...)(٢).

تاريخ الفتح: بدأ حصار مدينة دمشق في شهر جمادى الاخره من السنة الثالثة عشرة للهجرة، واستمر حتى أواخر شهر رجب من نفس السنة (٦٣٤ ميلادية).

مكانها: مدينة دمشق في بلاد الشام.

اهدافه:

١ ــ تتمتع مدينة دمشق باهمية استراتيجية وسياسية واقتصادية، ناتجة عن موقع المدينة، وما لها من اهمية وقيمة عند الروم، ولذلك ارتأى المسلمين ان فتح دمشق سوف يكون خطوة كبيرة باتجاه اخضاع بلاد الشام.

٢ ــ اثناء توجه المسلمين الى اجنادين، تعرضت مؤخرة جيشهم لهجوم من قبل اهل دمشق بالقرب من المدينة، فلما انتهت معركة اجنادين، قرر المسلمون التوجه الى دمشق، لأنهاء اي تهديد محتمل، ولمنع الروم من شن هجمات ضد المسلمين من خلالها.

وقائع فتح مدينة دمشق.

ما ان انتهت معركة اجنادين، حتى اخذ المسلمون يستعدون للمسير الى دمشق لفتحها واخضاعها لسيطرتهم، فتحرك الجيش بعد عدة ايام من انتهاء المعركة نحو دمشق، وكان في مقدمته خالد بن الوليد، الذي عسكر في اطراف المدينة عند دير لا يزال يسمى بأسمه الان، وأخذ المسلمون يتوافدون تباعاً نحوه، الى ان اكتمل وصول جميع افراد الجيش، عند ذلك امر خالد بفرض الحصار على مدينة دمشق، والتي كان اهلها قد اغلقوا عليهم الابواب، عندما رأوا قوات المسلمين الكبيرة تتوافد نحوهم.

---

(١) يختلف الرواه فيما بينهم اختلافاً كبيراً من حيث تسلسل فتح دمشق بين الحروب والمعارك التي خاضها المسلمون ضد الروم، وكذلك قائد الفتح، أهو خالد بن الوليد، المعين من قبل الخليفة ابي بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ ام ابو عبيدة عامر بن الجراح والذي عين قائداً لجيش المسلمين في الشام زمن الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ ولكن سياق الاحداث يبين ان خالد بن الوليد هو قائد هذا الفتح، وانه تم بعد معركة اجنادين، في زمن الخليفة ابي بكر الصديق.

(٢) فتوح الشام للواقدي، الجزء ١ صفحة ٤٣.

وضع خالد القادة ووزعهم على ابواب المدينة، حتى يحكم الحصار عليها، وكان توزيع هؤلاء القادة كما يلي:

١ ـ ابوعبيدة، عامر بن الجراح على باب الجابية.
٢ ـ بزيد بن ابي سفيان على الباب الصغير.
٣ ـ شرحبيل بن حسنه على باب توما.
٤ ـ عمروبن العاص على باب الفراديس.
٥ ـ قيس بن هبيرة على باب الفرج.
٦ ـ خالد بن الوليد على الباب الشرقي، وهو القائد لكل القوات الاسلامية المتواجدة حول المدينة.
٧ ـ ضرار بن الازور وتحت امرته الفا فارس يطوف بهم حول المدينة، للتدخل في حالة تعرض اي فريق من المسلمين الى اي هجوم من الروم.

طلب خالد بن الوليد من القادة ان يعسكروا بالمسلمين في اماكن لا تصلهم فيها سهام الروم، وان يطلب منه المساعدة اي قائد قد يتعرض الى اي هجوم من الروم، ولا يستطيع صده لوحده.

وما ان بدأ المسلمون حصارهم للمدينة حتى علم خالد بن الوليد ان قوات رومانية في طريقها الى المدينة، ارسلها ملك الروم كمدد لأهل دمشق، فقام خالد بالاستعداد لمقاتلتهم في اطراف المدينة.

وصلت قوات الروم الى مشارف دمشق في اواخر الثلث الثاني من جمادى الاخرة من السنة الثالثة عشرة للهجرة، وكان تعدادها خمسة الاف فارس، وبقيادة رجل روماني يلقب بالدرنجار، وانضم اليهم خمسة الاف مقاتل من اهل المدينة، فاصبح عدد قوات الروم التي سيحاربها المسلمون عشرةالاف مقاتل.

قام خالد بن الوليد بالاستعداد لمقاتلة اعدائه، وقام بترتيب جيشه، وعلى النحو التالي: (جعل على ميمنته معاذ بن جبل، وعلى ميسرته هاشم بن عتبه، وعلى الخيل زيد بن عمرو بن نفيل وابا عبيدة على الرجالة)(١).

قام الروم بمهاجمة المسلمين في مكان قرب دمشق يسمى مرج الصفر(٢) وسميت باسمه، فدار قتال شديد بين الطرفين لم يصمد فيه الروم كثيراً واخذوا يفرون من ارض المعركة، فمنهم من دخل الى مدينة دمشق، ومنهم من فر الى مدينة حمص، بعد ان خلفوا وراءهم حوالى خمسمائة قتيل وخمسمائة اسير.

---

(١) تاريخ فتوح الشام، صفحة ٩٦.

(٢) تذكر بعض الروايات ان معركة مرج الصفر حدثت قبل بدء المسلمين حصارهم للمدينة، حيث وضعت قوات الروم لاعاقة تقدم المسلمين نحو مدينة دمشق.

بعد ان انتهت معركة مرج الصفر، عاد المسلمون لمحاصرة مدينة دمشق من جديد، واثناء هذا الحصار توفي الخليفة ابو بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ في يوم الاثنين، الثاني والعشرين من شهر جمادى الاخرة من السنة الثالثة عشرة للهجرة، وتولى الخلافة من بعده الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ ونظراً لبعد المسافة بين المدينة المنورة ودمشق، فلم يعلم المسلمون في الشام بهذا الامر، الا بعد فترة، عندما جاءتهم الاخبار من المدينة، بكتاب الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ الى ابي عبيدة، عامر بن الجراح، يأمره فيه باستلام قيادة جيش المسلمين في الشام، بدلاً من خالد بن الوليد.

استلم ابوعبيدة كتاب الخليفة عمر قبل ان يخضع المسلمون المدينة لسيطرتهم، فأمر ابوعبيدة، حامل الكتاب ان يخفي ما فيه عن القائد خالد بن الوليد، وعن المسلمين لحين الانتهاء من محاصرة المدينة.

صمد اهل دمشق فترة طويلة دون ان يستسلموا، وقد ساعدهم على ذلك، توقعهم وصول امدادات من الملك، وبعد ان طال انتظارهم، ولم تصلهم اي امدادات، وجدوا ان الصلح هو خير وسيلة لأنقاذ انفسهم من المسلمين.

استطاع خالد بن الوليد ان يدخل المدينة من الباب الشرقي عنوة، في الوقت الذي قام فيه توما قائد المدينة، بأجراء الصلح مع ابي عبيدة، عامر بن الجراح، وبذلك دخل قسم من المسلمين المدينة بالقوة، وقسم اخر بالصلح، والتقى خالد مع ابي عبيدة في وسط المدينة، واختلفا في كيفية دخولها، فخالد يعتبر دخول المدينة بالقوة، ويريد معاملة اهلها على هذا الاساس. وابو عبيدة يعتبر دخول المدينة جاء بالصلح، ولكن ابا عبيدة استطاع اخيراً ان يقنع خالد بوجهة نظره، وبذلك تم فتح دمشق، احد المعاقل المهمة بالنسبة للروم، واضاف المسلمون بذلك نصراً هاماً الى سلسلة انتصاراتهم.

كان ابو عبيدة قد علم من كتاب الخليفة عمر، بعزل خالد وتعيينه قائداً عاماً لجيش المسلمين في بلاد الشام. ولكنه لم يعلم المسلمين بذلك، تحسباً لما قد يحدثه ذلك من اثر سلبياً على الجنود، لا سيما وان قيادة خالد كانت تمنحهم ثقة اكبر، بسبب انتصاراته التي حققها على الامبراطورية الفارسية والرومانية.

وحين انتهى فتح دمشق واستقر الامر للمسلمين، انتحى ابوعبيدة جانباً بخالد، واخبره بوفاة ابي بكر وتولي عمر الخلافة، وتنصيبه قائداً للجيش، فلما قرأ خالد كتاب عمر، لاحظ انه قد ارسل منذ فترة طويلة، فعاتب ابا عبيدة على تأخره باخباره بذلك.

بعد ذلك تم اخبّار جيش المسلمين بكل هذه المستجدات، فقام المسلمون بمبايعة مندوب الخليفة، وبايعه خالد، وكان ذلك في الثالث من شعبان من السنة الثالثة عشرة للهجرة، واستمر خالد بعد ذلك يقاتل في صفوف المسلمين بنفس الهمة، مطيعاً لقائده كأي جندي من جنود المسلمين.

وقعة ابي القدس

تاريخ الوقعة: في الخامس عشر من شعبان من السنة الثالثة عشرة للهجرة (٦٣٤ ميلادية).
مكانها: ابي القدس، وهي مكان يبعد عن دمشق حوالي ستين كليو متراً نحو الساحل.
اهدافها:

اخبر احد العرب النصارى المتعاونين مع المسلمين ابا عبيدة، عامر بن الجراح قائد المسلمين في بلاد الشام، ان الروم سوف يقيمون سوقاً كبيراً، يعرضون فيه اجود البضائع لمدة ثلاثة ايام (او سبعة ايام) في ابي القدس، قرب دير يعود لأحد الراهبات، بمناسبة عيد الشعانين عند الروم، وطلب من ابي عبيده الاغارة على السوق، واخذ ما به غنائم للمسلمين.

احداث الوقعة:

وافق ابوعبيدة على هذا الاقتراح، وطلب من المسلمين ان يتطوع احدهم لقيادة هذه المهمة، فخرج له عبدالله بن جعفر الطيار بن ابي طالب (جعفر الطيار احد قادة معركة مؤتة ومن الذين استشهدوا فيها).

ولم يكن عبدالله بن جعفر قد نبت له الشعر في لحيته الا منذ فترة قصيرة، ومع ذلك، فقد امره ابوعبيدة على رأس خمسمائة فارس، فسار بهم الى ابي القدس، ودليله ذلك العربي الذي اخبر اباعبيدة بشأن هذا السوق، وعندما اقتربوا من ابي القدس، كمن المسلمون في وادي حتى يعرفوا عدد القوات الرومانية الموجودة، فذهب دليلهم الى هناك ولما عاد اخبر عبدالله بن جعفر بما لم يكن يتوقعه، فقد وجد قوات رومانية كبيرة تقوم بحراسة السوق، لتوفير الحماية الكافية من اجل اتمام زواج احدى الاميرات في الدير الموجود هناك، وكان عدد هذه القوات حوالي خمسة الاف فارس مستعدين للحرب، بالاضافة الى حوالي عشرين الف رجل من الروم المتنصرة، واليهود والارمن والنصارى... يحضرون هذا السوق.

وعندما سمع المسلمون هذا الخبر، اشار بعضهم بالعودة، واشار بعضهم بأخذ رأي ابي عبيده، الا ان قائدهم الشاب المتحمس للقتال، اقنعهم بعدم العودة، وبالقيام بمهاجمة السوق، وفي صباح اليوم التالي، قسم عبدالله بن جعفر قواته الى خمسة اقسام، وجعل على كل قسم اميراً وطلب اليهم الهجوم على السوق، بحيث يهاجم كل قسم من جهة.

بدأ هجوم المسلمين، واستعد لهم الروم على الفور، وواجهوهم بقتال عنيف، حتى استطاعوا تطويقهم، هنالك ايقن المسلمون ان هلاكهم واقع لا محاله، وان نهايتهم على يد الروم هي مسألة وقت لا اكثر، ومع ذلك لم يستسلموا بل زادوا من مقاومتهم، وفي هذا الموقف العصيب، استطاع احد المسلمين الخروج من ارض المعركة، وذهب مسرعاً الى ابي عبيدة،

حيث اخبره بما يلقاه المسلمون في ابي القدس من عدوهم، وكان ابو عبيده مجتمعاً مع اصحابه عند تلقيه الخبر (فقال رضي الله عنه انا لله وانا اليه راجعون، ايصاب عبدالله بي جعفر ومن معه تحت رايتك يا ابا عبيده، وفي اول امارتك، ثم التفت الى خالد بن الوليد رضي الله عنه ــ فقال له يا ابا سليمان، سألتك بالله الحق عبدالله بن جعفر، فأنت لها، فقال خالد انا لها ان شاء الله تعالى، وما كنت انتظر الا ان تأمرني، فقال ابو عبيده رضي الله عنه، استحييت منك يا ابا سليمان، فقال والله لو أمر علي طفل صغير لاطعت له، فكيف اخالفك وانت اقدم مني ايماناً واسبق اسلاماً، سبقت باسلامك مع السابقين، وسارعت بأيمانك مع المسارعين، وسماك رسول الله بالامين، فكيف الحقك او انال درجتك، والآن اشهدك اني قد جعلت نفسي حبساً في سبيل الله تعالى، ولا اخالفك ابداً ولا وليت امارة بعدها ابداً)(١).

قام خالد بن الوليد، وجهز نفسه للقتال، وانطلق بمن معه من المسلمين حتى وصلوا قبل الغروب الى ابي القدس، وعلى الفور بدأوا هجومهم على الروم، ودار قتال شديد بين الطرفين استمر الى الغروب، هنالك انهزم الروم بعد ان قتل المسلمون منهم اعداداً كبيرة، واسروا اخرين ثم اجتمع المسلمون هناك، وهم يحمدون الله على هذا النصر، بعد ذلك انطلقوا الى الدير الذي كان يقام فيه حفل الزواج، وقد كان محمياً بخمسة الاف فارس، فدار قتال شديد بين الطرفين، واستطاع المسلمون ان يفرقوا فرسان الروم، ثم دخلوا الدير، واسروا الاميرة، وجميع الجواري الموجودات معها، بالاضافة الى كميات كبيرة من الغنائم، ثم عادوا الى دمشق للانضمام الى جيش ابي عبيده، بعد ان ارهقتهم هذه الوقعة، وقد لقي فيها خالد بن الوليد مشقة كبيرة، وجرح جراحاً مؤلمة، ثم كتب ابو عبيدة الى عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ يخبره بنصر المسلمين، وبالغنائم الكبيرة التي كسبوها في هذه الوقعة.

---

(١) فتوح الشام للواقدي، الجزء ١ صفحة ٦٦.

وغداة فحل قد رأوني معلماً والخيل تنحط والبلا اطوار
ما زالت الخيل والعراب تدوسهم في حوم فحل والهبا قوار
حتى رمين سراتهم عن اسرهم في روعة ما بعدها استمرار(١)

تاريخ المعركة:

شهر ذي القعدة من السنة الثالثة عشرة للهجرة (٦٣٤ ميلادية).

مكانها: فحل، وهو موضع على نهر الاردن قرب بيسان (انظر الخارطة رقم ٢٠).

اسبابها:

علم المسلمون ان هرقل ملك الروم، قد حشد قوات كبيرة تقارب الثمانين الفاً قرب فحل غرب نهر الاردن، لتنطلق هذه القوات من هناك لضرب قوات المسلمين المنتشرة في بلاد الشام من جهة، وقطع طرق مواصلات المسلمين مع الجزيرة العربية من جهة اخرى، وقد تجمعت القوات الرومانية عن طريق البحر الابيض المتوسط، ومن البر من اوروبا وبلاد الشام وغيرها.

وقائع المعركة:

كان ابوعبيدة يتابع اخبار تحشدات الروم في فحل، وعندما تبين له ضخامة هذه القوات، والخطر الذي ستحدثه على المسلمين ان لم يتم القضاء عليها، فقام بالتحرك من دمشق بعد ان ابقى فيها يزيد بن ابي سفيان قائداً لها مع قوات كبيرة من المسلمين، لرد اي هجوم من الروم على المدينة.

فلما وصل ابوعبيدة الى الاردن، انضمت قواته الى قوات شرحبيل بن حسنة الذي كان متواجداً اصلاً بجيشه هناك، واصبح شرحبيل هو القائد لجيوش المسلمين في الاردن.

انطلق المسلمون نحو مدينة فحل، وعندما علم الروم بذلك، اقاموا سداً على نهر الاردن قرب فحل، مما زاد في اتساع رقعة النهر، واغرق جانبيه بالمياه، وما ان اقترب جيش المسلمين من المدينة، حتى اخذ قائدهم شرحبيل بن حسنة بالاستعداد لدخولها، فقام ينظم جيشه، حيث وضع خالد بن الوليد على المقدمة، وابا عبيدة، عامر بن الجراح على الميمنة، وعمرو بن العاص على الميسرة، وضرار بن الازور على الخيالة، وعياض بن غنم على الرجالة، ثم امر قوات المسلمين بالتقدم، ولكن عندما وصلوا الى المدينة، فوجئوا بأن الدخول اليها اصبح مستحيلاً، بسبب الوحل الناتج عن مياه النهر، ولم يكن المسلمون قد مروا بمثل هذه التجربة من قبل.

---

(١) مما قاله القعقاع بن عمرو التميمي عن هذه الوقعة.

امام هذه المشكلة المحيرة، وجد المسلمون ان مراسلة امير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ باتت ضرورية، فبعثوا اليه طالبين منه المشورة والرأي، وابقوا قواتهم على اتم الاستعداد للتدخل عند حدوث اي طارىء.

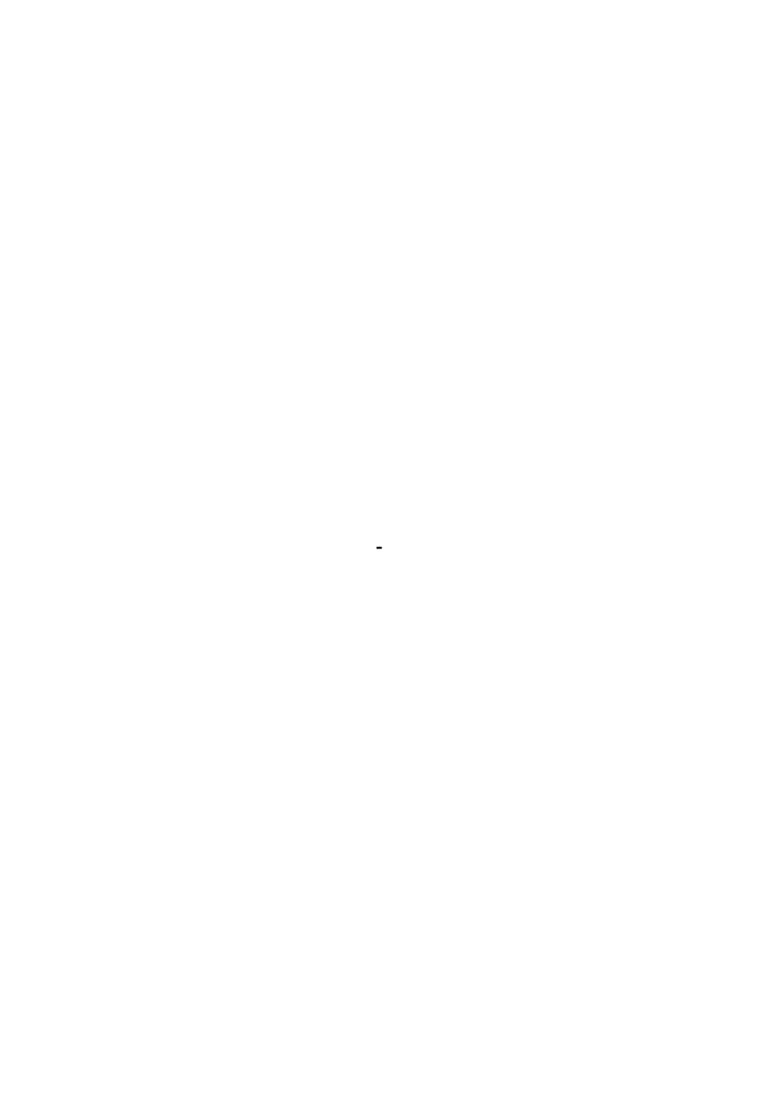
وما ان مضت عدة ايام والمسلمون على هذه الحال من الاستعداد والتيقظ، حتى ظنهم الروم في غفلة من امرهم، وانهم قد ركنوا الى الراحة، فخطط قائدهم «سقلاب بن مخراق» للهجوم على المسلمين ليلاً، عبر طرق خلال الوحل يعرفها الروم.

بدأ الروم هجومهم على المسلمين وفي اذهانهم سهولة المهمة، الا انهم فوجئوا بأستعداد المسلمين، ودار قتال شديد بين الطرفين، استمر طوال تلك الليلة واليوم الذي تبعها، والمسلمون ثابتون في اماكنهم، والروم يرسلون الدفعة تلو الدفعة من المقاتلين، وامام هذا الصمود، وجد الروم ان النصر على المسلمين مستحيل، خصوصاً بعد قتل قائدهم سقلاب، فبدأوا انسحابهم عند الغروب، وبشكل غير منظم، مما سهل على المسلمين القيام بهجوم شامل عليهم، وقد اصبح الوحل الذي سببه الروم حول المدينة لحمايتهم، عائقاً لهم اثناء انسحابهم، مما جعل اكثر جنودهم يلقون حتفهم على ايدي المسلمين.

دخل المسلمون المدينة، وغنموا غنائم كثيرة، ومن هناك انطلق ابوعبيدة بجيش المسلمين نحو «حمص» بعد ان امر شرحبيل بن حسنة بالتوجه نحو «بيسان» لفتحها.

تدمر
دمشق
الجابية
بحيرة طبريا
نهر اليرموك
اليرموك
فحل
بيسان
بيت المقدس
البحر الميت
وادي عربة
البحر الأبيض المتوسط

معركة فحل خارطة رقم (٢٠)



فتح بيسان

تاريخ الفتح: شهر ذي الحجة من السنة الثالثة عشرة للهجرة (٦٣٥ ميلادية).
مكانها: مدينة بيسان، وهي مدينة في شمال غور الاردن قرب فحل، (انظر الخارطة رقم ٢٠).
اهدافه:

١ ـ بعد هزيمة الروم في فحل، اراد المسلمون القضاء على مقاومة الروم في المنطقة، لا سيما ان اعداداً من مقاتلي الروم في فحل كانوا قد لجاؤا الى مدينة بيسان.

٢ ـ قرب مدينة بيسان من فحل، جعل المسلمين ينطلقون نحوها، للمضي قدماً في اخضاع بلاد الشام للاسلام.

وقائع فتح المدينة:

ترك شرحبيل بن حسنة مدينة فحل، وانطلق منها الى بيسان، وعندما اقترب منها، تحصن اهلها فيها، فحاصرهم المسلمون عدة ايام، لكن الروم لم يصبروا على الحصار، فقاموا بمهاجمة المسلمين، ودار قتال شديد بين الطرفين، انهار على اثره الروم، واستطاع المسلمون قتل جميع المحاربين الذين خرجوا لهم، ثم صالح شرحبيل بن حسنة اهل المدينة، مقابل دفع الجزية.

فتح طبرية

تاريخ الفتح: شهر ذي الحجة من السنة الثالثة عشرة للهجرة (٦٣٥ ميلادية).
مكانة: طبرية على نهر الاردن في شمال غور الاردن (انظر الخارطة رقم ٢٠).
وقائع الفتح:

كان ابوعبيدة، عامر بن الجراح قد ارسل (ابوالاعور) الى طبرية لفتحها، وذلك بعد ان انتصر المسلمون على الروم في فحل، وعندما وصل ابوالاعوار الى طبرية، وافق اهلها على مصالحته، بعد ان سمعوا ما حل بالروم في فحل وبيسان، واشترطوا عليه ان يتم الصلح بوجود شرحبيل بن حسنة، وما ان وصل شرحبيل الى طبرية، حتى تم عقد الصلح، والذي كان من بنوده، ان يأخذ المسلمون نصف منازل طبرية ليقطنوا فيها، وان يقوم الروم بدفع دينار واحد عن كل انسان يقطن المدينة.

فتح حمص

(من عبدالله عمر امير المؤمنين الى امين الامة... فانزل الى حمص، ولا تنفذ عنها، فان صالحك اهلها فصالحهم، وان ابو فقاتلهم، وابعث عيونك الى انطاكية، وكن حذراً من المتنصرة والسلام عليك ورحمة الله وعلى جميع المسلمين)(١).

تاريخ المعركة: شهر ذي القعدة من السنة الثالثة عشرة للهجرة (٦٣٤ ميلادية).

مكانها: حمص، وهي مدينة في سورية تقع بين دمشق وحلب، (انظر الخارطة رقم ٢١).

وقائع الفتح:

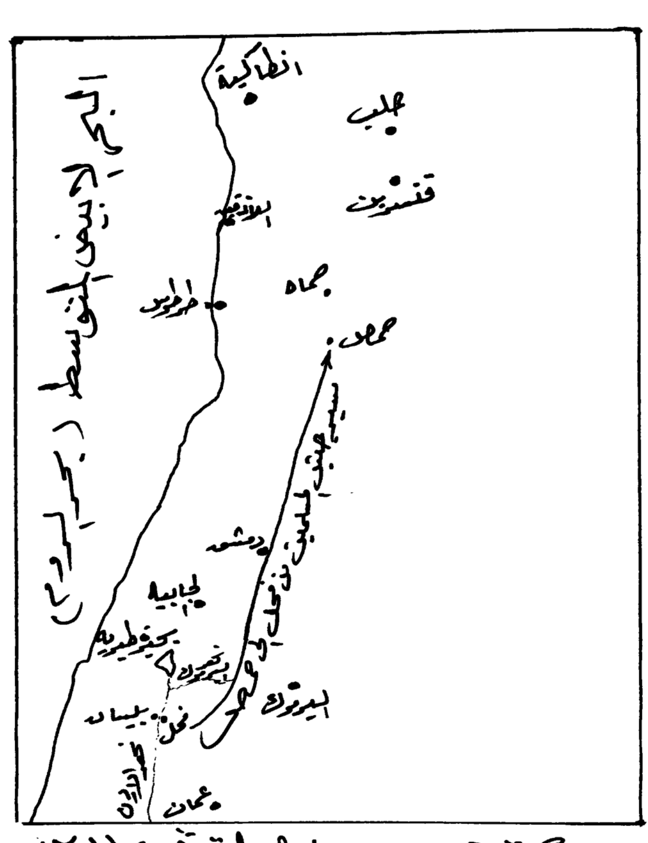
بعد ان انتصر المسلمون في فحل، تحرك ابوعبيدة، عامر بن الجراح الى (بعلبك) في سورية، وطلب من خالد بن الوليد ان يسير الى (حمص)، واثناء مسيره الى بعلبك، جاءه كتاب الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ والذي يأمره فيه بالتحرك الى حمص، فتوجه فوراً الى هناك، ولحق بخالد بن الوليد.

وما ان علم اهل حمص بأقتراب المسلمين منهم، حتى اجتمع وجهاء المدينة للتشاور، وتدارس الأمر، فتوصلوا الى قرار يقضي بمصالحة المسلمين لمدة عام، وذلك املاً بوصول امدادات من ملك الروم، تساعدهم في محاربة المسلمين، لا سيما وان المدينة لم يكن بها مؤن تكفي لمقاومة اي حصار.

وما ان وصل جيش المسلمين الى حمص، حتى بعث وجهاء المدينة رجلاً منهم الى ابي عبيدة، عامر بن الجراح، وذلك للتفاوض معه، فوافقه ابوعبيدة على الصلح لمدة سنة، تبدأ في شهر ذي العقدة من السنة الثالثة عشرة للهجرة، وتنتهي في شهر شوال من السنة الرابعة عشرة للهجرة، ويكون هذا الصلح ملغياً في حال دخول قوات رومانية الى المدينة، وتمت كتابة الصلح، وفتحت المدينة ابوابها للمسلمين.

---

(١) فتوح الشام للواقدي، الجزء ١ صفحة ٧١.



معركة حمص . خارطة رقم (٢١)

فتح قنسرين

تاريخ الفتح: شهر ذي العقدة من السنة الثالثة عشرة للهجرة (٦٣٤ ميلادية).
مكانها: مدينة قنسرين، وهي مدينة قريبة من مدينة حمص.
وقائع الفتح:

بعد ان علم اهل قنسرين بالصلح الذي تم بين المسلمين واهل حمص، توقعوا توجه المسلمين نحوهم، فقام قائد المدينة واسمه «لوقا» بجمع اهل الرأي والمشورة في المدينة، واستنتج منهم ان اهل المدينة يرغبون في مصالحة المسلمين، حفظاً لاموالهم وانفسهم.

ارسل لوقا رجلاً من اصحابه واسمه «اصطخر» الى ابي عبيدة، وطلب منه ان يعرض عليه الصلح لمدة عام، وذلك حتى يكون لدى لوقا الوقت الكافي لتعزيز قواته، اذ كان تحت امرته في المدينة عشرة الاف فارس، ولكنه لا يستطيع محاربة المسلمين بهذا العدد، والانتصار عليهم.

وصل اصطخر الى حمص والتقى هناك مع ابي عبيدة، والذي وافقه على الصلح، وتمت كتابته بينهما لمدة عام، يبدأ في شهر ذي القعدة من السنة الثالثة عشرة للهجرة، وينتهي في مستهل شهر ذي القعدة من السنة الرابعة عشرة للهجرة، واشترط ابوعبيدة على اصطخر ان الصلح يعتبر لاغياً، اذا وجد المسلمون اية نية من اهل قنسرين للخداع، وقد جاء فيه (انه اذا لحق جيش هذه السنة من الملك هرقل، فلا بد من قتاله، فمن اقام في المدينة، ولم يقاتل مع الجيش، فهو على صلحنا، لا نعترض له... ويدفع اهل قنسرين للمسلمين اربعة الاف دينار ومائة اوقية من الفضة، والف ثوب من متاع حلب، والف وسق من طعام)(١).

وبعد ان تم الاتفاق على ذلك، تم تحديد المنطقة التي يشملها الصلح، والتي تتبع لمدينة قنسرين.

امضى ابوعبيدة حوالي العام في منطقة حمص، وهو يعقد الاتفاقيات والمصالحات مع اهالي المناطق القريبة منه، فبالاضافة الى مصالحة اهل حمص وقنسرين، تم الصلح مع اهل بعلبك والرشين وحماة وشيزر.

علم المسلمون وبعد ان تم الصلح مع اهل شيزر، ان اهل قنسرين قد نقضوا الصلح معهم، وذلك بطلب قائدهم المدد من ملك الروم هرقل، ووصول عشرة الاف فارس الى المدينة من الملك، للمساعدة في محاربة المسلمين، واراد ابوعبيدة المسير الى قنسرين لمحاربة الروم هناك، الا ان المسلمين اشاروا عليه بعدم فعل ذلك، اذ بقى شهر واحد فقط على نهاية الصلح، على الرغم من نقض اهل المدينة له.

---

(١) فتوح بلاد الشام للواقدي، الجزء ١ صفحة ٧٣.

اشار المسلمون على ابي عبيدة ان يسير الى حلب وانطاكية (انظر الخارطة رقم ٢١) فوافقهم على ذلك، وطلب منهم الاستعداد للمسير، واثناء ذلك حدث صدام بين المسلمين وجيش روماني جاء مدداً لاهل قنسرين والعواصم، فأستطاع المسلمون الانتصار عليه، مما شجع ابا عبيدة على المسير الى قنسرين، وقام بمحاصرتهم، فطلب اهلها الصلح، فوافقهم على ذلك، وكتب بينه وبينهم صلحاً جديداً يدفع بموجبه اهل قنسرين اربعة دنانير في السنة عن كل رأس.

اراد ابوعبيدة وبعد الصلح ان يسير الى حلب وانطاكية، ولكن المسلمين اقترحوا عليه في هذه المرة ان يعود بهم الى حمص والمدن التي صالحها، لان فترة انقضاء الصلح بين المسلمين واهل هذه المدن على وشك الانتهاء فوافقهم على ذلك.

معركة اليرموك

(اما بعد، اخبر امير المؤمنين ــ اكرمه الله ــ ان الروم نفرت الى المسلمين براً وبحراً، ولم يخلفوا وراءهم رجلاً يطيق حمل السلاح الا جاشوا به علينا، وخرجوا معهم بالقسيسين والاساقفة، ونزلت اليهم الرهبان من الصوامع، واستجاشوا بأهل ارمينية واهل الجزيرة، وجاءونا وهم نحو من اربعمائة الف رجل، وانه لما بلغني ذلك من امرهم، كرهت ان اغر المسلمين من انفسهم، واكتمهم ما بلغني عنهم، فكشفت لهم عن الخبر، وشرحت لهم عن الأمر، وسألتهم عن الرأي، فرأى المسلمون ان ينتحوا الى ارض الشام، ثم نضم الينا اطرافنا وقواصينا، ونكون بذلك المكان جماعتنا حتى يقدم علينا من قبل امير المؤمنين المدد لنا، فالعجل، العجل يا أمير المؤمنين بالرجال بعد الرجال، والا فاحتسب انفس المؤمنين ان هم اقاموا، ودينهم منهم ان هم تفرقوا، فقد جاءهم مالا قبل لهم به، الا ان يمدهم الله بملائكته، او يأتيهم بغياث من قبله والسلام عليكم)(١).

تاريخ المعركة: شهر رجب من السنة الخامسة عشرة للهجرة (شهر اب ٦٣٦ ميلادية)

مكانها: في واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن(٢).

اهدافها:

اراد هرقل ملك الروم ان يجمع جيشاً ضخماً يخوض به معركة حاسمة، تنهي وجود المسلمين في بلاد الشام، وتردهم الى الجزيرة العربية، وقد عزم المسلمون على ملاقاة الروم ومقاتلتهم، مهما كان حجم قواتهم، بهدف المحافظة على الديار التي فتحوها، وكسر شوكة الروم في معركة تقطع دابرهم في بلاد الشام.

الموقف قبل المعركة:

لم يعد بامكان هرقل ملك الروم احتمال الموقف، فقد غدا المسلمون قاب قوسين من السيطرة على كل بلاد الشام، بعد تلاحق انتصاراتهم فيها، وازاء هذا الوضع بدأ هرقل انتهاج استراتيجية جديدة، يستطيع من خلالها، رد المسلمين عن امبراطوريته، فعمد الى استنفار كل طاقات دولته

---

(١) الكتاب الذي ارسله ابو عبيدة قائد جيوش المسلمين في بلاد الشام أنذاك، الى الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ عندما نزل باليرموك.

(٢)معجم البلدان، الجزء ١ صفحة ١٠٥.

وامكاناتها، من اجل تشكيل جيش ضخم، لم يسبق له مثيل في حروبه مع المسلمين، بعد ان فشلت جيوشه العادية في انجاز اهدافها.

قام هرقل بمراسلة امرائه في كل الامبراطورية، كي يجمعوا كل ما يستطيعون من الرجال والسلاح (فما مضى عليه الا ايام قلائل، حتى صار اول جيوشه عنده بانطاكية واخرها في رومية الكبرى)(١). وعلى الفور، قام هرقل بتعيين القادة والامراء للجيوش على النحو التالي: (انظر الخارطة رقم ٢٢).

١ ــ قناطير ملك الروسية ومعه جموع القوات الروسية، يكون تحركه على طريق جبلة واللاذقية.

٢ ــ جرجير ملك عمورية وفلورية، واتبعه باجناس من الروم واليونان، ويكون تحركه على طريق الجاده العظمى، وهي ارض العراق وسومين.

٣ ــ الديرجان صاحب القسطنطينية، يقود قوات من المغليط والافرنج والقلن، تكون اجهته ارض العواصم)(٢).

٤ ــ القائد قورين، تكون حركته على طريق حلب وحماة.

٥ ــ القائد ماهان ملك الارمن، يسير في اثر الجيوش الاخرى، ويكون قائداً لجميع القوات الرومانية عند الالتقاء مع المسلمين.

٦ ــ بالاضافة الى هذه القوات، كان (جبلة بن الايهم الغساني، وضم اليه العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام، وقال لهم كونوا في المقدمة، فان هلاك كل شيء بجنسه، والحديد لايقطعه الا الحديد)(٣) وكان مسيره امام جيش القائد ماهان.

بدأت اخبار حشود الروم تصل الى المسلمين، عن طريق عيونهم التي بثوها في بلاد الشام من العرب والروم المرتبطين معهم بعهود سابقة، وقد وضعت هذه الاخبار المسلمين في وضع حرج، اذ كان على القائد أبي عبيدة، ان يتخذ اجراءات سريعة لتفادي تعريض المسلمين الى الخطر من جهة ولتحقيق النصر على الروم من جهة اخرى.

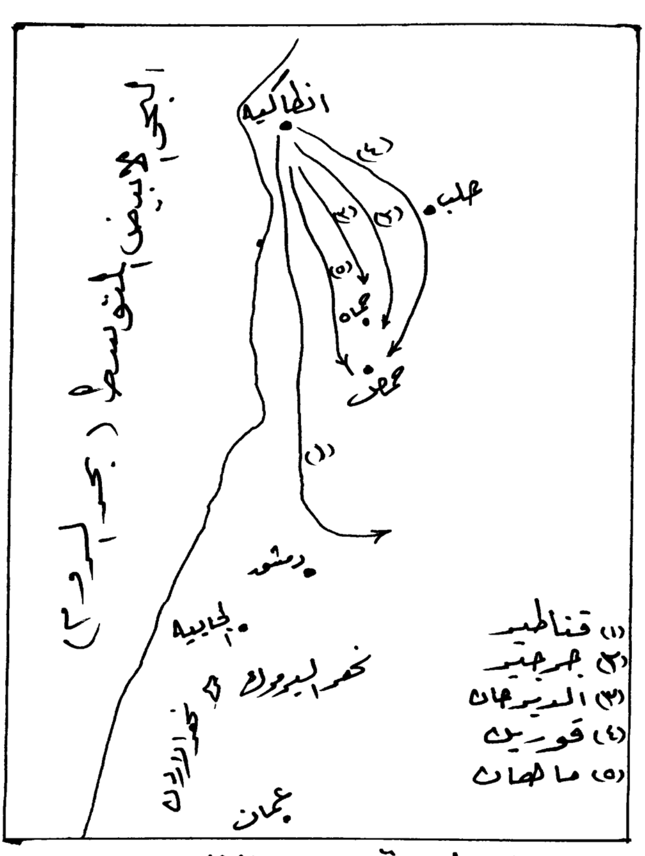
(فلما جاء ابا عبيدة خبرهم وعددهم وكثرتهم، وما اقبلوا به من غيرهم ممن كان على دينهم وطاعتهم من جنود، رأى الا يكتم ذلك على المسلمين، وان يستشيرهم فيه، لينظر ما يؤول

---

(١) فتوح الشام للواقدي، الجزء ١ صفحة ١٠٥.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) نفس المصدر السابق.


انطاكيه
حلب
حماه
حمص
دمشق
الجابيه
نهر اليرموك
نهر الاردن
عمان
البحر الابيض المتوسط (بحر الروم)
(١) قناطير
(٢) جرجير
(٣) الديرجان
(٤) قورين
(٥) ماهان

خارطه رقم (٢٢)

اليه رأي جماعتهم، فدعا اليه رؤوس المسلمين وذوي الهيئة والصلاح منهم)(١) ووقف، ثم خطب فيهم، مبيناً لهم الموقف، وطالباً منهم الرأي والمشورة في ذلك.

جاءت الاقتراحات متباينة، اذ اعطى كل رجل منهم رأيه حسب تصوره للمعركة، وللوضع الذي ستكون عليه، في ظل ضخامة جيش العدو، الذي لم يعتد المسلمون على لقاء جيش بحجمه، ولان هذه الاقتراحات، تعطي صورة حقيقة لما كان يشعر به المسلمون من صعوبة في الموقف، فاني ساسرد اهم هذه الاقتراحات:

١ ــ ان يترك المسلمون مكانهم في الجابية قرب حمص، وينسحبوا الى مكان قريب من المدينة المنورة، لسهولة وصول الامدادات من الخليفة من جهة، ولتحاشي العدو من جهة اخرى، وعلى الفور رفض هذا الاقتراح، لانه يعني الانهزام امام العدو، والتخلي عن بلاد كلف فتحها المسلمين الشيء الكثير.

٢ ــ ان يعسكر الرجال على باب مدينة حمص، جاعلين المدينة خلفهم ويدخلوا النساء والاطفال الى داخلها، وقد ايد بعض المسلمين هذا الاقتراح، ولكن على ان يتم ادخال النساء والاطفال الى حمص، بعد اخراج اهلها منها، خوفاً من غدرهم ان دارات الدائرة على المسلمين.

٣ ــ مراسلة الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ ومشاورته بالامر، وطلب الامدادات منه، ولكن هذا الاقراح لم يكن بالامكان تطبيقه، لضيق الوقت، وبعد المسافة عن المدينة المنورة.

٤ ــ ان يلاقي المسلمون الروم ويقاتلوهم، بغض النظر عن حجم العدو، ومكان المعركة ونتائجها.

٥ ــ كان اخر المتحدثين خالد بن الوليد، اذ قال لأبي عبيدة: (اعلم ايها الأمير ان اقمت في مكانك هذا، فانك تعين على نفسك، لان الجابية قريبة من قيسارية، والذي اشير به عليكم ان ترحلوا من منزلكم هذا وتجعلوا اذرعات خلف ظهوركم، حتى تنزلوا اليرموك، ويكون المدد من امير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ قريباً منكم، متلاحقاً بكم، وانتم على فتح لقتال عدوكم، وهي ارض واسعة لمجال الخيل)(٢).

لقي هذا الاقتراح تأييداً كاملاً من المسلمين، وعلى الفور اصدر ابو عبيدة امره بالانسحاب من الجابية الى اليرموك، وبأن يأخذ المسلمون حذرهم، ووضع ابو عبيدة قوات من الخيالة بقيادة خالد بن الوليد كاحتياط، لمقاومة من يطمع بالمسلمين اثناء انسحابهم، وقد حدث فعلاً

---

(١) الازدي ــ صفحة ١٥٣.

(٢) فتوح الشام للواقدي، الجزء ١ صفحة ١٠٩.

ان قامت قوات رومانية بمهاجمة الجيش خلال مسيره، ظناً منهم ان المسلمين قد اصابهم الفزع، ورحلوا عائدين الى بلادهم في الحجاز، ولكن خالد بن الوليد قاتلهم، واستطاع السيطرة على الموقف، بعد ان اوقع في المهاجمين الكثير من القتلى والجرحى.

وقبل تحرك المسلمين من الجابية، امر ابو عبيده بعودة اموال الجزية التي اخذها المسلمون من اهل حمص، اذ ان هذه الاموال قد اخذت مقابل الحماية التي يوفرها المسلمون لهم، وحين حالت الظروف دون ذلك، كان عليهم اعادة هذه الاموال الى اهلها.

ارسل ابو عبيدة الى باقي قوات المسلمين الموجودة في بلاد الشام، يطلب اليها ان تجتمع في اليرموك، وهي قوات عمرو بن العاص في فلسطين، ويزيد بن ابي سفيان في قيسارية، وشرحبيل بن حسنه في الاردن.

واستمر المسلمون في تقدمهم الى ان وصلوا اليرموك، وهناك انضم اليهم، عمرو بن العاص، وشرحبيل، ويزيد، واصبحوا جميعاً تحت قيادة أبي عبيدة، فبدأوا فوراً بتنظيم أنفسهم (جاعلين اذرعات من خلفهم، وكان هناك تل عظيم، فعمد ابو عبيدة — رضي الله عنه — الى نساء المسلمين واولادهم، فاصعدهم الى ذلك التل، واقام الحرس والطلائع على سائر الطرقات... واقام المسلمون باليرموك، وهم مستعدون لقتال عدوهم، كأنهم ينتظرون وعداً وعدوا به)(١).

وحال معرفة الروم بتراجع المسلمين الى اليرموك، تحركوا الى هناك (حتى وصلوا الى اليرموك، فنزلوا بدير يقال له دير الجبل، وهو بالقرب من الرمادة والجولان، وجعلوا بينهم وبين عسكر المسلمين ثلاث فراسخ)(٢) حوالي ثمان عشرة كيلو متراً.

تنظيم وتشكيل الجيوش.

أ — جيش المسلمين:

لعب خالد بن الوليد دوراً مهماً في معركة اليرموك، فهو الذي اقترح مكان المعركة، وهو الذي قام بتنظيم جيش المسلمين، وكان ابو عبيده يأخذ بمعظم ما يشير به عليه.

نظم خالد الجيش بشكل يتناسب مع الموقف، فجمع بين انظمة الكراديس والصفوف والاجزاء، حيث قسم الجيش الى ستة وثلاثين كردوساً في ثلاثة صفوف، تشكل في مجملها الاجزاء الخمسة الرئيسية للجيش، المقدمة والميمنة والميسرة والقلب والساقة (مؤخرة الجيش)، واضاف الى الجناحين الايمن والايسر مجنبتين من الخيالة كقوات احتياطية، تمنع اي التفاف يقوم به الروم على جيش المسلمين، كما واهتم خالد بن الوليد بوضع طلائع سريعة الحركة في مقدمة الجيش، لتعمل على تأخير تقدم العدو، وتساعد على تمرير المعلومات بسرعة.

---

(١) نفس المصدر، الجزء ١ صفحة ١٠٩.

(٢) نفس المصدر، الجزء ١ صفحة ١١٠.

كان كل كردوس يتألف من حوالي تسعمئة رجل، وجعل خالد بن الوليد لكل كردوس قائداً، وقسم الكراديس حسب العشائر، بحيث يكون افراده من نفس العشيرة، بهدف الاستفادة من تجانسهم، وجعل قائدهم من العشيرة نفسها، ثم عين قادة الاقسام الرئيسية للجيش، وعلى الرغم من ورود اختلافات في اسماء قادة الميمنة والميسرة، الا ان ارجح الروايات هي:

١ ــ الميمنة وعليها عمرو بن العاص، ويساعده شرحبيل بن حسنة، وتضم الازد ومذحج وحضرموت وخولان.

٢ ــ الميسرة، وعليها يزيد بن ابي سفيان، وقيل كنانه بن مبارك الكناني، وتضم قبائل كنانة وقيس وخشعم وجذام وقضاعة وعاملة وغسان.

٣ ــ القلب، واقام فيه ابو عبيدة، عامر بن الجراح ويضم معظم اصحاب الرسول ــ عليه السلام ــ.

٤ ــ الخيالة، وعليهم خالد بن الوليد.

٥ ــ الرجالة وعليهم هاشم بن عتبة بن ابي وقاص.

كان عدد جيش المسلمين في اليرموك حوالي اربعين الف مقاتل، منهم حوالي عشرة الاف خيال.

ب ــ جيش الروم:

نظم الروم جيشهم على النحو التالي:

١ ــ جبلة بن الايهم الغساني في مقدمة الجيش، قائداً للقبائل العربية المتنصرة من لخم وغسان وجذام.

٢ ــ قورين (غريغوري) قائداً للميمنة.

٣ ــ قناطير قائداً للميسرة.

٤ ــ الديرجان قائداً للقلب.

٥ ــ ماهان قائداً للجيش، ومكانه في القلب.

اختلفت الروايات في عدد جيش الروم، وذهبت بعضها الى درجة المبالغة في ذلك، اذ تذكر احدى هذه الروايات (كانت الصفوف التي صفها ماهان ثلاثين صفاً، كل صف منها مثل عسكر المسلمين كله)(١) وهذا يعني ان عدد جيش الروم يزيد عن المليون رجل، ويبدو ان هذا الرقم غير منطقي، لان الارض التي تجمع الروم فيها لا تستوعب مثل هذا العدد، ولعل الاقرب الى الواقع هو، ان عدد جيش الروم كان حوالي مئة وخمسين الف مقاتل.

---

(١) فتوح الشام للواقدي، الجزء ١ صفحة ١٣٠.

بعد ان نظم كل من المسلمين والروم قواتهم، دعا ابو عبيدة جواسيسه من المعاهدين، وامرهم ان يدخلوا عسكر الروم يجسون له خبر الروم وعددهم وعديدهم وسلاحهم، ولم يدر القتال بين الطرفين عدة ايام، ولعل السبب في ذلك، ان هرقل ملك الروم، طلب من ماهان قائد جيشه، ان يتفاوض مع المسلمين، لعله يستطيع ان يقنعهم بان يعودوا الى بلادهم، دون قتال، بعد ان يعطيهم وعداً بأنه سيرسل لهم في كل سنة مالاً كثيراً، وهدايا الى الخليفة عمر، والى كل قائد من قادتهم، وان تكون للمسلمين الارض من الجابية الى الحجاز.

وبالفعل دارت محادثات مطولة بين الطرفين مثلها من جانب الروم القائد جرجير، ومثلها من جانب المسلمين القائد ابو عبيدة، وانتهت هذه المفاوضات الى طريق مسدود، وعاد جرجير الى القائد ماهان واخبره برفض ابي عبيدة لشروط الروم، ثم ارسل ماهان، قائد العرب المتنصرة، جبلة بن الايهم الى المسلمين، وطلب منه ان ينصح المسلمين بالعودة الى الجزيرة، كونه عربياً مثلهم، وبعد جدال مع المسلمين، عاد جبلة بن الايهم دون ان يحقق شيئاً، فبات من المؤكد ان القتال بين الطرفين سيدور قريباً.

امر ماهان قائد جيش الروم، جبله بن الايهم ان يتقدم بالعرب المتنصرة ليبدأ القتال مع المسلمين، والهدف من ذلك ان يرهق العرب بعضهم بعضاً، ومن ثم يتدخل الروم، الا ان ذكاء خالد بن الوليد افشل خطة ماهان، حيث طلب خالد من ابي عبيدة، ان يقاتل بعدد قليل من الخيالة، وبالفعل تقدم خالد بن الوليد على راس مجموعة من الخيالة، ودار قتال بينه وبين اعدائه، استمر طوال النهار، ولم يسفر عن اية نتائج مؤثرة، سوى عدد قليل من القتلى الجرحى، مما جعل الروم يعيدون حساباتهم، اخذين بالاعتبار ان القتال لن يكون من صالحهم، ما دام خالد بن الوليد يقاتل في صفوف المسلمين.

وضع ماهان خطة لقتل خالد بن الوليد، حيث ارسل الى خالد، يطلب منه ان يتم التفاوض بينهما عند ماهان، وفور تلقي خالد الدعوة، خرج ومعه مائة فارس من فرسان المسلمين، وبذلك حال دون ان يخدعه ماهان، ودارت مفاوضات بين الطرفين، هدف ماهان منها هو قتل خالد بن الوليد، وهدف خالد هو انسحاب الروم دون قتال، ولكن احداً منهما لم يستطع تحقيق ما رمى اليه.

عاد خالد بن الوليد الى جيش المسلمين (وحدّث ابا عبيدة بكل ما جرى لهم.. فقال ابو عبيدة: فعلام افترقتم، قال على اننا نلتقي معهم، ويعطي الله النصر لمن يشاء، فلما سمع ابو

عبيدة ـــ رضي الله عنه ـــ ذلك، جمع عظماء المسلمين، وامرهم بالاهبة)(١).
واخذ المسلمون يستعدون لملاقاة الروم (ولم يبق واحد منهم تلك الليلة الا وقد اخذ عدته وأهبته، واستعد بألة الحرب والقتال، وباتوا فرحين بالجهاد والثواب وخائفين من العقاب)(٢).

سير المعركة

اليوم الأول للقتال:

عند طلوع الفجر، اخذ الطرفان بالاستعداد للمعركة، بعد ان اصبح مؤكداً ان القتال سوف ينشب هذا اليوم، ولم يستغرق استعداد المسلمين كثيراً، على العكس من الروم، الذين احتاجوا وقتاً اطول حتى استكملوا استعدادهم، وكما هو مألوف في ذلك الزمان، فقد بدأت المعركة بالمبارزة، التي استمرت من الصباح حتى ظهر ذلك اليوم، وكان الخاسر فيها هم الروم، اذ لم ينج ممن خرج منهم للمبارزة الا القليل، واثر هذا الامر على القائد ماهان، وجعله يتخوف من الاثر السلبي الذي سوف تتركه المبارزة بهذا الشكل على نفسية جنوده.
امر ماهان عشرة صفوف من الروم بالتقدم نحو المسلمين، وبدأ القتال بين الطرفين، والذي استمر حتى غروب الشمس، ولكن قتال ذلك اليوم لم يكن له تأثير كبيرٌ على سير المعركة، اذ كانت خسائر المسلمين فيه عشرة رجال فقط، ولم يرد ذكر لخسائر الروم.
وفي صباح اليوم التالي، استعد المسلمون للمعركة، ولكن لم يكن هناك اي تحرك في صفوف الروم، يدل على انه سوف يكون هناك قتال في هذا اليوم.
بقي الجيشان دون قتال لمدة اسبوع كامل، والسبب في ذلك ان القائد ماهان خشي على جيشه من المسلمين، بعد قتال اليوم الاول، واتضح له انه سوف يخسر المعركة ان هو قاتل المسلمين بنفس الاسلوب، فقام بمراسلة الملك هرقل ملك الروم، واخبره بقوة المسلمين وصبرهم في القتال.
خلال هذا الاسبوع وضع ماهان خطته في محاربة المسلمين، وهي تقضي ان يكون القتال بطريقة ترهق المسلمين، وذلك بأن يقاتل كل قائد من قواده على حدى، وان يدخلوا المعركة على دفعات متتابعة، لتكون ضرباتهم للمسلمين متتالية، حتى يبقى المسلمون في قتال مستمر في الوقت الذي يتناوب فيه الروم الهجوم، معتمدين على كثرة عددهم، مقارنة بعدد المسلمين.

---

(١) فتوح الشام للواقدي، الجزء ١ صفحة ١٢٨.
(٢) فتوح الشام للواقدي، الجزء ١ صفحة ١٢٩.

اليوم الثاني للقتال:

كان المسلمون جالسين يتحاورون بعد صلاة الفجر، واذا بطبول الروم تقرع للمعركة، وفي هذه الاثناء لم يكن المسلمون على اهبة الاستعداد، ولم تستطع القوات البسيطة التي وضعها ابو عبيدة أمام جيشه ان تصد الروم، فقام الخيالة وبقيادة خالد بن الوليد بمشاغلة الروم فترة من الوقت، حتى استطاع ابو عبيدة خلالها اعداد الصفوف للمعركة، وترتيب المسلمين، واخراج النساء والاطفال من ارض المعركة الى تلة خلف الجيش.

كان هجوم الروم شديداً جداً على ميمنة المسلمين، والذي قامت به قوات رومانية كبيرة، وكانت تدعم بقوات اخرى في كل لحظة، واستطاع الروم ارهاق ميمنة المسلمين ودحرها الى الخلف والقلب، والقيام بمحاولة التفاف على جيش المسلمين من هناك، الا ان تدخل الخيالة حال دون ذلك، ودار قتال ضار بينهم وبين الروم، واستطاعوا من خلاله صد الروم واتاحة المجال لاعادة تنظيم جيش المسلمين، ثم القيام بهجوم معاكس ادى الى تراجع الروم امام ميمنة المسلمين.

وعلى الفور اشتد هجوم الروم على الميسرة، واستطاعوا ان يزحزحوا المسلمين عن مواقعهم، وفي هذه الاثناء تدخل الخيالة بقيادة خالد بن الوليد، وبالفعل تم رد جيش الروم بعد قتال مرهق وضار، واستطاع المسلمون ايقاع خسائر كبيرة في صفوف الروم، حيث اخذ الروم يتراجعون بشكل غير منظم، فاتحين المجال للمسلمين ان يقتلوا منهم اعداداً كبيرة، وان يتوغلوا داخل معسكر الروم، ويصلوا الى قلب جيشهم والى القائد الديرجان والذي حمل عليه ضرار بن الازور فقتله.

استمر القتال الشديد حتى غروب الشمس، وعندها عاد كلا الجيشين الى مواقعهما، وكانت خسائر الروم في هذا اليوم اكثر من خسائر المسلمين.

اليوم الثالث للقتال.

اتسم اليوم الثالث بالقتال العنيف، و تراجع فيه فرسان المسلمين ثلاث مرات امام عنف هجوم الروم، وفي كل مرة كانت تردهم النساء بالحجارة والعمد، ويلوحن لهم بالاطفال فيرجعون الى القتال، واستمر القتال على اشده الى ان اقبل الليل (فرجعت قوات الروم الى مواضعها والقتل فيهم اكثر وفي المسلمين قليل، الا ان الجراح فيهم فاشية من النشاب)(١).

---

(١) فتوح الشام للواقدي، الجزء ١ صفحة ١٤٤.

اليوم الرابع.

بدأ الروم هجومهم في الصباح الباكر، حيث تقدم الفرسان ومن خلفهم اصحاب السلاسل (كل عشرة رجال ربطوا انفسهم في سلسلة واحدة، حتى لاينسحبوا من جهة، وليشكلوا حاجزاً قوياً امام المسلمين من جهة اخرى)، ودار قتال شديد استطاع الروم من خلاله مضايقة المسلمين، وازاحتهم عن مواقعهم حتى اوصلوهم الى التلة التي يوجد عليها النساء والاطفال، وهناك قام المسلمون بهجوم معاكس قوي، اسفر عنه تراجع الروم الى الخلف، حتى استطاع المسلمون الاقتراب من القائد ماهان، والذي هرب واخذ يعنف جنوده لما جرى، فقام الروم بهجوم معاكس، استطاعوا من خلاله وقف زحف المسلمين.

واتضح للطرفين ان المعركة اخذت تتجة لصالح المسلمين، بعد ان صدوا جميع محاولات الروم للسيطرة على الموقف، الا ان الروم لم ييأسوا بعد من املهم في كسب المعركة، وتحول القتال الى مبارزة، قتل فيها قناطير (ملك الارمن) قائد ميسرة الروم، فغضب ماهان لذلك، واستغل قرب جيش المسلمين من الروم (فامر الرماة ان يرموا عن يد واحدة، فرموا سهامهم، واطلقوا نحو المسلمين دفعة واحدة مائة الف سهم، فكان النشاب يقع في عسكر المسلمين كسقوط البرد من السماء، فكثرت الجراح في الناس، واعور من المسلمين سبعمائة عين فسمي ذلك اليوم بيوم التعوير)(١).

كان لهذا الاجراء من الروم اثر سلبي واضح في صفوف المسلمين، فأخذوا يتراجعون الى الخلف، حتى وصلوا الى التلة التي يتواجد عليها النساء والاطفال، وقد صاروا في موقف لا يحسدون عليه من شدة ما اصابهم.

اخذت النساء يشجعن الرجال على القتال، بل انهن اخذن يقاتلن جنباً الى جنب معهم، وتنادى المسلمون، وعاودوا تنظيم انفسهم، وقاموا بمهاجمة الروم، واستمر القتال حتى غروب الشمس، ثم توقف كلياً عند دخول الظلام، وبدأت الاسعافات في صفوف المسلمين، بعدما اصابهم في هذا اليوم من جراح.

وكانت تلك الليلة من اصعب الليالي على المسلمين، فالنساء يداوين الجرحى والرجال منهكون من التعب، وابو عبيدة يطوف بالمسلمين طوال الليل يحرسهم، ولم يطلب من احد منهم ان يحرس في تلك الليلة، وذلك لانشغالهم بأنفسهم.

---

(١) فتوح الشام للواقدي، الجزء ١ صفحة ١٤٨.

اليوم الخامس.

على الرغم مما اصاب المسلمين، الا ان ضرباتهم في صفوف الروم كانت قوية ومؤثرة، حيث لاحظ المسلمون في هذا اليوم ان الوهن قد دب في صفوف الروم، بعدما يئسوا من كل الخطط التي اعدوها للقضاء على المسلمين، وهذا بالطبع زاد من معنويات المسلمين واستبشارهم بان النصر قد اقترب.

وفي صبيحة هذا اليوم، اراد ماهان عقد صلح مع المسلمين، حتى يكون عنده متسع من الوقت يضع فيه خططه لمحاربتهم، فارسل الى ابي عبيدة يطلب منه صلحاً ليوم او يومين، وكاد ابو عبيدة ان يوافق على ذلك، بسبب ما اصاب المسلمين من التعب والارهاق الا ان خالد بن الوليد طلب منه رفض ذلك، واستغلال وهن الروم، للقيام بمهاجمتهم في هذا الوضع، واقتنع ابو عبيدة بالأمر، وارسل الى ماهان يرفض الصلح.

استفز هذا الرفض الروم، فخرج قورين قائد ميمنتهم للمبارزة، وطلب ان يبارزه قائد المسلمين، فخرج اليه ابو عبيدة، ودارت بينهما جولات طويلة من القتال، وتمكن ابو عبيدة بعد جهد كبير من عدوه فأرداه قتيلاً.

وعلى الفور امر خالد جنود المسلمين ان يقوموا بمهاجمة الروم بكل طاقاتهم، ودار قتال شديد بين الطرفين، استبسل فيه المسلمون، واستمر القتال حتى الغروب، حيث بدأ الروم بالانهزام امام ضربات المسلمين، ولم تكن امامهم من طريق سوى وادي اليرموك، الذي تحول الى مقبرة كبيرة لهم، حيث سقط اكثر الجنود في الوادي، خصوصاً اصحاب السلاسل، اذ كان سقوط احدهم يعني سحب الاخرين الى الهاوية، وسميت تلك المنطقة بالناقوصة، لكثرة ما انقصت من جيش الروم.

استمر المسلمون يقتلون ويأسرون من الروم حتى دخل الظلام، عند ذلك امر ابو عبيدة المسلمين بالعودة والكف عن مطاردة الروم، من اجل ان يستريحوا تلك الليلة، ثم يعاودوا المطاردة في صباح اليوم التالي.

---

(١) فتوح الشام للواقدي، الجزء ١ صفحة ١٤٨.

اليوم السادس.

بدأ المسلمون يومهم هذا بمطاردة الروم في الجبال والاودية، واستطاع ماهان ان يتجه نحو دمشق، الا ان خيول المسلمين بقيادة خالد بن الوليد استطاعت اللحاق به قبل وصوله المدينة، ودار قتال بين قوات خالد وقوات ماهان، فتمكن المسلمون من قتل ماهان، ومعظم قواته (حيث قتله النعمان بن جملة الازدي، وقيل عاصم بن خوال اليربوعي)(١).

واستمر خالد في مسيرة الى دمشق، واستقبله اهل المدينة، وطلبوا منه ان يبقوا على العهد الذي بينهم، فابقاهم عليه، ثم خرج من المدينة يطارد فلول الروم، حتى وصل الى حمص، حيث لحق به هناك ابو عبيدة، ثم عادا معاً الى دمشق وهناك تم توزيع الغنائم على المسلمين.

---

(١) فتوح الشام للواقدي، الجزء ١ صفحة ١٥٦.

فتح بيت المقدس

(بسم الله الرحمن الرحيم. من عبدالله عمر بن الخطاب الى عامله بالشام ابي عبيدة، اما بعد، فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه، وقد ورد علي كتابك وفيه تستشيرني في اي ناحية تتوجه اليها وقد اشار ابن عم رسول الله ﷺ بالسير الى بيت المقدس، فان الله سبحانه وتعالى يفتحها على يديك والسلام عليك)(١).

تاريخ الفتح:

بدأ المسلمون حصارهم لمدينة القدس في شهر شوال من السنة الخامسة عشرة للهجرة (بداية شتاء سنة (٦٣٦) ميلادية وتم فتح المدينة في شهر ربيع الاول من السنة السادسة عشرة للهجرة (شهر نيسان سنة (٦٣٧) ميلادية).

مكان الفتح:

بيت المقدس في فلسطين والذي كان يسمى ايضاً ايلياء.

وقائع المعركة:

بعد معركة اليرموك وانتصار المسلمين فيها على الروم، اراد المسلمون مواصلة تقدمهم في اخضاع بلاد الشام لسيطرتهم، واثناء وجودهم في دمشق، استشار ابوعبيدة اصحابه فيما سيفعله المسلمون، وفي اي الاتجاهات سينطلقون، وجاءت الأجابات مختلفة بين بيت المقدس وقيسارية، ثم اشاروا على ابي عبيدة بان يراسل الخليفة، ويستشيره في االأمر، فجاء رد الخلفية بمسير المسلمين الى بيت المقدس.

عين ابوعبيدة القادة وطلب منهم المسير الى بيت المقدس، بحيث يفصل بين القائد والاخر مسير يوم واحد، وهؤلاء القادة هم:

١ ـــ خالد بن الوليد يرافقه ابي عبيدة، عامر بن الجراح.
٢ ـــ يزيد بن ابي سفيان.
٣ ـــ شرحبيل بن حسنة.
٤ ـــ المرقال بن هاشم بن عتبة بن ابي وقاص.
٥ ـــ المسيب بن نجية الفزاري.
٦ ـــ قيس بن هبيرة المرادي.
٧ ـــ عروة بن مهلهل بن زيد الخيل.

---

(١) الكتاب الذي ارسله الخليفة عمر بن الخطاب، الى ابوعبيدة، عامر بن الجراح يرد فيه الخليفة على كتاب ابوعبيدة الذي ارسله اليه يستشيره فيه بالمسير الى بيت المقدس.

اخذ القادة يصلون تباعاً الى بيت المقدس وهم يكبرون، ليرعبوا اهل المدينة، حتى يسهل فتحها، ثم اقاموا ــ وتنفيذاً لأوامر ابي عبيدة ــ معسكرات متجاورة حول المدينة، وما ان رأى اهل المدينة طلائع قوات المسلمين، حتى تحصنوا داخل مدينتهم، وشرع المسلمون يطوقونها من كل الاتجاهات، واستمر حصار المسلمين لهم، بعد ذلك مدة اربعة اشهر، واهل المدينة غير مكترثين لهذا الحصار، وذلك للسببين التاليين:

١ ــ توقعوا ان لا يتحمل المسلمون شدة البرد، وبذلك يفك الحصار عن المدينة.

٢ ــ ان تصلهم امدادات من هرقل ملك الروم، تساعدهم على صد المسلمين.

ولم يتحقق لاهل المدينة ما ارادوا، فالمسلمون تحملوا البرد، والامدادات لم تصل من هرقل، مما جعلهم يفكرون بالصلح، وبالفعل دارت محادثات بين الطرفين، طلب فيها قائد المدينة من ابي عبيدة قائد جيش المسلمين ، ان يكون فتح بيت المقدس على يد الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ وبغير هذا فان المدينة لن تفتح ابوابها للمسلمين.

شاور ابوعبيدة اصحابه في ذلك، ووافقوه على مراسلة الخليفة، لعله يسير اليهم، ويخفف بذلك معاناة المسلمين من فرض الحصار، وقام ابوعبيدة بأرسال الكتاب التالي الى الخلفية عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ: بسم الله الرحمن الرحيم، الى عبدالله امير المؤمنين عمر بن الخطاب، من عامله ابي عبيدة عامر بن الجراح، اما بعد، السلام عليكم، فاني احمد الله الذي لا اله الا هو، واصلي على نبيه محمد ــ ﷺ ــ واعلم يا أمير المؤمنين انا منازلون لاهل مدينة ايلياء، نقاتلهم اربعة اشهر، كل يوم نقاتلهم ويقاتلوننا، ولقد لقي المسلمون مشقة عظيمة من الثلج والبرد والامطار، الا انهم صابرون على ذلك، ويرجون الله ربهم، فلما كان اليوم الذي كتبت اليك الكتاب فيه، اشرف علينا بتركهم الذي يعظمونه، وقال انهم يجدون في كتبهم، انه لا يفتح بلدهم الا صاحب بيتنا واسمه عمر، وانه يعرف صفته ونعته وهو عندهم في كتبهم، وقد سألنا حقن الدماء، فسر الينا بنفسك، وانجدنا لعل الله أن يفتح هذه البلده علينا على يديك. (١)

استلم الخليفة الكتاب، وشاور اصحابه في طلب ابي عبيدة، واشاروا عليه بالمسير الى بيت المقدس، فأنطلق الخليفة من المدينة المنورة، وبرفقته بعض اصحابه، واستقبله ابوعبيدة وبعض جنوده قبل وصوله الى بيت المقدس، وانطلقوا به الى معسكر المسلمين، الذي فرحوا كثيراً للقاء اميرهم، ووصوله بلاد الشام بسلام، وبقي الخليفة في معسكر المسلمين عدة ايام، ثم ارسل ابا عبيدة الى بيت المقدس ليخبر اهلها بقدومه.

---

(١) فتوح الشام للواقدي، الجزء ١ صفحة ١٦٢.

اقترب ابوعبيدة من سور المدينة، واخبر اهلها بقدوم الخليفة، فطلبوا منه ان يقترب الخليفة نحوهم ليتعرفوا عليه من خلال الأوصاف المكتوبة عنه في كتبهم، واقترب الخليفة نحوهم، فتيقنوا انه هو الرجل المكتوب اوصافه عندهم، عندها امر قائد المدينة بفتح ابوابها امام المسلمين.

عقد الطرفان اتفاقيات مصالحة بينهما، وكتبت المعاهدات، التي تنظم عملية الصلح، ووقعها من جانب المسلمين الخليفة عمر بن الخطاب ـــ رضى الله عنه ـــ ومن جانب الروم بطريرك المدينة، الذي كان يدعى «سوفرونيوس» واقر اهل المدينة بدفع الجزية.

بقي الخليفة هناك عدة ايام، واسس في المدينة المسجد الذي سمي فيما بعد بأسمه، ثم انطلق بالمسلمين الى الجابية، وهناك قسم جيش المسلمين الى ثلاث اقسام، وامرهم بمواصلة الفتوحات على النحو التالي: ابوعبيدة، عامر بن الجراح، ويسير الى حلب لفتحها، ويزيد بن ابي سفيان ويسير الى قيسارية، وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة، يسيران الى فلسطين والاردن.

وعاد الخليفة الى المدينة المنورة، بعد ان حقق حلم المسلمين بدخول بيت المقدس، اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى الرسول ـــ عليه السلام ـــ.

فتح قنسرين، حلب، اعزاز، انطاكية، اللاذقية، طرطوس، مرعش

بعد فتح بيت المقدس، لم يعد المسلمون الذين شاركوا في معركة اليرموك، وفتح بيت المقدس يقاتلون مجتمعين في منطقة واحدة، وتحت قيادة مباشرة لقائد واحد، وانما قام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتقسيم الجيش الى ثلاثة اقسام، احدها بقيادة ابي عبيدة واوكل له فتح مدينة حلب.

انطلق ابو عبيدة الى مدينة حلب، ومر في طريقه على قنسرين، والتي سبق وان عقد صلحاً مع اهلها، فاستقبله اهل المدينة، وطلبوا منه الاستمرار في الصلح، فوافقهم على ذلك، ومن قنسرين انطلق ابو عبيدة نحو حلب، واصطدم مع حامية رومانية خارج المدينة، وبعد قتال ضار بين الطرفين، انسحب الروم الى داخل المدينة.

كانت حلب ذات اسوار قوية، وقلعة متينة، ففرض المسلمون الحصار عليها اكثر من خمسة شهور، كان الروم في هذه الفترة يقومون بغارات سريعة، احدثت آثاراً سلبية في صفوف المسلمين، ولكنها لم تؤد الى فك الحصار عن المدينة، ولما لم يأت المدد الذي توقعه اهل المدينة من ملك الروم، قرروا الاستسلام والنزول عند رغبة المسلمين، وما لبث قائد المدينة ان اسلم، وقدم خدمات جليلة للمسلمين في معاركهم اللاحقه، وقد تم فتح المدينة في شهر شوال من السنة السادسة عشرة للهجرة (٦٣٧ ميلادية).

ارسل ابوعبيدة من حلب قوة اسلامية بقيادة مالك الاشتر الى اعزاز، للاستيلاء عليها، وهي تقع جنوب تركيا، وشرق جبال طوروس، واستطاع مالك ان يستولي على المدينة، ويعقد مع اهلها صلحاً، ثم عاد الى حلب.

ثم انطلق ابو عبيدة من حلب الى انطاكية، وقبل وصوله الى المدينة اشتبك مع قوات رومانية على نهر العاصي، ودار قتال بين الطرفين، فقد فيه الروم اعداداً كبيرة من مقاتليهم، وانهزم الباقون الى مدينة انطاكية، وتابع ابوعبيدة تقدمه نحو المدينة حتى وصلها، وقام بفرض الحصار عليها، و لم يدم ذلك طويلاً، اذ استسلم اهل المدينة، وسمح ابو عبيدة للمقاتلين الرومانين بمغادرة المدينة دون ان يؤديهم ، وقد تم فتح انطاكية في شهر شوال من السنة السادسة عشرة للهجرة (اواخر شهر تشرين اول من السنة ٦٣٧ ميلادية).

بعد اخضاع انطاكية لسيطرة المسلمين، واصل ابوعبيدة تقدمه، واستطاع اخضاع المدن الموجوده على ساحل البحر الابيض المتوسط بدون عناء كبير، ومن بين المدن التي سيطر المسلمون عليها اللاذقية وطرطوس.

ثم عاد ابو عبيدة الى مدينة حلب، ومن هناك اخذ يرسل القوات الاسلامية لأخضاع جيوب المقاومة في بلاد الشام، والتي لم تعد تحتاج الى قوات كبيرة لأخضاعها، واستمر الوضع كذلك الى ان تم اخضاع كل بلاد الشام لسيطرة المسلمين في نهاية السنة السادسة عشرة للهجرة (بداية سنة ٦٣٨ ميلادية) بأستثناء قيسارية، وبقي المسلمون عدة اشهر دون قتال يذكر.

عاد ابوعبيدة الى حمص، وبقيت باقي قوات المسلمين موزعة في بلاد الشام، حيث خالد بن الوليد في قنسرين، ويزيد بن ابي سفيان في دمشق، وشرحبيل بن حسنة في الاردن، وعمرو بن العاص في فلسطين.

قام العرب المتنصرة الموجودون في تركيا، وبتحريض من الروم، بالاستعداد للهجوم على المسلمين، الا انهم عادوا قبل وصولهم مكان تجمعهم في حمص، وذلك لمعرفتهم التامة بعدم قدرتهم على محاربة المسلمين، ولسماعهم اخبار تفيد ان اربعة الاف مقاتل مسلم تحركوا من العراق، الى بلاد الشام بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ الى قائد جيش المسلمين في العراق سعد أبن ابي وقاس.

بالرغم من ان العرب المتنصرة لم يحققوا شيئاً يذكر، الا ان تحركهم اغضب المسلمين وجعلهم يتخذون جانب الحذر منهم، وتقدم عياض بن غنم قائد القوات الاسلامية التي حضرت من العراق، نحو تركيا حتى وصل الى مناطق الجزيرة، وقام بأخضاعها الى سيطرة المسلمين بعد محاربته العرب المتنصره هناك، ثم انطلق عياض نحو ابي عبيدة، واصبح تحت قيادته.

وفي النصف الثاني من السنة السابعة عشرة للهجرة، ارسل ابوعبيدة عدة مفارز الى شمال سورية، لمنع اي تجمع للروم هناك، وكان من بين هذه المفارز، مفرزة بقيادة خالد بن الوليد الذي استطاع الوصول الى مرعش في تركيا فقام بمحاصرتها، حتى استسلمت له.

معركة بابل (١)

تاريخ المعركة : اواخر شهر ربيع اول من السنة الثالثة عشرة للهجرة (٦٣٤ ميلادية).
مكانها : منطقة بابل بأرض العراق (انظر الخارطة رقم ٢٣).
اسبابها : لقد افقد المسلمون الامبراطورية الفارسية هيبتها وسلطانها، بعد ان احتلوا ارض العراق، وهزموا كل الجيوش التي اعدها الفرس لمقاتلتهم.

وما ان غادر خالد بن الوليد العراق، وارتحل بنصف جيش المسلمين الى بلاد الشام لمقاتلة الروم هناك، حتى ظن الفرس ان بأمكانهم القضاء على القوات الاسلامية المتبقية في العراق، وبالتالي استعادة هيبة ونفوذ الفرس، واعادة الاراضي التي احتلها المسلمون منهم، بعد تأديبهم وطردهم منها.

وقائع المعركة

كان الخليفة ابوبكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ قد ارسل كتاباً الى خالد بن الوليد يأمره فيه بالتحرك فوراً من أرض العراق الى بلاد الشام، على رأس جيش قوامه نصف جيش المسلمين الموجود هناك.

وعندما استلم خالد امر الخليفة، قام على الفور بتقسيم جيش المسلمين، وسار بنصفه الى بلاد الشام، وبقي النصف الاخر بالعراق تحت قيادة المثنى بن حارثة الشيباني.

وما ان ودع المثنى خالد، حتى عاد ينظم جيشه للتدخل عند حدوث اي طارىء.

في هذه الاثناء، استقام امر الفرس على «شهرزان بن اردشير» فأصبح قائداً للأمبراطورية الفارسية، وكان اول ما قام به هذا الامبراطور هو اعداد جيش كبير (عشرة الاف مقاتل)، وارسله الى ارض العراق، وانطلق الجيش الفارسي بقيادة «هرمز جاذويه» وعندما علم المثنى بن حارثة بذلك، تحرك على الفور من الحيرة، واتجه الى بابل.

ارسل شهرزان رساله الى المثنى جاء فيها (اني قد بعثت اليكم جنداً من وحش اهل فارس، انما هم رعاة الدجاج والخنازير، ولست اقاتلكم الا بهم)(٢) وعندما استلم المثنى الرسالة، رد عليه برسالة جاء فيها (انما انت احد رجلين، اما باغ، فذلك شر لك وخير لنا، واما كاذب

---

(١) لم اقم بمواصلة الحديث عن المعارك في العراق جنباً الى جنب مع المعارك التي حدثت في بلاد الشام، والسبب في ذلك للتسهيل على القارىء في الربط بين المعارك التي حدثت في بلاد الشام من جهة، والتي حدثت في العراق من جهة اخرى.
(٢) الكامل في التاريخ، الجزء ٢ صفحة ٤١٥.

فأعظم الكذابين فضيحة عند الله وفي الناس الملوك، واما الذي يدلنا عليه الرأي، فأنكم انما اضررتهم اليهم فالحمد لله الذي رد كيدكم الى رعاة الدجاج والخنازير)(١).

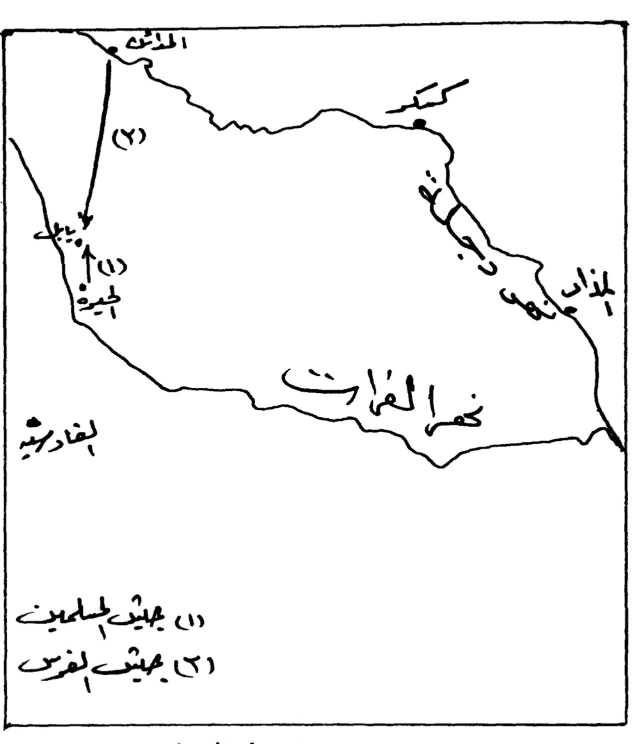
وكان لهذه الرسالة وللرد عليها اثر واضح في صفوف الطرفين، فقد اعطت المسلمين معنويات كبيرة، وزادت الطمأنينة في نفوسهم، بينما تركت أثراً سلبياًفي المحيطين بكسرى الفرس من جهة، وعلى الجند من جهة أخرى، اما المحيطين بشهرزان فقد عابوا عليه رسالته، وقالوا له «جرأت علينا عدونا بالذي كتبت به اليهم، فاذا كاتبت احداً فاستشر، اما الجند فقد حطمت الرسالة معنوياتهم، اذ كيف سيقاتلون وهم الذين يصفهم قائدهم الذي ارسلهم للقتال برعاة الدجاج والخنازير».

التقى جيش المسلمين والفرس في بابل، وبعد ان استعدوا للمعركة، دار قتال شديد بين الطرفين، استخدم فيه الفرس فيلاً مدرباً على القتال، وكان يتقدم جيشهم، ويفرق جيش المسلمين، فكان لا بد من القضاء عليه، حتى يستطيع المسلمون ان يقاتلوا اعداءهم بأسلحة متكافئة، فاتجه المثنى بن حارثة، وبرفقته بعض الرجال الاقوياء الذين اختارهم هو بنفسه، نحو الفيل، وهاجموه عدة هجمات متكررة وعنيفة، حتى استطاعوا القضاء عليه، عندما ضربوه بنقطة ضعف فيه، فهوى على الارض، وعندما شاهد جند الفرس القدرة القتالية الكبيرة للمسلمين، لم يستطيعوا الصمود كثيراً امام صمود وعزم المسلمين، فبدأوا بترك ارض المعركة، وقام المسلمون بمطاردتهم، وهم يقتلون منهم اعداداًكبيرة، حتى وصلوا الى مشارف عاصمة الفرس المدائن.

وعندما انهزم الفرس في هذه المعركة، مات شهرزان، واختلف اهل فارس على من يخلفه، وإستقر رأيهم على ابنة كسرى «دخت زنان» والتي لم يكن لها اي سلطان، ولم يكن ينفذ لها اي أمر، وأخلعت من منصبها، وعاد الفرس لأنشغالهم بأمر قيادة امبراطوريتهم.

---

(١) الكامل في التاريخ، الجزء ٢ صفحة ٤١٥.



معركة بابل خارطة رقم (٢٣)

معركة النمارق

غلبنا على خفان بيضاً مشيحة الى النخلات السمر فوق النمارق
وانا لنرجو ان تجول خيولنا بشاطيء الفرات بالسيوف البوارق(١)

تاريخ المعركة : شهر شعبان من السنة الثالثة عشرة للهجرة (٦٣٤ ميلادية).
مكانها : النمارق (وهو موضع قرب الكوفة من ارض العراق)(٢) (انظر الخارطة رقم ٢٤).

الاوضاع العامة قبل المعركة

١ ـ في الدولة الاسلامية.

بعد معركة بابل، والتي انتصر فيها المسلمون على الفرس، توقع قائد جيش المسلمين بالعراق، المثنى بن حارثة الشيباني، أن الفرس لن يكفوا عن مقاتلة المسلمين في الوقت الذي اصبح فيه جيش المسلمين، لا يزيد عن تسعة الاف مقاتل، بعد مغادرة خالد بن الوليد ومعه تسعة الاف مقاتل من العراق الى بلاد الشام، لمقاتلة الروم هناك، فلذلك قرر المثنى ان يذهب بنفسه الى المدينة المنورة، لطلب المدد من الخليفة ابو بكر الصديق رضي الله عنه.

واستخلف المثنى على جيش المسلمين بالعراق، بشر بن الخصاصيه، وانطلق من هناك حتى وصل المدينة المنورة، ووجد ابا بكر الصديق يحتضر للموت، فطلب المثنى من الخليفة ان يستعين بمن حسنت توبته من المرتدين، اذ انهم كانوا متميزين بقدرتهم على القتال، واخذ يشرح للخليفة الموقف بالعراق، والخطر المحدق بالجيش هناك، ان لم يتلق مدد من المدينة، وعلى الفور طلب الخليفة ابو بكر الصديق رضي الله عنه ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والذي عينه خليفه للمسلمين بعده، وامره ان يحث الناس على المسير الى العراق لمحاربة الفرس هناك.

وفي نفس اليوم الحادي والعشرين من جمادى الاخرة من السنة الثالثة عشرة للهجرة، توفي الخليفة ابو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وتولى الخلافه بعده عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وكان اول اجراء قام به بنفس الليلة وبعد دفن ابي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ان اخذ يحث الناس للتحرك الى العراق، للقتال في سبيل الله، واستمر ثلاثة ايام متواصلة، وهو يدعو الناس، ويحثهم على المسير الى العراق، ولكن دون جدوى، ولم يستجب له اي شخص، وربما كانت الاسباب التي حالت دون تحقيق ذلك :

---

(١) مما قاله المثنى بن حارثة الشيباني في هذه المعركة.

(٢) معجم البلدان، الجزء ٥ صفحه ٣٠٤.

أ ــ سبق وان تحرك صفوة المسلمين الى قتال اعدائهم، و لم يبق الا اولئك الذي لم ينطلقوا مع المسلمين في قتال الاعداء.
ب ــ الحزن الشديد الذي اصاب المسلمين بعد وفاة ابو بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ جعلهم في صدمة لم يستطيعوا خلالها اتخاذ القرار في تلبية الدعوة لقتال اعداء المسلمين.
جـ ــ كان العرب يكرهون مقاتلة الفرس، وذلك لانه معروف عنهم الغلظة وشدة السلطان والعزم وقهر الامم.
د ــ كان معروف عن الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ الشدة والحزم، مما قد يكون اثر ذلك على جعل الناس متخوفين من خلافته ــ وبالتالي ترددهم في الاستجابة لدعوته.

واستمر الخليفة عمر رضي الله عنه يدعو الناس ويرغبهم في مقاتلة اعداء المسلمين في العراق في اليوم الرابع ايضاً، وامام ذلك قام المثنى بن حارثة الشيباني في مسجد رسول الله ﷺ ــ وقال : (ايها الناس، لا يعظمن عليكم هذا الوجه (الفرس) فانا قد فتحنا ريف فارس، وسلبناهم على خير شقى السواد، وانلنا منهم، واجترأنا عليهم، ولنا ان شاء الله ما بعدها)(١)ثم قام عمر، واخذ يحث الناس، وتغير الوضع، وبدأ الناس يستجيبون لدعوته، وتكون لديه من المتطوعين الف رجل.

واول من استجاب لدعوة الخليفة، هو ابو عبيد بن مسعود الثقفي، وهذه الاستجابه التي كان لها دورها في استجابة الاخرين، جعلت الخليفة يؤمر ابو عبيد قائداً لجيش المسلمين في العراق، وبعد ان اكمل المتطوعين استعدادهم للمسير، انطلق المثنى بن حارثة على الفور الى العراق، ليسبق ابو عبيد ومن معه، والذين يحتاجون الى وقت اطول في مسيرهم.

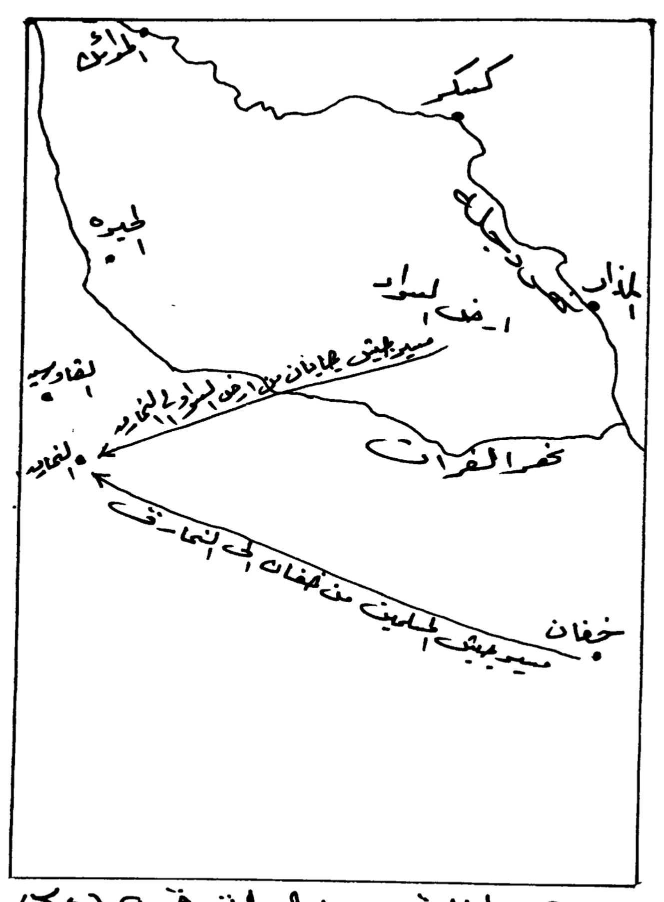
٢ ــ في الامبراطورية الفارسية.

وفي الجانب الاخر عند الفرس، وبعد هزيمتهم في معركة بابل، وموت كسرى الفرس شهريزان، بدأت الفوضى تعمهم، خاصة في البلاط الفارسي، حيث الاختلاف على من سيخلف شهريزان، وفي باديء الامر استقر رأيهم على «دخت زنان، والتي لم تستطع ان تقيم لها نفوذاً ولم يلبى لها أمر، فخلعت، ثم عاد الفرس مرة اخرى للأختلاف على قيادة امبراطوريتهم .

وبعد كل الفتن التي اصابت الفرس على القيادة، استقر رأيهم على «بوران بنت كسرى برويز» والتي كان معروف عنها سداد الرأي، ورجاحة العقل، وحسن التصرف، والغيرة على دولتها.

---

(١) الكامل في التاريخ، الجزء ٢ صفحه ٤٣٣.



معركة النمارق خارطة رقم (٢٤)

واستعانت بوران برستم، والذي كان آنذاك حاكماً لخراسان، وطلبت منه ان يسير الى المدائن، ليساعدها في القضاء على اعدائها، وبالفعل استطاع رستم ان يدخل العاصمةبعد القضاء على كل الذين حاولوا منعه من ذلك.

واوضحت بوران لرستم ما تعانيه الامبراطورية الفارسية من الضعف والفرقة، في الوقت الذي اقترب فيه المسلمون من ابواب المدائن، واصبح خطرهم على الفرس كبيراً، ان هم لم يقوموا بما يمنع ذلك، فلذلك عرضت عليه ان يقود البلاد لمدة عشر سنوات، ثم يعيد الملك بعدها الى ال كسرى فوافقها رستم على ذلك.

وقائع معركة النمارق.

ما ان استلم رستم القيادة، حتى قام بأرسال القادة الى دهاقين السواد، يحرضون، ويأمرون الناس هناك بالثورة على المسلمين، وكان من بين الذين ارسلهم رستم الى دهاقين السواد، رجل اسمه جابان، وارسله الى فرات باذقلي، وارسل رجلاً آخر اسمه نرسي وهو ابن خالة كسرى الى كسكر، وقام رستم بأعداد جيش في المدائن يدعم به هؤلاء القادة عند ملاقاتهم المسلمين.

استطاع كل من جابان ونرسي اقناع الناس في المناطق التي ذهبوا اليها، بالثورة على المسلمين، وتحرك جابان بمن ثاروا معه الى النمارق، وتحرك نرسي بمن معه ونزل زندورد.

وحال وصول المثنى الى العراق من المدينة، امر جميع مفارز المسلمين المنتشرة بأرض العراق، ان تعود الى الحيرة، لتنضم هناك لجيش المسلمين، وما ان انضمت المفارز الى الجيش حتى انسحب، المثنى بجيشه الى (خفان) (انظر الخارطة رقم ٢٤) ودون ان يقوم بالتعرض للفرس.

وفي هذا الوقت وصل القائد ابو عبيد الى خفان، واستلم هناك قيادة جيش المسلمين، وبعد ان اراح جنده عدة ايام، قام بالتحرك بجيشه نحو النمارق، لمقاتلة جيش جابان هناك (أنظر الخارطة رقم ٢٤).

وما ان وصل ابو عبيد الى النمارق، حيث جيش جابان هناك، حتى قام الطرفان بالاستعداد للمعركة، واخذ كل طرف ينظم نفسه، ففي جانب المسلمين جعل ابو عبيد القادة على الجنود، فعين المثنى بن حارثة على الخيالة، ووالق بن جيدارة على الميمنة، وعمرو بن الهيثم السلمي على الميسرة، وفي جانب الفرس، جعل جابان على ميمنته رجلاً اسمه (جشنس ماه) وعلى ميسرته رجلاً اسمه (مردانشاه).

وبعد ان استعد الجانبان للمعركة، دار قتال شديد بينهما، ولم يصمد الفرس كثيراً امام صمود المسلمين، ودارت الدائرة على الفرس، واستطاع المسلمون اسر القائد جابان، والذي امنه رجل من المسلمين قبل ان يعرفه، مما جعل القائد ابو عبيد يطلق سراحه، وذلك احتراماً للرجل الذي امنه، كما قتل المسلمون قائد ميسرة الفرس مردانشاه، بالاضافة الى اعداد كبيرة من جنود الفرس، وفر الباقون الى (كسكر)، هرباً من قتال المسلمين، ثم اخذ المسلمون يطاردون فلول الفرس، حتى اوصلوهم الى كسكر، حيث نرسي وجنوده هناك.

معركة السقاطية

ضربنـــا حماة النرسيـــان بكسكـــــر	غـــداة لقيناهـــم بـــيض بواتـــر
وفزنـا على الايـام والحرب لاقـــح	بجرد حسان او ببرد غوابــــــــر
وظـــلت بـــلاد النرسيـــــان وتمره	حراماً لمن بين الديـار االاظافــر
ابحنـــا حمى قـــوم وكان حماهـــم	حراماً على من راح بالعساكــر(١)

تاريخ المعركة : شهر شعبان من السنة الثانية عشرة للهجرة (٦٣٤ ميلادية).
مكانها : السقاطية، وهي ناحية بكسكر من ارض واسط(٢) في العراق.
اسبابها.

سبق وان ارسل رستم جابان الى فرات باذقلي، وارسل نرسي الى كسكر، فأستطاع هذان الرجلان اقناع اهل هذه المناطق بالثورة على المسلمين.

وتحشد جابان في النمارق، وتحشد نرسي في كسكر، وبعد ان علم المسلمون بهذه التحشدات، تحركوا الى النمارق، واستطاعوا هزيمة جيش جابان هناك، وهرب كل من استطاع من اتباعه من النمارق، واتجهوا الى جيش نرسي في كسكر، فتحرك المسلمون من النمارق الى هناك للقضاء على جيش نرسي.

وقائع المعركة :

ما ان علم رستم قائد الفرس بهزيمة جيش جابان في النمارق، حتى تكهن ان المسلمين سيتحركون من هناك الى كسكر لمحاربة_ جيش نرسي، فقام باعداد جيش بقيادة (الجالينوس) وامره بالتحرك لمساعدة نرسي ضد المسلمين.

وحصل المسلمون على هذه المعلومات من خلال عيونهم في البلاد التي سبق وان فتحوها، كما عرفوا ان جيش نرسي اقل من جيش جابان الذي هزمه المسلمون في النمارق، فلذلك اشار المثنى بن حارثة على ابي عبيد بن مسعود قائد جيش المسلمين بالتحرك للقضاء على جيش نرسي، وقبل وصول جيش الجاليونس الى هناك.

---

(١) ما قاله عاصم بن عمرو في هذه المعركة.
(٢) معجم البلدان، الجزء ٣ صفحه ٢٢٦.

امر ابو عبيد جيش المسلمين بالتحرك الى كسكر، وعندما وصل الى هناك، وجد جيش نرسي في السقاطية، وهي ارض صحراوية جنوب كسكر، وعلى الفور نظم ابو عبيد جيشه للمعركة، وبنفس الطريقة التي كان بها في معركة النمارق، حيث المثنى بن حارثة على الخيالة، ووالق بن جيدارة على الميمنة، وعمرو بن الهيثم السلمي على الميسرة، وقام نرسي بتنظيم قواته، فجعل ابنتي خالته على الميسرة والميمنة، وهما ابنا خال كسرى (بندويه بن بسطام) على الميمنة واخاه (بترويه بن بسطام) على الميسره، علماً بأن قوات من المناطق القريبة من كسكر من اهل (باروسما)، ونهر (جوبر) و (الزوابي)، كانت قد انضمت الى جيش نرسي.

وارسل رستم الى نرسي بخبر قدوم جيش فارسي بقيادة الجالنيوس لمساعدته في حربه ضد المسلمين، وتمنى رستم ان يصل جيشه قبل ان تدور المعركة مع المسلمين، ولكن ابا عبيد بن مسعود لم ينتظر حتى يتحقق للفرس ذلك، فأمر جنوده ان يبدأوا الهجوم على اعدائهم، ودار قتال شديد بين الطرفين، لم يصمد فيه الفرس كثيراً، فولوا الادبار وتركوا ارض المعركة، بعد ان قتل منهم اعداد كبيرة، واستطاع نرسي ان يهرب من قبضة المسلمين مع من هربوا، وقام المسلمون بمطاردتهم، وقتلوا اعداداً كبيرة منهم، وغنم المسلمون غنائم كثيرة، من بينها خزائن لنرسي نفسه، حيث كان له في كسكر مزارع كثيرة تعود عليه بأموال كبيرة، كما غنم المسلمون كميات كبيرة من الاطعمة المميزة التي كانت حكراً على قادة الفرس.

وبعد المعركة ارسل ابو عبيد مفارز الى المناطق المجاورة، لتقوم بمقاتلة اعداء المسلمون الذين تحالفوا مع الفرس، ومن بين هذه المفارز، ارسل ابو عبيد، المثنى بن حارثة الى باروسما، وارسل عروة بن زيد الطائي[1] الى الزوابي، وعاصم بن عمرو الى نهر جوبر، واهل هذه المناطق سبق وان صالحهم خالد بن الوليد مقابل دفع الجزية.

قدم رجل اسمه «فاروخ» من باروسما، وآخر اسمه «فرونداذ» من نهر جوبر على المثنى بن حارثة، يعرضان عليه السلم، فارسلهما الى ابي عبيد قائد المسلمين، والذي صالحهما مقابل دفع الجزية، كذلك صالح ابو عبيد بعد ذلك اهل الزوابي واهل كسكر.

---

(١) وقيل ان الذي ارسله ابو عبيد الى الزوابي هو والق بن جيدارة.

معركة باقسياثا(١)

صبحنـــا بالبقـــايس رهـــط كسرى صبوحـــاً لـــيس مـــن خمر السواد
صبحناهـــم بكـــل فتـــى كمـــي وأجرد سابح من خيل عـــاد(٢)

تاريخ المعركة : في شهر شعبان من السنة الثالثة عشرة للهجرة (٦٣٤ ميلادية).
مكانها : في باقسياثا، وهي ناحية بأرض السواد من عمل باروسما(٣)بأرض العراق.
اسبابها.

سبق وان ارسل رستم جيشاً من المدائن عاصمة الفرس، وبقيادة الجالنيوس، لمساعدة نرسي في محاربة المسلمين، ولم يستطع هذا الجيش الوصول الى نرسي قبل بدء القتال بين جيشه وجيش المسلمين، في معركة السقاطية، التي هُزم فيها نرسي شر هزيمة من قبل جيش المسلمين، والذي تحرك لملاقاة جيش الجالونس للقضاء عليه.

وقائع المعركة.

خرج ابو عبيد بن مسعود في جيش المسلمين من السقاطية، نحو (باروسما) لملاقاة جيش الجالينوس، وعندماعلم الجالينوس بتحرك المسلمين نحوه، نزل في (باقسياثا) من ارض باروسما.

التقى جيش المسلمين بجيش الجالينوس، وكان جيش المسلمين على نفس التعبئة في معركتي النمارق والسقاطية اللتين سبقتا هذه المعركة، حيث المثنى بن حارثة على الخيالة، ووالق بن جيدارة على الميمنة، وعمرو بن الهيثم السلمي على الميسرة، وانضم الى جيش الجالينوس اعداد كبيرة من الجنود الفارين من معركتي النمارق والسقاطية، وكان هؤلاء الجنود الفارين يعانون من معنويات سيئة، كان لها اثر سلبي في صفوف الفرس.

ودار القتال بين الطرفين، انتصر فيه المسلمون وانهزم الفرس، حين قام قائدهم الجالينوس بالفرار من ارض المعركة.

اقام ابوعبيد بن مسعود في قرية باروسما عدة ايام، كان المسلمون يطاردون الفرس، ويعيدون تنظيم امور المناطق التي احتلوها، بعد ذلك غادرها ابوعبيد بن مسعود، واتجه الى الحيرة، وكان على مقدمة الجيش المثنى بن حارثة، وباقي الجيش على نفس تعبئته في المعركة.

وسبب عودة ابو عبيد الى الحيرة غير معروف، ولربما كان السبب، معرفته بوجود تحشدات للفرس، فآثر التحرك للحيرة كونها اكثر امناً، حتى تصل الأخبار الكافية عن تحركات الفرس، ليقوم انذاك بما يراه مناسباً تجاهها.

---

(١) تسمى ايضاً بمعركة باروسما ومعركة الجالينوس.

(٢) ما قاله عاصم بن عمرو في هذه المعركة.

(٣) معجم البلدان، الجزء ١ صفحه ٣٢٧.

معركة الجسر (١)

نعيت الى اهل المدينة فتية على مثلهم تبكي النساء الكواعب
نعيت الى الانصار فتيانها التي بها كانت الاحياء طراً تحارب (٢)

تاريخ المعركة : شهر شعبان من السنة الثالثة عشرة للهجرة (تشرين اول سنة ٦٣٤ ميلادية).
مكانها : على نهر الفرات في ارض العراق.
اسبابها : ما ان انهزم الفرس في معركة باقسياثا، وعاد قائدها الجالينوس ومن فر معه من الفرس الى عاصمتهم المدائن، حتى امر رستم قائد الفرس بتكوين جيش فارسي كبير، يحارب المسلمين، ويعيد لدولة الفرس اعتبارها.

الموقف قبل المعركة :

١ ــ موقف الفرس :

كان للهزائم المتوالية للفرس على ايدي المسلمين، آثار سلبية عليهم، وما ان وصل الجالينوس، قائد معركة باقسياثا، والتي مني الفرس فيها بهزيمة كبيرة تضاف الى هزائمهم السابقة، حتى وقف الجالينوس موقف المساءلة وحُمّل سبب هزيمة الفرس في تلك المعركة.

اراد رستم ارسال جيش الى المسلمين ليحاربهم، واراد في هذه المرة ان يوكل القيادة الى رجل يستطيع ان يحقق للفرس نصراً، مهما كان ثمنه، فسأل بطانته قائلاً: (اي العجم اشد على العرب فيما ترون؟ قالوا بهمن بن جاذويه، فوجهه ومعه فيلة، ورد الجالينوس معه وقال له : قدم الجالينوس، فان عاد لمثلها فاضرب عنقه) (٣)وكان بهمن بن جاذويه يلقب بـ «ذي الحاجب» لانه كان يعصب حاجبيه بعصابة ترفعهما لكبرهما.

وبعد ان اعد الجيش، تحرك من المدائن، ترافقه الفيله المدربه على القتال، وارسل رستم معه «درفش كابيان» وهي راية كسرى، التي صنعت من جلود النمور، كان عرضها ثمانية اذرع وطولها اثني عشر ذراعاً، وقد كانوا لا يخرجوَن هذه الراية الا مع ملكهم، وفي معاركهم الفاصلة، وواصل جيش الفرس تقدمه حتى وصل الى منطقة (قس الناطف) على الجانب الشرقي لنهر الفرات.

---

(١) وتعرف ايضاً باسماء اخرى هي : القس، قس الناطف، المروحة، القرقس..

(٢) مما قاله الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ ينعى شهداء الانصار الذين سقطوا في معركة الجسر.

(٣) تاريخ الطبري، الجزء ٢ صفحة ٣٦٦.

٢ ــ موقف المسلمين :

كان جيش المسلمين معسكراً في الحيرة، وعندما علم قائد الجيش ابو عبيد بن مسعود بتحركات جيش الفرس، انطلق بجيش المسلمين من هناك حتى وصل الى مكان يقال له (المروحة) في الجهة الغربية لنهر الفرات، المقابلة لقس الناطف حيث تحشد جيش الفرس.

سير المعركة :

ما ان اكمل الجيشان تحشدهما على جانبي النهر، حتى بدأ كل منهما الاستعداد للمعركة، ولكون النهر يفصل بين الطرفين، كان لا بد من عبور احد الجيشين الى الجانب الاخر للالتقاء مع عدوه.

ارسل قائد جيش الفرس بهمن بن جاذويه الى قائد جيش المسلمين ابي عبيد بن مسعود يقول له: (اما ان تعبر الينا وندعكم والعبور، واما ان تدعونا نعبر اليكم)[1] وكان رغبة الفرس ان يعبر المسلمون اليهم، فاشار المسلمون على ابي عبيد بعدم العبور، وجعل الفرس يقومون بذلك وللاسباب التالية :

أ ــ كثرة جيش الفرس في هذه المرة، مقارنة مع جيوشهم السابقة، في الوقت الذي لا يزيد فيه جيش المسلمين عن العشرة الاف مقاتل، وهذا يعني ان المسلمين يستطيعون بعدم عبورهم النهر توزيع جيش الفرس في المكان الذي يريدونه، بالاضافة الى حاجة الفرس الى وقت كبير لعبورهم، نظراً لكثرة جنودهم، ووجود الفيلة والمعدات الحربية الكثيرة معهم، في المقابل ان عبور المسلمين الى الجانب الاخر، يجعل الفرس هم الذي يحددون اماكن تواجدهم في ارض المعركة، وبالشكل الذي يخدمهم، ويساعدهم بتسهيل مهمتهم في مقاتلة المسلمين.

ب ــ ان عبر الفرس الى المسلمين، فبامكان المسلمين ان يحددوا الزمان الذي تبدأ فيه المعركة، وقد يبدأون مهاجمة اعدائهم في الوقت الذي لم يكملوا فيه عبورهم، والذي يساعدهم على ذلك، وجود ممر واحد فقط للجيش بين الجانبين.

جـ ــ عدم صلاحية الجانب المتواجد فيه الفرس للكر والفر، الذي يحتاجه المسلمون في قتالهم، نظراً لقلة عددهم، ولكونهم سيتواجدون بين النهر من الخلف، والجيش الفارسي من الامام، وكذلك يصعب عليهم استخدام الخيول في المعركة بسهولة، والتي تحتاج الى مساحة واسعة في عملية القتال.

د ــ عدم عبور المسلمين الى الجانب الاخر، سوف يساعدهم على اللجوء الى الصحراء ان دارت الدائرة عليهم، حيث كان المسلمون دائماً في معاركهم السابقة مع الفرس، يضعون

---

(١) الكامل في التاريخ الجزء ٢ صفحه ٤٣٨.

في اعتبارهم سهولة فرارهم الى الصحراء، ان ساء الوضع، بحيث يستطيعون ان يكونوا في مأمن من الفرس من جهة، وحتى يعيدوا تنظيم انفسهم بعيداً عن الفرس الذين لن يستطيعوا اللحاق بهم في صحراء الجزيرة العربية من جهة اخرى، وبعبور المسلمين الى الجانب الاخر يفقدون هذه الميزة، حيث يكون النهر من خلفهم، وبذلك يصعب عليهم ترك ارض المعركة بشكل جماعي ومنظم بدون ان يخسروا اعداداً كبيرة في عملية الانسحاب.

هـ ـــ كان الخليفة عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ قد أوصى أبا عبيد قبل تحركه الى العراق، ان ياخذ حذره من الفرس الذين وصفهم باهل المكر والخداع.

ورغم كل هذه الاسباب، الا ان ابا عبيد لم يقبل بعدم العبور، بل صمم على عبور جيش المسلمين الى الفرس، معللاً ذلك باعتماده على الله في محاربة المسلمين لاعدائهم، وحتى لا يظن الفرس ان المسلمين قد جبنوا، واصبح همهم العيش فقط في الحياة الدنيا.

امر ابو عبيد جيش المسلمين بالعبور الى الطرف الاخر، حيث جيش الفرس، وبدأ جيش المسلمين بالعبور من خلال الجسر الوحيد الذي يربط بين الجانبين، والذي كان اهل الحيرة يستخدمونه في عبورهم الى ضياعهم.

واستخدم بهمن بن جاذويه الخديعة والمكر، للايقاع بجيش المسلمين، وهو الذي كان يتمنى ان يعبر المسلمون اليه، وتحققت رغبته، واخذ يفرض على المسلمين، واقع المعركة، فأخلى منطقة ضيقة ليحتشد جيش المسلمين بها.

وما ان اكمل جيش المسلمين عبوره، حتى بدأ القتال بين الطرفين، وكان اول ما استخدمه الفرس في قتالهم الفيلة التي كانت تتقدمهم، والمدربة على القتال، وقد علقت بها الاجراس ذات الرنين، وحملت بعدة الحرب، وزخرفت بالشعارات، وسعف النخيل، وما ان رأت خيول المسلمين هذا المنظر الذي لم تعتده، حتى بدأت تنفر من الفيلة، وبذلك استطاع الفرس ان يحيدوا خيول المسلمين من المعركة، ويحولوا دون استخدامها، ففقد المسلمون دورها الكبير الذي كانت تلعبه بحسم معاركهم ضد اعدائهم.

وفي هذه الاثناء لم يكن امام المسلمين، الا ان يخوضوا معركة غير متكافئة، فنزل ابو عبيد عن فرسه، وفعل ذلك كل المسلمين الراكبين على خيولهم، واصبحوا يقاتلون مترجلين، في الوقت الذي يستخدم فيه اعدائهم خيولهم، بالاضافة الى الفيلة، الا ان ذلك لم يقلل من تصميم المسلمين على القتال ببسالة، في معركه فرض عليهم فيها القتال بهذه الطريقة.

وكان لا بد من القضاء على هذه الفيلة، فطلب ابو عبيد من المسلمين تطويقها والبدء بتقطيع احزمتها، ونجح المسلمون في ذلك، فكلما قطعوا حزام فيل سقط الهودج وسقط معه المحاربون الموجودون فوقه، وفوراً يقوم المسلمون بقتلهم، واستمر المسلمون على ذلك حتى نجحوا في اسقاط المحاربين الموجودين على ظهور جميع الفيلة، ولم يغير هذا الوضع من سير

المعركة كثيراً، فقد كانت الصعوبة تكمن في القضاء على الفيلة نفسها، ولابد للمسلمين من ذلك حتى يقاتلوا بسهوله ويسر، وتدارس ابو عبيد الوضع مع اصحابه، واخبروه بصعوبة ذلك، حيث لا يمكن القضاء على الفيلة الا بقطع خراطيمها، وهنا اوصى ابو عبيد اصحابه قائلا (يا معشر الناس اني حامل على هذا المخلوق، فانظروا ان قتلته وهزمت من حوله، فانا اميركم، وان قُتلت فان اخي الحكم اميركم، فان قُتل فولدي وهب، فان قُتل فولدي مالك، فان قُتل فولدي جبر، فان قُتل فابوا القاسم، فان قُتل ابو القاسم فعليكم بالمثنى).(١)

وتذكر الروايات ان سبب اختيار ابي عبيد اقرب الناس له لامارة جيش المسلمين، هو: انه عندما قدم المسلمون الى المروحة، رات دومة امرأة ابي عبيد (ان رجلاً نزل من السماء باناء فيه شراب، فشرب ابو عبيد ومعه نفر، فاخبرت بها ابوعبيد فقال : لهذه ان شاء الله الشهادة).(٢) ولعل السبب الرئيسي الذي جعل ابوعبيد يفعل ذلك، هو صعوبة الموقف، فاراد ان تكون التضحيات من اقرب الناس اليه، وتقدم ابو عبيد الى اكبر الفيلة وهو الفيل الابيض، واراد قطع خرطومه واخذ ينشد ويقول :

يالك من ذي اربع ما اكبرك   يالك في يوم الوغى ما انكرك
اني لعال بالحسام مشفرك   وهالك وفي الهلاك لي درك

وحاول ابو عبيد ضرب خرطوم الفيل بسيفه، الا ان الفيل ضربه بيده، فاوقعه ارضاً، واخذ يدوسه باقدامه، حتى فارق الحياة.

وامام هذا المنظر الرهيب، اخذ الراية بعد ابي عبيد من وصى ان يكون بعده الامير، فقتل وتوالت الامارة الى الاشخاص الذين سماهم ابو عبيد حتى قتلوا جميعاً، فأستلم الأمارة المثنى بن حارثة الشيباني، الذي رأى ان استمرار القتال بهذه الطريقة، سيفني جميع جنود جيشه.

ولم يكن امام المثنى من طريقة سوى الانسحاب من المعركة، في الوقت الذي بدأ فيه المسلمون اصلاً بالفرار من هناك بطريقة غير منظمة، من خلال الجسر الى الطرف الاخر، فجمع المثنى اقوى رجال المسلمين واصبرهم، وقاموا بمقاتلة الفرس اشد قتال، حتى يحمي مؤخرة جيشه اثناء انسحابه، وليفوت على الفرس حريتهم بقتل المسلمين كما يشاءون.

ونجح المثنى في ذلك، الا ان رجلاً يدعى عبدالله بن مرشد الثقفي، بادر الى الجسر فقطعه، وهو يريد من ذلك، ان لا ينسحب المسلمون امام الفرس، واخذ يقول (موتوا على ما مات عليه امراؤكم او تظفروا) وزاد هذا العمل الذي قام به عبدالله بن مرشد الحال سوءاً، وزاد من المهام والصعاب الملقاة على القائد المثنى بن حارثة، وعلى المسلمين، وعندما رأى المسلمون

---

(١) الفتح العربي للعراق وفارس، صفحه ١٣٣.

(٢) الكامل في التاريخ، الجز ٢ صفحه ٤٣٨.



معركة الجسر خارطة رقم (٢٥)

الجسر وقد قطع، عمد بعضهم الى الفرار عبر النهر، حيث القوا بانفسهم الى الماء. مع فرق معظم الذين حاولوا ذلك، بسبب عدم معرفتهم السباحة، واسرع المثنى لحل هذه المشكله، فطلب من اصحابه ان يعيدوا وصل الجسر، ليستمر انسحاب المسلمين، وبعد جهد جهيد، استطاع المسلمون ربط الجزء الذي قطعه ذلك الرجل، وعاد المسلمون ينسحبون من خلال الجسر، ويتزاحمون على الفرار من خلاله، فاخذ المثنى ينادي عليهم، ويطلب منهم التمهل في العبور، حيث انه سيبقى هو واصحابه لحماية مؤخرة المسلمين، حتى يعبروا النهر جميعاً.

واكمل المسلمون عبورهم النهر، وكان اخرهم المثنى بن حارثة الذي عبر الجسر ووجهه نحو الفرس يقاتلهم، ويمنعهم من التقدم نحو المسلمين، حتى استطاع ان يعبر الجسر، ونتج عن ذلك جرح عميق اصابه في جسده.

ويشاء الله ان يكمل المسلمون عبورهم النهر مع غروب ذلك اليوم، وبذلك حال الله بين المسلمين واعدائهم، حيث استغل المسلمون الليل للابتعاد عن المكان، لكي لا يستطيع الفرس مطاردتهم على الفور والقضاء عليهم.

وهرب من المسلمين الى الجزيرة العربية اكثر من الفي مقاتل، بعد ان خسروا في هذه المعركة اربعة الاف شهيد بين قتيل وغريق، وانسحب المثنى بمن بقي معه من المسلمين وهم اربعة الاف مقاتل، الى اليس، بعيداً عن الفرس، وتم كل ذلك خلال الليل. (انظر الخارطة رقم ٢٥).

وفي صبيحة اليوم التالي، نظم المثنى جيشه، بالرغم من كل ما اصابه، واستعد المسلمون لمقاتلة اعدائهم في عملية المطاردة التي قام بها الفرس في ذلك اليوم، حيث دارت معركة بين الطرفين، استطاع المسلمون الانتصار بها، ونظراً لاهميتها فقد افردتها بمعركة مستقلة تحت اسم معركة اليس الصغرى.

وبالرغم من الانتصار الكبير الذي حققه الفرس في معركة الجسر، والهزيمة الكبيرة التي لحقت بالمسلمين كونها اول هزيمة للمسلمين منذ دخولهم العراق، الا انهم استطاعوا ان يقتلوا من الفرس في هذه المعركة ستة الاف مقاتل، وهذا يدل على مدى ما قدمه المسلمون من بسالة ورجولة بالرغم من هزيمتهم.

ونظراً لكثرة شهداء هذه المعركة، فقد عم الحزن في المدينة المنورة بعد سماعهم بهذه الهزيمة، كون ان الاكثرية من قتلى المسلمين، هم من اهل المدينة ومن حولها، حيث قتل من ثقيف وحدها، وهي قبيلة القائد ابي عبيد ثمانمائة شهيد، بالاضافة الى اعداد كبيرة من صحابة رسول الله ﷺ الذين شاهدوا معه معارك عدة.

وعندما جاء الخبر الى الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ وهو على المنبر يخطب بالناس، حزن حزناً شديداً، وقام يدعو الناس للتطوع في المسير الى العراق، وذلك لدعم جيش المسلمين هناك، وتحقيقاً لمطلب القائد المثنى بن حارثة الشيباني.

معركة أليس الصغرى

تاريخ المعركة : شهر شعبان من السنة الثالثة عشرة للهجرة (تشرين اول سنة ٦٣٤ ميلادية).
مكانها : قرية أليس، وهي قرية من قرى الانبار(١) في ارض العراق.
اسبابها :

بعد الانتصار الكبير الذي حققه الفرس على المسلمين في معركة الجسر التي سبقت هذه المعركة، اراد الفرس القضاء على فلول المسلمين التي انسحبت، واخذت تتجمع في قرية أليس.

وقائع المعركة :

انسحب قائد جيش المسلمين في العراق بمن بقي معه من المسلمين من مكان معركة الجسر، وجمع قواته في أليس، واخذ ينظمها هناك، رغم الخسارة الكبيرة في الارواح في معركة الجسر، ورغم صغر حجم الجيش الذي بقي معه، والذي تعداده حوالي اربعة الاف مقاتل.

وارسل قائد جيش الفرس في معركة الجسر بهمن بن جاذويه، اثنين من اكبر قادته وهما جابان ومردنشاه لمطاردة فلول المسلمين، وكان متوقعاً ان يتبعهما مع باقي الجيش، الا ان فتنة حدثت في عاصمة الفرس على السلطة، جعلته يترك المكان، ويغادر على الفور الى العاصمة، دون ان يخبر من ارسلهم لمطاردة المسلمين بذلك.

وجاءت هذه الاخبار الى المثنى بن حارثة من خلال عيون المسلمين هناك، فأستخلف عاصم بن عمرو على المسلمين، وخرج في تجريده من الخيل، يريد كلاً من جابان ومردنشاه.

وظن هذان القائدان انهما خارجان في نزهه، وان المسلمين قد هربوا من ارض العراق الى الجزيرة، ولم يبق منهم سوى عدد قليل يستعد للهرب، وعندما رأوا خيل المثنى بن حارثة، ظنوا انهم ممن يريدون الفرار الى الجزيرة العربية، ولم يتوقعا انهم يريدانهما.

ودار قتال بين الطرفين، اسر فيه جابان ومردنشاه، وعدد كبير ممن معهما، وفر الباقون من ارض المعركة، وعلى الفور قام المثنى بقتل جابان ومردنشاه، وذلك لدورهما الكبير في هزيمة المسلمين في معركة الجسر، ثم عاد الى أليس، والتي لم يكن اهلها راضين عن الفرس، بل كانوا متعاطفين مع المسلمين اثناء وجودهم هناك، ولذلك لم يتعرض المثنى لهم، بل عقد معهم العهود وابقاهم على الذمة.

---

(١) معجم البلدان الجزء ١ صفحه ٢٤٨.

معركة البويب

هاجت لاعور دار الحي احزانا ... واستبدلت بعد عبد القيس خفانا
وقد ارانا بها والشمل مجتمع ... اذ بالنخيلة جند مهرانا
ازمان سار المثنى بالخيول لهم ... فقتل الزحف من فرس وجيلانا
سما لمهران والجيش الذي معه ... حتى ابادهم مثنى ووحدانا
ما ان راينا اميراً بالعراق مضى ... مثل المثنى الذي من آل شيبانا
ان المثنى الامير القدم لاكذب ... في الحرب اشجع من ليث بخفانا(١)

تاريخ المعركة : شهر رمضان من السنة الثالثة عشرة للهجرة (شهر تشرين ثاني لسنة ٦٣٤ ميلادية).

مكانها : النخيلة(٢) على الجانب المقابل للبويب، على ضفة نهر الفرات، وهي قرب الكوفه، من ارض العراق.

اسبابها : ما ان انهزم المسلمون في معركة الجسر، حتى اخذ الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ يندب الناس، ويحثهم على المسير الى العراق، لقتال الفرس هناك.

واخذ الناس يتوافدون على المدينة المنورة، وتحركت الامدادات من هناك صوب العراق، للالتحاق بجيش المسلمين، الذي اصبح بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني، بعد استشهاد قائده ابي عبيد بن مسعود في معركة الجسر، ولم يعد الجيش هناك قادراً على مقاتلة الفرس بدون امدادات، حيث اصبح عدد جنوده اربعة الاف مقاتل بعد مقتل وفرار اكثره في معركة الجسر.

وعندما علم الفرس بهذه الامدادات، قاموا باعداد جيش فارسي كبير، تكون مهمته هزيمة جيش المسلمين في العراق، وتشتيته كما حصل في معركة الجسر، التي كانت بمثابة حافز لهم لتحقيق انتصار اخر على المسلمين.

(١) ما انشده الاعور العبدي الشني في معركة البويب.

(٢) ولذلك تسمى المعركة ايضاً النخيلة.

الموقف قبل المعركة :

جاء خبر هزيمة المسلمين في معركة الجسر بمثابة كابوس لاهل المدينة المنورة، وللخليفة عمر بن لخطاب ــ رضي الله عنه ــ كونها المعركة الأولى التي يخسرها المسلمون امام الفرس، منذ بدء الفتوحات الاسلامية في العراق، زمن الخليفة إبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ ولكثرة من قتل فيها من المسلمين، والذين اكثرهم من اهل المدينة المنورة ومن حولها.

وقام الخليفة عمر بن الخطاب ــ يندب الناس ويحثهم على التطوع للمسير الى العراق، للانضمام الى جيش المسلمين هناك، لمساعدته في محاربة الفرس، اذ انه اصبح غير قادر على ذلك بعد الهزيمة في معركة الجسر، وفي ارض الامبراطورية الفارسية،التي اصبح من السهل عليها القضاء على جيش المسلمين ان بقي على هذا الحال.

وبدأ المتطوعون يفدون الى المدينة المنورة، وكان اكثرهم من قبيلة بجيلة، بالاضافة الى سبعمائة رجل من بني كنانة والازد، وانضم الى هذه القبائل، مجموعة من المتطوعين من قبائل خشعم، ومن بني حنظلة، ومن بني عمرو، ومن بني ضبه، وعبد القيس، وكان مجموع من تطوع للحاق بجيش المسلمين في العراق اربعة الاف مقاتل.

وتحرك المدد من المدينة المنورة، وتوجه للحاق بالمثنى بن حارثة الشيباني، وعندما علم الفرس بهذه الامدادات، قاموا باعداد جيش فارسي كبير من الفرسان فقط، والسبب يعود للدور الذي لعبه الفرسان في تتحقيق النصر الكبير على المسلمين في معركة الجسر، واوكلت قيادة الجيش، الى رجل اسمه «مهران بن باذان الهمذاني» والذي نشأ في اليمن، حيث كان ابوه عاملاً لكسرى هناك، مما جعل هذا القائد يعرف اللغة العربية ويجيدها.

وتحرك الجيش الفارسي من عاصمة الفرس (المدائن)، يريد الحيرة، وعندما علم المثنى بن حارثة بذلك، ادرك ان الجيش الفارسي سيكون سريعاً، وذلك لاعتماده على الخيول، فتحرك المثنى على الفور بجيشه من مكان تواجده (بمرج السباخ) بين القادسية وخفان، وراسل من هناك القادة المتجهين اليه من المدينة، طالباً منهم الاسراع في المسير، للانضمام اليه في البويب، وتحرك المثنى بجيشه، من السباخ، وسلك وسط السواد، فطلع على النهرين، ثم على الخورنق وواصل مسيره حتى وصل النخيلة، في الوقت الذي وصل فيه جيش الفرس الى البويب، في الطرف الاخر من النخيلة، وفي ذلك يكون نهر الفرات يفصل بين الطرفين.

ووصل المدد الى المثنى بن حارثة وهو في النخيلة، وانضم الى جيش المسلمين قبل بدء القتال مع الفرس، فاصبح تعداد جيشه ثمانية الاف مقاتل، اربعة الاف وصلوا من المدينة، واربعة الاف كانوا متواجدين معه، وهم فقط الذين لهم خبرة في قتال الفرس، اما من وصلوا الى العراق، فليس لهم خبرة في القتال سوى من شارك منهم في حروب الردة، زمن الخليفة إبي بكر الصديق رضي الله عنه.

واحتشد الجيشان على جانبي النهر، وارسل مهران قائد جيش الفرس الى المثنى قائد جيش المسلمين يقول له،: «اما ان تعبروا الينا واما ان نعبر اليكم» ولكي لا يعيد المثنى خطأً ابي عبيد بن مسعود قائد جيش المسلمين في معركة الجسر، والتي كان من اهم اسباب هزيمة المسلمين فيها عبور جيش المسلمين الى الفرس، فان المثنى لم يوافق على العبور الى الطرف الاخر، بل طلب من مهران ان يعبر هو بجيشه الى ناحية المسلمين.

الاستعداد للمعركة.

١ ــ من جانب المسلمين.

قام المثنى بن حارثة الشيباني بتنظيم جيش المسلمين للمعركة، فجعل على مجنبتيه بشير بن الخصاصيه، وبسر بن ابي رهم الجهني، وعلى الخيل اخاه المعنى بن حارثة، وعلى المشاه اخاه مسعود، وعلى الاحتياط مذعور بن عدي.

وركب المثنى بن حارثة فرسه الشموس، والتي كان لا يركبها الا في قتال، وذلك لشهرتها ولين عريكتها وطهارتها، واخذ المثنى يطوف بجيش المسلمين، ويتفقد الرايات راية راية، وهو يحث المسلمين ويحرضهم على قتال الفرس، ويقلل من شأن اعدائه وقوتهم، مقابل قوة المسلمين وايمانهم، وكان المسلمون صائمين، كون المعركة في شهر رمضان، فطلب المثنى من جنوده الافطار في ذلك اليوم، ليستطيعوا القتال بكل نشاط وقوة، فأفطروا جميعاً.

٢ ــ من جانب الفرس.

قام جيش الفرس بالعبور من خلال جسر على النهر الى النخيلة، وهي مكان تواجد المسلمين، وكان يرافق جيش الفرس ثلاثة فيلة مدربة على القتال، وعندما انهى جيش الفرس عبوره قام مهران بتنظيمه وتجهيزه للقتال.

سير المعركة.

اصطف الجيشان للقتال، واخذ المثنى بن حارثة يحث جنوده على القتال ويرغبهم فيه، ويهون من قوة الفرس وقدرتهم على الصبر، ولم يبق الا البدء في القتال، فقال المثنى لاصحابه «اني مكبر ثلاثاً فتهيأوا، ثم احملوا في الرابعة، فكبر المثنى التكبيرة الاولى، وهنا قام الفرس على الفور ببدء الهجوم على المسلمين، ودار قتال شديد بين الطرفين، والمثنى بن حارثة، يراقب صفوف المسلمين، فكلما رأي اي خلل في اي منها، يرسل لمن فيه لكي يتلاشوا ذلك الخلل.

واستمر القتال على اشده، ولم يستطع الفرس اختراق صفوف المسلمين وضعضعتها، واراد المثنى ان يحدث خللاً في صفوف الفرس، فطلب من انس بن هلال النمري، وابن مردي الفهري ان يحملا معه على قلب جيش الفرس، حيث يوجد قائدهم، اذ ان اي خلل يحدث في قلب جيش الفرس سيساعد في زعزعة صفوفهم، وعدم السيطرة على تنظيم جنودهم، وقام المثنى وبمساعدة من قلب جيشه بهجوم شديد على قلب جيش الفرس، واستطاع ان يزيل مهران من قلب جيشه الى ان ادخله في ميمنته، واستمر المثنى في ضغطه على عدوه، وعندما رأت مجنبتا جيش المسلمين ما فعله المثنى في قلب جيش الفرس، زاد حماسهم، وزادوا من ضغطهم على مجنبتي جيش الفرس.

وبدأت الامور تسير في صالح المسلمين، بعد تفريق جيش الفرس، حيث انقسم جيشهم الى قسمين، وبذلك انفصلت الميمنة عن الميسرة، وانقطع التنسيق بينهما، فبدأت كلتاهما تهتز، واستغل المسلمون هذا الوضع، وزادوا من ضغطهم على الفرس، لدرجة ان حجب الغبار الرؤية من شدة القتال، فوقف المثنى ومن معه حتى انقشع الغبار، وعندما رأه المسلمون وقد فعل ما فعل في الاجناب الداخلية لمجنبتي الفرس، ايقنوا ان هزيمة الفرس قد اقتربت، فزادت معنويات المسلمين، وزاد ضغطهم على الفرس، وهنا بدأ الفرس ينهزمون امام هجمات المسلمين من خلال الجسر الموجود على النهر، وعندما رأى المثنى ذلك سابقهم الى الجسر، وقام بقطعه ليمنعهم من الفرار، وليستطيع القضاء على كل جيشهم، وعندما رأى الفرس ذلك، بدأوا بالفرار على جانب النهر يسرةً ويمنةً يبحثون عن مهرب.

وطلب المثنى من جنوده مطاردة الفرس، وقاموا بذلك حتى حلول الظلام، ومن الغد حتى الليل، واستطاعوا ان يبيدوا معظم جيش الفرس، وحولوا جانب النهر الى اكوام من الجثث.

استشهد في هذه المعركة عدد من المسلمين وبعض قادتهم من بينهم مسعود أخو المثنى بن حارثه بالاضافة الى اعداد من الجرحى توفي اغلبهم بعد المعركة، وقتل من الفرس قائدهم مهران بالاضافة الى عدة الاف من الجنود، قتل اكثرهم في عملية المطاردة.

وبعد ان استراح الجند من تعب المعركة، تم تقسيم الغنائم عليهم، وقام المثنى بأرسال السرايا للمناطق القريبة من هناك لمقاتلة الاعداء، وفرض النظام، وعقد العقود مع اهل الذمه، وبعد ذلك غادر المثنى بجيشه المنطقة الى الحيرة، حيث تمركز هناك.

معركة القادسية

تاريخ المعركة : شهر محرم من السنة السادسة عشرة للهجرة (١) (٦٣٧ ميلادية).
مكانها : القادسية، على نهر العتيق في ارض العراق.
اهدافها : اتجهت انظار الخليفة ابي بكر الصديق ـــ رضي الله عنه ـــ صوب بلاد الشام والعراق، وسار على نهجه الخليفة عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ فقام بارسال الحملات العسكرية تباعاً ،ودارت معارك كثيرة بين المسلمين واعدائهم، استطاع المسلمون من خلالها، كسب الموقف في بلاد الشام، الا ان العراق ذلك البلد الذي كان يخضع للامبراطورية الفارسية لم يستطيعوا فيه فرض السيطرة التامة على الفرس.

حقق المسلمون انتصارات كثيرة وموجعة على الفرس، الذين كانوا يرسلون الجيش تلو الجيش لمحاربة المسلمين في العراق، ونتيجة لصغر جيش المسلمين هناك، فلم يستطع فرض ارادته التامة هناك، فقام الخليفة عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ بأعداد جيش اسلامي كبير يتجه الى العراق لاخضاعه تماماً للمسلمين، ومنه يتم الانطلاق الى عاصمة الفرس المدائن لاحتلالها، وانهاء الامبراطورية الفارسية.

وخطط الخليفة عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ لضرب كل قوات الفرس وتدميرها، والاسباب التي دفعت لذلك هي :

١ ـــ استطاع الفرس الانتصار على المسلمين في معركة الجسر، والتي كانت بمثابة ضربة كبيرة لهم، واستطاع المسلمون ان يحققوا انتصاراً كبيراً بعدها على الفرس، في معركة البويب، ثم اخذ الجانبان بالاستعداد لمعركة فاصلة، اراد المسلمون منها التخلص من امكانية اعادة تجربة معركة الجسر، واراد الفرس منها رد الخطر الذي بات يمثله المسلمون على دولتهم.

٢ ـــ ارسل المثنى بن حارثة الشيباني قائد جيش المسلمين في العراق، الى الخليفة عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ بأن الفرس يعدون العدة لضرب جيشه هناك، ولأن تعداد جيش المسلمين لا يتعدى ثمانية الاف مقاتل، فأن جيشه لا يستطيع ان يحارب الفرس بدون ان يصل اليه مدد من الخليفة.

---

(١) تذكر بعض الروايات ان المعركة حدثت في شهر محرم من السنة الرابعة عشرة للهجرة، وتذكر روايات اخرى انها حدثت في السنة الخامسة عشرة للهجرة.

٣ ــ والذي زاد من خوف المثنى ان الفرس الذين كانوا مختلفين على القيادة، اجمعوا على رجل من آل كسرى واسمه يزدجرد، وهذا الرجل استطاع توحيد اركان دولته، وهو مصمم على اعداد جيش فارسي ضخم، يحارب المسلمين به، وتوضع له كل امكانيات الامبراطورية الفارسية.

٤ ــ استطاع هذا القائد جعل اهل السواد في العراق يثورون على المسلمين، وينقضون كل المعاهدات التي عقدوها معهم.

الوضع العام في الامبراطورية الفارسية.

كان الفرس منقسمين فيما بينهم على قيادة الامبراطورية الفارسية، حيث كان يديرها كل من رستم والفيرزان، ولم يتحقق في عهدهما، اي توافق بين الفرس المنقسمين تحت قيادتهما، وما ان هزم المسلمون الفرس في معركة البويب، حتى ثار عظماء الفرس، على هذين القائدين مطالبين اياهما، بتوكيل مهمة القيادة الى رجل يستطيع ان يجمع الفرس، ويوحد كلمتهم حتى يستطيعوا بعد ذلك محاربة المسلمين.

وكان المتبع قبل ذلك ان تورث القيادة الى رجل من آل كسرى، ولكن سبق وان قام شيرين، احد قادة الامبراطورية الفارسية، بقتل جميع الذكور من آل كسرى، حتى لا يطالبه احد منهم بالملك، وبعد وفاة شيرين، بدأت الفوضى تعم الفرس، لاختلافهم على القيادة، وذلك لعدم وجود وريث للملك، يستلم القيادة، وانتهى الامر الى امرأة اسمها بوران، فاصبحت ملكة الفرس، والتي وكلت ادارة شؤون البلاد الى كل من الفيرزان ورستم.

ونقل كل من رستم والفيرزان الى الملكة مطالب عظماء الفرس، وتهديدهم بالثورة ان لم يضعا حداً للاختلافات على القيادة، فأمرت بوران بالبحث عن رجل ــ من آل كسرى لعل امة قد خبأته عن شيرين، واحضر الفرس جميع نساء آل كسرى، وبعد التحقيق معهن واخضاعهن للضرب، استطاعوا العثور على رجل من ال كسرى اسمه يزدجرد، وهو ابن لشهريار بن كسرى، ويبلغ من العمر (٢١) سنة، كانت امه قد اخفته عن شيرين، وارسلته الى اخواله الذين قاموا برعايته منذ طفولته.

احضر الفرس يزدجرد، وقاموا بتتويجه ملكاً على الامبراطورية الفارسية، واخذ عظماء الفرس يتسابقون لطاعته.

اراد هذا الملك توطيد اركان الامبراطورية، لتعود موحدة قوية، فارسل الى الاقاليم والرساتيق، يأمرهم بطاعته، والتحضير لمحاربة المسلمين، ونجح في فرض سيطرته على الدولة وتوحيدها. وفي جعل اهل السواد يثورون على المسلمين، بالرغم من المعاهدات المبرمة معهم، وتراسل امراء الفرس فيما بينهم، للعمل على اعداد جيش فارسي، يحاربون به المسلمين.

اعداد الجيوش.

١ ــ جيش المسلمين :

ما ان ثار اهل السواد على المثنى بن حارثة قائد جيش المسلمين في العراق، حتى امر جنوده بان يتراجعوا الى (ذي قار) بعيداً عن خطر الفرس، وقام على الفور بالكتابة الى الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ يبلغه باجتماع اهل فارس على قيادة يزدجرد، وثورة اهل السواد، وتصميم الفرس في هذه المره على محاربة المسلمين بكل ما اوتوا من قوة.

استلم الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ هذه الاخبار المزعجة، فقال «والله لاضربن ملوك العجم بملوك العرب» وارسل الى المثنى (يامره بالخروج من ارض العجم، والتفرق في المياه التي تلي العجم، وان لا يدعوا في ربيعة ومضر وحلفائهم احداً من اهل النجدات والامراء، الا احضروه، اما طوعاً او كرهاً) (١) كما وارسل الخليفة الى جميع عماله في الجزيرة العربية، يأمرهم ان يرسلوا له كل رجل له سلاح او فرس او نجده او راى، وطلب منهم الاسراع في ذلك.

وانطلق الخليفة الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج، وانضمت اليه الحشود من القبائل العربية القريبة من مكة، فيما اخذت حشود اخرى تصل الى المدينة المنورة، لتتجمع هناك للانطلاق الى العراق حال عودة الخليفة من مكة، كما انطلق فوراً الى ذي قار الجنود الذين كانت المسافة بينهم وبين ذي قار اقرب من المسافة بينهم وبين المدينة المنورة.

وعاد الخليفة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة، واستخلف عليها علي بن ابي طالب، وخرج بالناس الى مكان قريب من المدينة يدعى (ضرار) وعسكر بالناس هناك، وهم لا يعلمون أيسير فيهم الى العراق، ام يوكل قيادة الجيش الى غيره.

وجمع الخليفة الناس، واستشارهم في الامر، واقترح عامة الناس عليه ان يقود الجيش بنفسه، وقالوا له سر وسر بنا معك، فوافقهم وقال «استعدوا واعدوا فاني سائر الا ان يجيء رأي هو امثل من ذلك».

وجمع الخليفة اهل الراي، وعرض عليهم الامر، ولم يوافقه بعضهم على ذلك، وانما طلبوا منه ان يوكل قيادة الجيش الى رجل من صحابة رسول الله ــ ﷺ ــ فان هُزم ارسل غيره، اما اذا هُزم الخليفة، فان في ذلك خطراً على الدولة الاسلامية كلها، وفي ذلك قال عبدالرحمن بن عوف للخليفة: (اجعل عجزها بي، واقم، وابعث جنداً، فقد رايت قضاء الله لك في جنودك قبل وبعد، فانه ان يهزم جيشك ليس كهزيمتك، وانك ان تقتل او تهزم في انف امر خشيت

---

(١) الكامل في التاريخ، الجزء ٢ صفحة ٤٤٨.

الا يكبر المسلمون، ولا يشهدوا ان لا اله الا الله ابداً)(١) (فجمع عمر الناس، وقال لهم كنت عزمت على المسير حتى صرفني ذوو الرأي منكم، وقد رأيت ان اقيم، وابعث رجلاً فاشيروا علي برجل) (٢) واخذ الناس يشيرون على الخليفة، وكلما ذكروا له رجلاً لا يوافقهم عليه، وفي هذه الاثناء جاء الى الخليفة كتاب من سعد بن ابي وقاص، يخبره فيه انه ارسل له الف فارس، كلهم له نجده وراي، وذلك تنفيذاً لاوامره بارسال الرجال لتوجيههم الى العراق، وكان سعد مقيماً في نجد، حيث سبق وان عينه الخليفة ابو بكر الصديق — رضي الله عنه — عاملاً له لجمع الصدقات من هناك.

وهنا قال عبدالرحمن بن عوف للخليفة ،يا أمير المؤمنين اليك الاسد في براثنه، اليك سعد بن ابي وقاص، ففرح الخليفة بهذا الاقتراح، وارسل على الفور الى سعد، يأمره بالقدوم الى المدينه، وبأسرع وقت ممكن.

وامّر الخليفة، سعد بن ابي وقاص على جيش المسلمين، واوصاه واوصى الجنود، وطلب منه أن يخبره عن كل خطوه يخطوها، وعن كل خبر جديد، ثم أمره بالمسير في جيش المسلمين حتى يصل ذي قار، لينضم الى جنوده هناك، جنود المثنى بن حارثة الشيباني.

انطلق سعد بن ابي وقاص على رأس اربعة الاف مقاتل، ثم مده الخليفة اثناء مسير الجيش بأربعة الاف مقاتل اخرين، وصلو الى المدينه من نجد واليمن، وواصل الجيش تقدمه نحو العراق، وقبل وصوله الى جيش المثنى، علم سعد بن ابي وقاص، أن المثنى قد فارق الحياة، من اثار الجروح التي اصابته في معركة الجسر، وعندما وصل الى هناك، وجد بشر بن الخصاصيه على جيش المسلمين في العراق،امّره عليه المثنى قبل وفاته، فقام بضم الجيشين الى بعضهما، واصبح تعداد جيشه حوالي ثلاثين الف رجل، سار بهم حتى وصل القادسية، وهناك اخذ ينظم جيشه، وينتظر اوامر الخليفه رضي الله عنه.

٢ — جيش الفرس:

ما ان امسك ملك الفرس الجديد يزدجرد بزمام الامور، حتى وصله وفد من اهل السواد، يخبرونه بتحشد المسلمين في القادسية، ويطلبون منه الاسراع في مساعدتهم، قبل ان يتمكن المسلمون من الاغارة عليهم والظفر بهم.

ارسل يزدجرد الى رستم فدخل عليه فقال له يزدجرد . (اني اريد ان اوجهك في هذه الوجهة (الى المسلمين) فانت رجل فارس اليوم، وقد ترى ما حل بالفرس مما لم يأتهم مثله، فأظهر رستم له الاجابة ثم قال له: دعنى فان العرب لا تزال تهاب العجم، ما لم تضربهم

---

(١) الكامل في التاريخ، الجزء ٢ صفحة ٣٨٢.

(٢) الكامل في التاريخ، الجزء ٢ صفحة ٤٥١.

بي، ولعل الدولة ان تثبت بي اذا لم احضر الحرب، فيكون الله قد كفى، ونكون قد اصبنا المكيدة، والراي في الحرب انفع من بعض الظفر، والاناة خير من العجلة، وقتال جيش بعد جيش امثل من هزيمة بمرة واشد على عدونا فأبى عليه)(١) واعاد رستم على يزدجرد ما قاله له عدة مرات لعله يعفيه من قيادة الجيش، الا ان الملك شدد على ان يكون رستم قائداً للجيش.

وبعد ان تأكد لرستم انه لا مفر من هذه المهمة، قام باعداد جيش كبير، وخرج به من المدائن، حتى وصل الى مكان يقال له (ساباط) ومكث فيه لمدة شهرين، وارسل من هناك الى الملك كمحاولة اخيرة لعله يعفيه من هذه المهمة، الا ان ذلك لم يتحقق له، فتحرك من ساباط على رأس جيش تعداده مائة وعشرون الفاً، وبرفقته ثلاثة وثلاثون فيلاً، مدربة على القتال، سار في مقدمته احد قواده واسمه الجالينوس في اربعين الفاً، وخرج هو في ستين الفاً وفي ساقته عشرون الفاً، وجعل على ميمنته «الهرمزان» وعلى ميسرته «مهران بن بهرام» ووصل الى (بكوثي)، ثم تحرك حتى وصل الى (البرس)، ثم الحيرة، ثم (النجف)، ثم عسكر على الجهة الشرقية لنهر العتيق، مقابل الجهة الغربية للنهر، حيث معسكر المسلمين هناك، واستمر مسير الجيش الفارسي من العاصمة المدائن، الى ان وصل مكان معسكره، مدة اربعة شهور.

الموقف قبل المعركة:

ما ان علم سعد بن ابي وقاص بتحرك الفرس من المدائن، حتى قام بالكتابة الى الخليفة يبلغه بذلك، فرد عليه الخليفة بالكتاب التالي: (لا يكربنك ما يأتيك عنهم، ولا ما يأتونك به، واستعن بالله وتوكل عليه، وابعث اليه رجالاً من اهل النظر والرأي والجلد يدعونه، فان الله جاعل دعاءهم توهينا لهم، وفلجاً عليهم، واكتب الي في كل يوم)(٢)، كما طلب الخليفة من سعد بن ابي وقاص وصفاً دقيقاً للقادسية، فارسل سعد بن ابي وقاص اليه الكتاب التالي: (ان القادسية بين الخندق والعتيق، وانما عن يسار القادسية بحر اخضر في جوف لاح الى الحيرة، بين طرفين، فاما احدهما فعلى الظهر، واما الاخرة فعلى شاطىء نهر يسمى الحضوض، يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة، وانما عن يمين القادسية فيض من فيوض مياههم)(٣). وبعد ذلك ارسل الخليفة الى سعد ان يبقى فيها.

وبناء على اوامر الخليفة، قام سعد بانتخاب مجموعة من الرجال من اهل الرأي والجلد، وقام بارسالهم الى يزدجرد، لعله يقتنع بالكف عن الحرب، ويرضى بالدخول في الاسلام، او يدفع الجزية، وبالفعل وصل الوفد الى المدائن وهناك قابل الملك، وبعد نقاش مطول معه لم

---

(١) الكامل في التاريخ، الجزء ٢ صفحة ٤٥٥.

(٢) البداية والنهاية، الجزء ٧، صفحة ٣٨.

(٣) معجم البلدان، الجزء ٤ صفحة ٢٩٢.

يوافق على طلبهم، وانما توعدهم بان يكون مصير الجيش الاسلامي الهلاك، فعاد الوفد الى سعد بن ابي وقاص، واخبره بما حدث معه عند الملك.

نظم سعد بن ابي وقاص الجيش، ووضع القادة والامراء، ووصلت الدقة في التخطيط للمعركة، ان وضع سعد بن ابي وقاص، وبناءً على اوامر الخليفة، ارتباطاً دقيقاً بين الجنود، حيث يعرف كل جندي قائده المباشر، فقام بتقسيم جيشه الى حضائر، تتكون كل حضيرة من عشرة جنود، ويكون مسئولاً عنها عزيف، وضم كل عشرة حضائر في سرية، ويكون عليها قائد سرية، وضم كل عدة سرايا في كتيبة، ويكون مسئولاً عنها امير، وتتبع له كل السرايا في كتيبة، ثم نظم الجيش، فجعله مقدمة وميمنة وميسرة وقلباً وساقة ومشاة وفرسانا، ثم جعل لكل منها قائداً وعلى النحو التالي:

١ ــ خالد بن عرفطة: نائباً لسعد بن ابي وقاص، ويقوم بمهامه ان استشهد.
٢ ــ زهرة بن عبدالله: اميراً على المقدمة.
٣ ــ سواد بن مالك التميمي: اميراً على الطلائع.
٤ ــ عبدالله بن المعتم: اميراً على الميمنة.
٥ ــ شرحبيل بن السمط الكندي: اميراً على الميسرة.
٦ ــ عاصم بن عمرو التميمي: اميراً على الساقة.
٧ ــ حمال بن مالك الاسدي: اميراً على المشاة.
٨ ــ عبدالله بن ابي السهمين: اميراً على الفرسان.
٩ ــ سلمان الفارسي: لشؤون الدعاية والريادة.
١٠ ــ عبدالله بن ربيعة الباهلي: قاضياً للجيش.
١١ ــ حاجب بن زيد: للاسعاف ودفن الشهداء.
١٢ ــ هلال الهجري: للترجمة.
١٣ ــ زياد بن ابي سفيان: للكتابة.

وهؤلاء القادة كان سعد قد وضعهم قبل وصوله القادسية، وعندما وصل هناك، تحرك كل امير الى مكانه، ثم اخذوا ينظمون الجنود، ويجهزونهم للقتال.

وفي اليوم التالي لوصول رستم الى الجهة الشرقية لنهر العتيق، قام هو ومساعدوه بجولة في ارجاء معسكره، للاطلاع عن كثب على الموقف ومر بمحاذاة النهر وهو ينظر الى قوات المسلمين، وعندما وصل الى الجسر، الذي يربط بين جانبي النهر، طلب لقاء المسئول عن الدفاع عن الجسر، فارسل زهرة بن الحوية، الى سعد بن ابي وقاص يستشيره بذلك، فوافقه سعد على ذلك، وتقابل زهرة مع رستم على رأس الجسر، ودار بينهم حديث مطول كان رستم يريد

من خلاله اقناع زهرة بان يعود المسلمون الى الجزيرة العربية، مقابل اعطائهم الهدايا والهبات، ولكن زهرة اكد لرستم ان الهدف من محاربة المسلمين لاعدائهم ليس هو مطمع دنيوي، وانما لنشر الاسلام، وكسب رضى الله للفوز في الدار الاخرة.

وفي اليوم التالي ارسل رستم الى سعد ان يرسل له جماعة من المسلمين، ليتحادث معهم لعلهم يصلون الى اتفاق يمنع نشوب الحرب بين الطرفين، فارسل له سعد بن ابي وقاص رجلاً واحداً هو ربعي بن عامر، وعندما وصل ربعي الى هناك، رفض ان ينزل عن حصانه، واصر على ان يمر من فوق البسط التي فرشوها له، وهو فوق حصانه، كما واصر على الدخول الى رستم وبكامل سلاحه، وتحقق له ذلك، وتحادث مع رستم، ووضح له ان المسلمين يخيرونه بين ثلاث، اما الاسلام، واما الجزية، واما القتال، وطلب رستم منه ان يمهله المسلمون في الرد، الا ان ربعي اكد له ان المسلمين يمهلون عادة اعداءهم ثلاثة ايام فقط، ويحاربونهم في اليوم الرابع، ان لم يبدأ عدوهم الحرب.

واستمرت المفاوضات بين الطرفين في اليوم الثاني والثالث، بعدها ايقن رستم انه لا فرار من الحرب، وحيث انه لم يكن هدف رستم اصلاً هو الوصول الى حل، بل كان هدفه هو المراوغة، لعله يجد له طريقة يتجنب من خلالها محاربة المسلمين او جرهم الى حرب يختار هو مكانها وزمانها المناسبين له، وهو اصلاً قاد الجيش مرغماً من الملك، ولم يكن راغباً بذلك، ومع كل هذا، فانه تأكد لرستم انه سيدخل الحرب مع المسلمين في اليوم التالي، والحرب هي التي ستحكم من هو الاقوى والاثبت على القتال.

وكان هدف سعد من الموافقة على المفاوضات هو: كسب الوقت حتى يصل له المدد من بلاد الشام، حيث وعده الخليفة بان يرسل له مدداً من الجيش الاسلامي المتواجد هناك، والذي يتمتع بالخبرة والكفاءة العالية في محاربة الاعداء، خاصة بعد انتصار المسلمين على الروم في معركة اليرموك، كذلك كان يهدف سعد بن ابي وقاص من المفاوضات الى بث الروح المعنوية في جنود المسلمين، والاظهار لهم ان الفرس لم يلجأوا الى المفاوضات الا من خوفهم منهم، وتحاشيهم دخول الحرب معهم، كذلك اعطت المفاوضات لسعد بن ابي وقاص الوقت الكافي لتدارس الوضع على الواقع ووضع الخطط المناسبة، والتي تقتضيها ارض المعركة.

العبور والتهيؤ للقتال:

ما ان عاد الوفد الاخير من المفاوضات، حتى ايقن الطرفان ان المعركة ستدور بينهما، فارسل رستم الى سعد بن ابي وقاص يقول له: اتعبرون الينا ام نعبر اليكم، فرد عليه سعد بل اعبروا الينا، واراد الفرس العبور من خلال الجسر، الا ان سعد منعهم من ذلك، وطلب منهم ان يجدوا لهم معبراً اخراً غير الجسر، وقال «ولا كرامة! اما شيء غلبناكم عليه فلن نرده عليكم».

وامضى الفرس ليلتهم وهم يضعون التراب والحجارة والقصب والبراذع في نهر العتيق، حتى استطاعوا في الصباح ان يجعلوا لهم طريقاً يعبرون من خلاله، وما ان جاء الظهر حتى اكمل الفرس عبورهم.

نظم رستم جيشه وجعله قلباً وجناحين، وجعل المشاة في الامام والفرسان خلفهم، ووزع الفيلة في الجيش، وامتدت صفوف الفرس على طول نهر العتيق، فبلغت القنطرة شمالاً والمستنقعات جنوباً وعاد رستم الى القلب، حيث مقر قيادته، فجلس على سرير مرتفع، واخذ من هناك يراقب الموقف.

وما ان بدأ الفرس عبورهم، حتى ارسل سعد لجنوده ان يستعدوا ويتجهزوا للقتال وامتدت صفوف المسلمين على طول النهر موازية لصفوف الفرس، وجعل سعد بن ابي وقاص الفرسان في الامام والمشاة خلفهم، عكس ما فعل الفرس، وجعل المسلمون ظهورهم الى خندق سابور، حتى يمنعوا عدوهم من اية محاولة للالتفاف عليهم من الخلف.

كذلك امر سعد بن ابي وقاص جنوده ان يقرأوا سورة الجهاد، وهي الانفال وطلب منهم الالتزام بمواقعهم حتى يصلوا الظهر، عند ذلك قال لهم اني مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا، ثم اذا سمعتهم الثانية فكبروا واتموا الاستعداد، ثم اذا كبرت الثالثة فكبروا وتنشطوا وتهيئوا، فاذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوكم، وقولوا لا حول ولا قوة الا بالله.

كان سعد بن ابي وقاص يقود جيشه من فوق قلعة قديمة في القادسية، وتسمى القصر، وتطل على ارض المعركة، والذي جعله يفعل ذلك هو اصابته بدمامل وعرق النساء، فلم يستطع ركوب الخيل، او التجول بين جنوده، وانما كان يصدر اوامره من فوق القصر، واذا اراد ابلاغ الناس بشيء يرسل لهم بذلك من خلال نائبه او احد قواده.

سير المعركة:

دار القتال بين الفرس والمسلمين لمدة اربعة ايام متتالية، كان القتال يستمر فيها الى ساعات متأخرة من الليل، بل ان القتال في اليوم الرابع لم ينقطع منذ اليوم الذي سبقه، حيث استمر القتال طوال الليل الى ظهر اليوم التالي، حين انتهت المعركة بالهزيمة التامة للفرس.

ونظراً لاهمية المعركة في التاريخ، ولضخامة احداث القتال فيها، فأني سأقوم بشرح سير القتال يوماً بيوم.

١ ــ اليوم الاول، وهو يوم ارماث:

اكمل الطرفان استعدادهما للمعركة في ظهر ذلك اليوم، وما ان اكمل المسلمون قراءة سورة الجهاد، حتى بدأت المبارزة بين الطرفين، والتي استطاع فيها المبارزون المسلمون قتل مبارزيهم من اعدائهم الفرس، ولم تعجب هذه المبارزة رستم، والتي كان لها اثر سلبي واضح في صفوف جنوده، في الوقت الذي زادت فيه من معنويات جنود المسلمين.

امر رستم بشن هجوم عنيف على ميسرة المسلمين، وكان جل الهجوم مركز على قبيلة بجيلة، ودعم هجومه بالفيلة، والتي لم تألفها خيول المسلمين من قبل، مما جعلها تنفر منها، وبالتالي انشغل الفرسان باعادة هذه الخيول الى القتال، واستغل الفرس هذا الوضع، فقام من يركب الفيلة بضرب المسلمين بالسهام وبكل حرية، وتراجعت قبيلة بجيلة امام كثافة هجوم الفرس، وانشغال الفرسان بخيولهم.

طلب سعد بن ابي وقاص زعيم قبيلة اسد، وزعيم قبيلة كندة، واللتان تقعان على ميمنة وميسرة قبيلة بجيلة، وامرهما بان تشترك قبيلتاهما بالقتال، واستطاعت هاتان القبيلتان ايقاف تقدم الفرس، بالرغم من ادخال الفرس الفيلة لمحاربة هاتين القبيلتين.

امر سعد بتكوين مجموعتين من قبيلة تميم لاخراج الفيلة من المعركة، تقوم المجموعة الاولى بمشاغلة راكبي الفيلة، بينما تلتف المجموعة الثانية على الفيلة من الخلف، ويقوم افرادها بقطع الاحزمة الملتفة على بطونها، والممسكة بالصناديق التي يوجد بها رماة الفرس، على ظهور هذه الفيلة، وبالفعل تمكنت المجموعتان من انجاح المهمة، حيث شاغلت المجموعة الاولى رماة الفرس، بينما قامت المجموعة الثانية بقطع الاحزمة، وسقطت الصناديق من فوق الفيلة بمن فيها من الجنود، والذين انقض عليهم المسلمون، وقتلوهم عن بكرة ابيهم.

لم تعد الفيلة ذات تأثير على المسلمين بعد سقوط من يسيرها من الجنود، فقام الفرس باخراجها من ارض المعركة، وعند ذلك كبر سعد بن ابي وقاص التكبيرة الرابعة ايذاناً بالهجوم الشامل.

ودار القتال الشديد بين الطرفين، والذي استمر حتى غروب الشمس، وتمكن المسلمون من خلاله استعادة مواقعهم التي خسروها عند بدء القتال، وعند الظلام، توقف القتال بين الطرفين، دون ان يحقق اي منهما نتائج ذات تاثير في حسم المعركة، وعاد الجنود ليأخذوا قسطاً من الراحة في تلك الليلة، والتي تسمى الهداة، لانها مرت بهدوء، ودون قتال، كانت خسائر اليوم الاولى من القتال بليغة في صفوف المسلمين، و لاسيما قبيلة اسد، والتي فقدت خمسمئة شهيد.

٢ ـــ اليوم الثاني، وهو يوم اغواث.

ما ان بزغت شمس ذلك اليوم، حتى اصطف الجيشان للقتال، وكانت المنطقة الفاصلة بينهما مليئة بالقتلى والجرحى.

قامت فرقة الاسعاف الاسلامية باخلاء القتلى والجرحى الى الخطوط الخلفية، حيث كانت النساء يتولين اسعاف الجرحى، ويساعدهن الصبيان في حفر القبور، و دفن الشهداء، اما على الجانب الاخر، فلم يقم الفرس باخلاء قتلاهم و جرحاهم، بل تركوهم في أرض المعركة، مما كان له اثر سلبي في نفوس الجنود الاحياء.

ساد الترقب كلاً من الطرفين، ولم يقم اي من سعد ورستم باعطاء الاوامر للجنود ببدء القتال، وانما بقي كل منهما يراقب ما سيقوم به الطرف الاخر.

وفي ضحى ذلك اليوم، دبت الفرحة في صفوف المسلمين، وذلك عندما بدأوا يشاهدون. مجموعة من الفرسان تتقدم من المنطقة الشمالية، وهم طلائع القوات الاسلامية القادمة من الشام، والتي امر الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ بارسالها الى العراق من هناك، لمساعدة المسلمين في معركة القادسية، وهذه القوات سبق وان غادرت العراق وتعدادها تسعة الاف مقاتل، بقيادة خالد بن الوليد، في زمن الخليفة ابي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ في السنة (١٣) هجرية(١) لمساعدة المسلمين في حربهم ضد الروم في بلاد الشام، وعندما توفي الخليفة ابو بكر، وتولى الخلافة بعده عمر بن الخطاب، امر بعزل القائد خالد بن الوليد عن قيادة الجيش في بلاد الشام، ووضع ابا عبيدة، عامر بن الجراح قائداً للجيش هناك، وبعد ان انتصر المسلمون على الروم في معركة اليرموك، واصبحت معركة القادسية على الابواب، امر عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ باعادة هذه القوات الى العراق، ولكنها هذه المره، ليست بقيادة خالد بن الوليد، وانما بقيادة هشام بن عتبة بن ابي وقاص، وتعدادها اصبح ستة الاف مقاتل، وطلب الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ الاسراع في مسير هذه القوات، لتصل الى العراق قبل معركة القادسية، وما ان استلم هشام بن عتبة الاوامر بالتحرك الى العراق، حتى سار على الفور، وطلب من القعقاع بن عمرو ان يسير امام الجيش، فتحرك القعقاع على راس كتيبته التي تسمى الخرساء، وتعدادها الف فارس، وذلك لكسب الوقت للمشاركة في المعركة.

وما ان اطل القعقاع على القادسية، حتى عرف ان القتال قد دار بين الطرفين، فقسم فرسانه الى حضائر، كل حضيرة عشرة فرسان، لتتوارد هذه الحضائر، الى ارض المعركة تباعاً، ويفصل بين الحضيرة والاخرى مدى الرؤيا، وكان هدف القعقاع من ذلك هو، بث الروح المعنوية في صفوف المسلمين واشعارهم ان المدد بدأ بالوصول تباعاً، وكان القعقاع يعلم ان هشام بن عتبة سيلحق به بعد يوم او يومين، وان دخول فرسان المسلمين الى ارض المعركة دفعة واحدة، سيجعل المسلمين يتوقعون انه لا يوجد غير هذه القوات.

ووصل القعقاع بن عمرو في الحضيرة الاولى الى القادسية، وبعد ان سلّم على اقاربه من بني تميم، دخل بين الصفين واخذ ينادي باعلى صوته من يبارز؟ فخرج اليه من كان يقود جيش الفرس في معركة الجسر، والتي مني المسلمون بها بخسائر كبيرة، وقتل قائد جيش المسلمين في تلك المعركة، وهو ابو عبيد بن مسعود، وطلب القعقاع من خصمه ان يعرف

---

(١) انظر مسيرة خالد بن الوليد من العراق الى الشام تحت عنوان فتح بلاد الشام.

على نفسه، فاخبره انه بهمن بن جاذويه فقال القعقاع : يا لثارات ابي عبيد واصحاب الجسر، وانقض على بهمن و لم تستمر المبارزة كثيراً، حتى استطاع القعقاع، قتل بهمن بن جاذويه.

ثم خرج للقعقاع قائدان من الفرس للمبارزة، فانضم الى القعقاع رجل اخر من المسلمين هو الحارث بن ظبيان، واستطاع القعقاع والحارث قتل خصميهما، واستمرت المبارزة من ضحى ذلك اليوم، وهو الوقت الذي وصل فيه القعقاع، وكلما وصلت حضيرة من حضائر القععقاع الى القادسية، يخرج القعقاع للمبارزة، حتى استطاع ان يقتل في ذلك اليوم ثلاثين مقاتلاً فارسياً.

وعند الظهر امر سعد بن ابي وقاص جنوده بالهجوم الشامل على الفرس، مستغلاً عدم وجود الفيلة في صفوف الفرس، والتي لم يستطع الفرس اعادة تجهيزها بصناديق جديدة بدل الصناديق التي دمرها المسلمون في اليوم السابق.

وقد كان المسلمون قد قاموا في الليلة السابقة بصناعة براقع واقنعة لها صور واشكال مرعبة، والبسوها للابل، لتقوم بارعاب خيل الفرس، وعندما ادخل المسلمون الابل الى ارض المعركة تشتت خيول الفرس رعباً من منظر الابل، الذي لم تعتد عليه من قبل، وبهذا الاجراء استطاع المسلمون تحييد فرسان الفرس، وعملت ابل المسلمين بفرسان الفرس ما عملته فيلة الفرس بفرسان المسلمين في اليوم السابق.

واستمر القتال بين الطرفين، وعندما اقتربت الشمس من المغيب، واصبحت اشعتها خلف المسلمين، وفي مواجهة الفرس، واصبحت الرؤيا لهم صعبة، عند ذلك امر سعد بن ابي وقاص باستغلال الوضع، وادخال قوات الاحتياط الى ارض المعركة، والتي كان تعدادها خمسة الاف مقاتل، و لم يشترك افرادها بالقتال من قبل، ويتمتعون بكامل نشاطهم وحيويتهم.

ركزت قوات الاحتياط هجومها على قلب جيش الفرس، واستطاع المسلمون ان يزحزحوا الفرس عن مواقعهم، مما جعل رستم يأمر قوات الاحتياط عنده بهجوم معاكس، واستمر القتال على اشده بين الطرفين، و لم يتوقف الا عند منتصف الليل.

وسميت هذه الليلة بليلة السواد، وذلك لشدة القتال فيها، وخسر المسلمون في اليوم والليلة الفين وخمسمئة شهيد، بينما خسر الفرس عشرة الاف مقاتل.

خشي القعقاع ان لا تصل قوات هشام بن عتبة في اليوم التالي، وان يؤثر ذلك على معنويات المسلمين، فقام في تلك الليلة بتسريب فرسان كتيبته من ارض المعركة، وعادوا الى مكان تقدمهم حين قدومهم من الشام.

اليوم الثالث وهو يوم عماس.

حد ث ما توقعه القعقاع، فلم تصل قوات هشام بن عتبة، فقام فرسان كتيبته بالتوافد الى ارض المعركة، وبنفس طريقتهم في اليوم السابق، حيث يصلون تباعاً في حضائر، كل حضيرة

عشرة فرسان، ومن حسن الحظ ان تصل قوات هشام مشارف القادسية قبل تحرك الحضيرة الاخيرة، وعندما سأل هشام بن عتبة عن سبب تواجدهم في هذا المكان، اخبروه بالامر فاستحسنه، وامر قواته ان تدخل ارض المعركة على شكل سرايا، ويكون بين السرية والسرية التي خلفها مدى الرؤيا، وتضم كل سرية سبعين رجلاً، وتقدم هشام نحو القادسية في السيرة الاولى، وعندما وصل هناك سلم على سعد بن ابي وقاص، وطلب منه سعد ان تقوم قواته بتعزيز ميمنة الجيش، والتي ضعفت نتيجة الخسائر التي لحقت بها في اليومين السابقين.

لا حظ المسلمون وجود الفيلة في هذا اليوم في صفوف الفرس، حيث استطاع الفرس اعادة تجهيزها بصناديق على ظهورها، وبدأ القتال بالمبارزة في ضحى ذلك اليوم، واستمر الى الظهر، عند ذلك امر سعد بن ابي وقاص جنوده بالقيام بهجوم شامل على جيش الفرس.

ادخل الفرس الفيلة معهم في القتال، وفي هذه المرة لم يتر كوها دون حماية كما حدث في اليوم الاول، وانما احاطها الفرس بقوات قوية من المشاة، تقوم بحراستها مما يمنع المسلمين من قطع احزمتها، وبالتالي سقوط من عليها من الجنود، والذي دفع رستم لادخال الفيلة في هذا اليوم هو ما فعلته الفيلة بالمسلمين في اليوم الاول من القتال، وما لقيه الفرس اثناء غيابها في اليوم الثاني.

اخذت الفيلة تبطش بالمسلمين، وقام سعد بن ابي وقاص بأستدعاء بعض الاسرى من الفرس، وعرف منهم انه لا يمكن القضاء على هذه الفيلة الا من خلال اعاقتها بضربها على عيونها وافواهها، واستدعى القائد سعد بن ابي وقاس، القعقاع بن عمرو وأخاه عاصم، وهما من قبيلة تميم، وحمال بن مالك والربيل بن عمرو، وهما من قبيلة اسد، وطلب من هؤلاء الرجال الاربعة العمل على طرد الفيلة من ارض المعركة، واعطاهم الطريقة في ضرب الفيلة، واخبرههم انه لا حظ ان الفيلة تنقاد خلف فيلين، واينما اتجه هذان الفيلان تتبعهما باقي الفيلة وهمافيل ابيض والاخر اجرب، وانه ان امكن اخراج هذين الفيلين او اعاقتهما، فان باقي الفيلة ستخرج من ارض المعركة.

انطلق الرجال الاربعة لتنفيذ المهمة، واستطاع القعقاع واخوه عاصم ان يضعا رمحيهما في عيني الفيل الابيض فدلى مشفره، فضربه القعقاع بسيفه، واخذ الفيل يتخبط، وضرب كلاً من حمال والربيل عيون الفيل الاجرب ومشفره، واخذ الفيل يتخبط حتى سقط في نهر العتيق، وتبعته باقي الفيلة، وسقط من عليها من الزجال، وبذلك تم اخراج الفيلة من ارض المعركة، وعاد القتال متكافئاً بين الطرفين وتميز بالعنف والشدة.

و لم يتوقف القتال عند حلول الظلال، وخشي سعد بن ابي وقاص، ان يقوم الفرس بهجوم ليلي من خلال المخاضة الموجودة في اسفل النهر، ويقوموا من خلالها بعملية التفاف على جيش

المسلمين، فقام بارسال مجموعتين من الجند الى المخاضة، الاولى بقيادة طليحة الاسدي، والاخرى بقيادة عمرو بن معد يكرب الزبيدي، وعندما وصلت هاتان المجموعتان الى هناك، لم تجدا احداً من الفرس، فقامتا بعبور المخاضة، والوصول الى الخطوط الخلفية للفرس، واخذ المسلمون يكبرون من هناك، مما اثار الرعب في صفوف الفرس، وتوقع رستم ان المسلمين سيقومون بعملية التفاف، فقام بارسال قوات فارسية الى المسلمين في الخلف لمطاردتهم، عند ذلك انسحب افراد المجموعتين الى المخاضة، وعادوا الى صفوف المسلمين، دون ان يستطيع الفرس اللحاق بهم.

وكانت هذه العملية نذير خطر بالنسبة لرستم، الذي توقع ان يقوم المسلمون بمهاجمة قواته بعملية التفاف كبيرة من الخلف، مما جعله يأمر جنوده بالاستمرار في القتال، وقدم نحو المسلمين الصف تلو الصف، حتى وصل مجموع الصفوف التي ارسلها رستم ثلاثة عشر صفاً.

هذا الاجراء من رستم اجبر سعد بن ابي وقاص ان يعطي اوامره للمسلمين بعدم التوقف عن القتال، وعاد القتال بين الطرفين بكل عنف وشراسة، واختلط جنود الطرفين ببعضهما، ولم يعد بالامكان التمييز بينهما، ولم يعد ضوء القمر الخافت كافياً لرؤية العدو من الصديق.

بذل الطرفان في تلك الليلة جهداً كبيراً لم يسبق له مثيل، رغم التعب الشديد الذي اصاب الجند، وصمم كل من الطرفين بذل كل ما اوتي من قوة، بغية حسم الموقف لصالحه، وانقطعت اخبار المعركة عن القائدين سعد ورستم، ولم يعد بأمكانهما السيطرة على الوضع، مما اضطرهما الى توكيل الاوامر الى القادة في الميدان، ليتصرفوا حسب ما يرونه ملائماً، وانتظرا طلوع الفجر ليعرفا الموقف.

ولم يسمع في تلك اللية سوى قعقعة السيوف وصهيل الخيول، وتمتمة وانين الرجال التي تشبه هرير الهررة، مما جعلهم يسمون تلك الليلة بليلة الهرير.

وما ان طلع الفجر حتى لاحت تباشير النصر للمسلمين، فاعطى سعد اوامره بعدم وقف القتال، والصبر على ذلك.

اليوم الرابع وهو يوم القادسية

بدأت قوات الفرس تتراجع في صباح هذا اليوم، وبدأ واضحاً ان بعض الصبر من المسلمين سيمكنهم من احراز النصر، فلذلك امر سعد قوات المسلمين بمواصلة القتال، وان صبرهم ساعة سيريحهم عدة ايام من القتال، ان استراح جند الفرس، واعادوا تنظيم انفسهم.

ولاحظ سعد بن ابي وقاص ان مجنبتي الفرس بدأتا تضعفان، فأمر بتركيز الهجوم على قلب جيش عدوه مستخدماً كل ما عنده من قوات الفرسان السريعة.

ولم يصمد القلب كثيراً امام قوات المسلمين وبدأ يتضعضع، ودبت الفوضى في صفوف

جند الفرس، عندها ايقن رستم ان نهايته قد اقتربت، فخلع ما عليه من لباس الحرب، والقى بنفسه في النهر يريد الهروب، فشاهده جندي مسلم واسمه هلال بن علقمة، فتبعه، وامسك به وقتله، واخذ ينادي (قتلت رستم ورب الكعبة).

استلم الجالينوس القيادة، واول ما فكر به هو العمل على انسحاب قوات الفرس من ارض المعركة، واراد ان يكون الانسحاب بشكل منظم، حتى لا يكون جنده فريسة سهلة للمسلمين، فقام بحماية مؤخرة جيش الفرس هو وبعض فرسانه، واندفع الجنود الى النهر للعبور من فوق الردم الذي وضعوه قبل المعركة، وعبروا من فوقه نحو المسلمين، ونظراً لضخامة الجند وتزاحمهم على الفرار، لم يتحملهم الردم فسقط وسقط معه الجند الفارين في النهر، والذين تعدادهم ثلاثين الفاً، لقي اكثرهم الموت غرقاً.

وعندما وجد الجالينوس نفسه غير قادر على تمكين الفرس من الانسحاب بشكل منظم، ركب حصانه وفر من ارض المعركة، تاركاً جنده يفرون كل حسب الطريقه التي يراها مناسبه.

قام فرسان المسلمين وبقيادة زهرة بن الحوية بمطاردة الجالينوس، ومن فر معه من الفرسان، واستطاعوا اللحاق بالجالينوس وقتله، كما امر سعد بن ابي وقاص قوات المسلمين بمطاردة الفرس وفي جميع الاتجاهات، واستطاع المسلمون قتل واسر اعداد كبيرة منهم، ثم عادوا الى القادسية وقاموا بدفن شهدائهم.

انتهت معركة القادسية بالنصر الحاسم للمسلمين، بعد ان قتل من المسلمين عشرة الاف شهيد، ومن الفرس خمسون الف قتيل منهم ثلاثون الف ماتوا غرقاً في نهر العتييق اثناء انسحابهم.

فتح المدائن

واملنـــا على المدائـــن خيـــلا بحرهـــا مثـــل برهـــن اريضا
فانتشلنـــا خزائـــن المرء كسرى يوم ولوا وحاص منا جـريضا (١)

تاريخ الفتح : شهر صفر من السنة السادسة عشرة للهجرة (٦٣٧ ميلادية)
مكانها : عاصمة الفرس المدائن الواقعة على نهر دجله.
اهدافه :

منذ ان اعد الخليفة عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ جيش المسلمين بقيادة سعد بن ابي وقاص الذي حارب الفرس، وانتصر عليهم في معركة القادسية، والخليفة يتطلع الى دخول المسلمين للمدائن، تلك العاصمة التي ما توانى ملوكها يوماً من ارسال الجيوش نحو المسلمين لمحاربتهم.

كان الفرس يرسلون الجيش تلو الجيش، وكلما استطاع المسلمون القضاء على جيش فارسي، سارع الفرس الى اعداد جيش اخر، وكل ذلك يتم بتخطيط من قيادة الفرس في المدائن.

وحين هزم المسلمون الفرس شر هزيمة في معركة القادسية، اصبح الطريق ممهداً امامهم لاحتلال المدائن، وبالتالي اخضاع الامبراطورية الفارسية، بدون عناء كبير، ودون فقدان الكثير من الارواح في صفوف المسلمين.

كما وان بقاء المدائن عاصمة للفرس، دون اخضاعها للمسلمين، سيمكن الفرس من اعادة تنظيم انفسهم، وبالتالي عودتهم الى ارسال جيوشهم لمحاربة المسلمين.

مسير جيش المسلمين من القادسية الى المدائن.

مكث سعد بن ابي وقاص في القادسية شهرين، بعد ان هزم الفرس هناك، وكان ينتظر اوامر الخليفة لتحديد وجهته، فجاءه امر الخليفة ان يسير بجيش المسلمين من القادسية الى المدائن، وطلب من سعد ان يترك نساء وعيال المسلمين في (العتيق) وتحت حماية قوات اسلامية كبيرة، مع اشراكهم في كل مغنم يحصل المسلمون عليه، ما داموا يحمون نساء وعيال المسلمين.

تحرك الجيش من القادسية وبقيادة سعد بن ابي وقاص، وارسل امامه مقدمه الجيش بقيادة زهره بن الحوية، وعندما وصلت مقدمة جيش المسلمين الى (برسي) اشتبكت هناك مع جمع

---

(١) مما قاله ابو نجيد نافع بن الاسود بعد فتح المدائن.

من الفرس، والذين لم يصمدوا امام المسلمين، فولوا منهزمين الى (بابل) عندها طلب دهقان برسي من زهرة الصلح، فوافقه على ذلك مقابل دفع الجزيه.

علم زهرة بن الحوية ان جموعاً للفرس موجوده في بابل، فارسل الى سعد بن ابي وقاص في ذلك، فحضر سعد الى زهرة على راس قوات اسلامية، وتحرك الى بابل، واشتبك مع جموع الفرس هناك وهزمهم.

تحرك زهرة بن الحوية من بابل على راس مقدمة جيش المسلمين، ووصل الى (ساباط) وصالح اهلها، مقابل دفع الجزية، ثم تحرك من ساباط يريد (بهرسير) التي تقع على مشارف المدائن، وقبل وصوله اليها التقى مع كتيبة من حرس كسرى، وتقودها بوران ابنة كسرى، وفي مكان اسمه (المظلم)، وكان افراد هذه الكتيبة «يحلفون في كل يوم ان لا يزول ملك كسرى ما عشنا» واشتبك زهرة مع هذه الكتيبة وهزمها.

واصل زهره تقدمه نحو بهرسير، وتوقف عند اطرافها، حتى لحقه سعد بن ابي وقاص، وعند ذلك قام سعد بفرض الحصار على المدينة، واخذ يرميها بالمنجنيق، الى ان فر منها اهلها الى المدائن، بعد شهرين من الحصار، عند ذلك دخلها جيش المسلمين.

فتح المدائن

تقع المدائن على نهر دجلة، ويقسمها النهر الى قسمين، احدهما على الضفة الغربية للنهر، ويعرفها العرب باسم المدائن الدنيا، ويسكنها اخلاط من عامة الفرس، وثانيهما على الضفة الشرقية للنهر ويعرفها العرب باسم المدائن العليا، ويطلق عليها الفرس اسم (كتسفون) ويوجد بها القصر الابيض الذي يسمى ايوان كسرى، وهو مقر الحكم، ومسكن كسرى.

تقدم سعد بن ابي وقاص نحو المدائن الدنيا، واستطاع دخولها، واسر اكثر القادة فيها، وذلك عندما اعلمه اهلها عن مكان وجودهم، بسبب الظلم الكبير الذي كان يصيبهم منهم.

وجد المسلمون صعوبات كبيرة في الوصول الى المدائن العليا، وذلك لوجود النهر بينهم وبين اعدائهم، الا ان سعد بن ابي وقاص وبتعاون اهل المدائن الدنيا، استطاع معرفة مخاضة في النهر، تمكن المسلمون من العبور الى الجانب الاخر، حيث يوجد ملك الفرس يزدجرد واتباعه.

وقام المسلمون بعملية العبور الصعبة من خلال المخاضة، وعندما علم الملك يزدجرد بذلك، انسحب من المدينة هو واتباعه نحو (حلوان) الواقعة على الجهة الشمالية الشرقية للمدائن، والتي تبعد حوالي مائة ميل، وترك الفرس ورائهم نفائس المدينة، لعدم تمكنهم من اخذها معهم.

فرض المسلمون الحصار على المدائن العليا، وعندما عرف سعد بن ابي وقاص ان الملك واتباعه قد تركوها، امر اصحابه بدخولها، وتم لهم ذلك بدون مقاومة تذكر.

نزل سعد بن ابي وقاص الى القصر الابيض، وقام بأطفاء النار فيه، والتي كانت مشتعلة لعدة قرون، وترمز الى الامبراطورية الفارسية.

حصل المسلمون على غنائم كثيرة من المدائن، واكثر هذه الغنائم من النفائس الثمينة جداً، وارسل سعد الى الخليفة بالخمس، واخبار فتح المسلمين للمدائن. والذي تم في شهر صفر من السنة السادسة عشرة للهجرة.

علم سعد بن ابي وقاص ان ملك الفرس يزدجرد موجود في حلوان، وان الفرس يتوافدون عليه هناك، ويعتزمون محاربة المسلمين، لاستعادة امبراطوريتهم الى سابق عهدها.

احتلال جلولاء وحلوان وشمال العراق وماسبذان

التاريخ : السنة السادسة عشرة للهجرة (٦٣٧ ميلادية).
اهدافها : بعد ان فتح المسلمون عاصمة الفرس المدائن، اخذ سعد بن ابي وقاص قائد جيش المسلمين في المدائن، يرسل الفرق الاسلامية لاخضاع المناطق المجاورَة لعاصمة الفرس، ويرسل جنود المسلمين الى كل جمع من الفرس يعلم عنه.

١ ــ جلولاء.

بعد ان علم سعد بن ابي وقاص ان ملك الفرس يزدجرد يعد العدة لمحاربة المسلمين، بعد ان اخرجوه من المدائن، وقد اخذ الفرس يتوافدون على الملك في حلوان، ثم تحرك بهم من هناك الى جلولاء ارسل سعد بالخبر الى الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ فجاءه رد الخليفة يأمره فيه بأرسال فرقة من المسلمين، بقيادة هشام بن عتبة بن ابي وقاص، ويسير في مقدمته القعقاع بن عمرو التيمي.

وقام سعد بتنفيذ امر الخليفة، وارسل اثني عشر الف جندي من جيش المسلمين الى جلولاء لمحاربة الفرس هناك، وعندما وصل المسلمون جلولا وجدوا ان الفرس قد تخندقوا بخنادق قاموا بحفرها.

اقام المسلمون الحصار على اعدائهم واستمر ثمانين يوماً، بعدها قام المسلمون باقتحام الخنادق، ولم يصمد الفرس امامهم، فقاموا بالفرار الى (الري) وعلى رأسهم ملكهم يزدجرد.

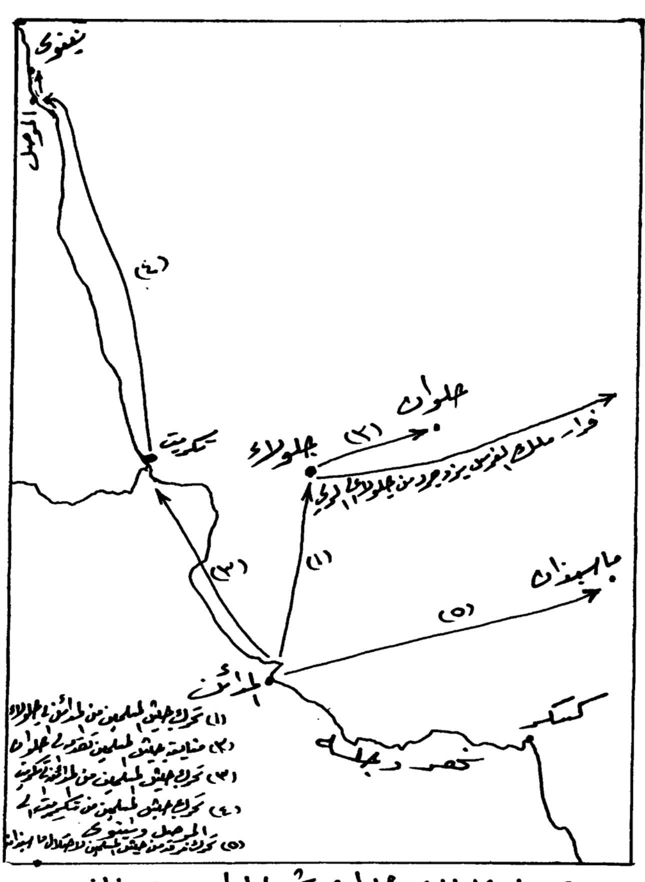
٢ ــ حلوان.

بعد ان فر الفرس من جلولاء، تحرك هشام بن عتبة من هناك، واتجه الى حلوان لاحتلالها، ولعدم وجود الفرس فيها، فقد دخلها المسلمون بدون مقاومة، فغنموا منها غنائم كثيرة، وارسل سعد بن ابي وقاص بخمسها الى الخليفة، وطلب منه ان يأذن له بالتحرك الى خراسان للقضاء على فلول الفرس هناك.

٣ ــ شمال العراق واحتلال تكريت ونينوى والموصل.

جاء رد الخليفة الى سعد بعدم الموافقة على توغل المسلمين وراء الفرس، وذلك لخوفه ان يقع المسلمون في كمائن الاعداء، وطلب منه ان لا يتجاوز المسلمون مدينة حلوان، وان يعودوا الى شمال العراق لاخضاعها لدولة المسلمين.

وتنفيذاً لاوامر الخليفة، قام سعد بن ابي وقاص بأرسال جيش من المسلمين من المدائن الى شمال العراق، بقيادة عبدالله بن المعتم، وعندما وصل جيش المسلمين الى تكريت، تحصن اهلها فيها، مما جعل عبدالله بن المعتم يفرض الحصار عليها، واستمر ذلك اربعين يوماً.



احتلال جلولاء وحلوان وشمال العراق وماسبذان

خارطة رقم (٢٦)

راسل عبدالله بن المعتم العرب النصارى داخل المدينة، واستطاع اقناعهم ان يقفوا مع المسلمين، انطلاقاً من روابط الدم بين العرب المسلمين والعرب النصارى.

وعندما تحقق لعبدالله بن المعتم ذلك، طلب من العرب النصارى ان يسلموا ليتيقن من نيتهم فوافقوه على ذلك، وتم الاتفاق معهم على خطة دخول المدينة، وذلك بأن يكبر المسلمون خارجها ويقوموا بمهاجمتها من الخارج، في الوقت الذي يعمل فيه من اسلموا حديثاً بفتح منافذ المدينة من الداخل.

وكبر المسلمون، وهاجموا المدينة، وفتحت المنافذ، ووقع الفرس ومن يساعدهم من الروم بين سيوف جيش المسلمين، والمسلمين الجدد، و لم ينج من اعدائهم الا القليل الذي استطاعوا الفرار.

وبعد ان اخضع المسلمون المدينة لسيطرتهم، قاموا بمطاردة اعدائهم واحتلوا (نينوى) و (الموصل) دون مقاومة من اهلها، والذين عقد معهم المسبلمون الصلح، بعد اقرارهم دفع الجزية.

٤ ــ قرقيسيا وهيت والفرضة وماسبذان.

ارسل سعد بن ابي وقاص فرقتين اسلاميتين، الأولى بقيادة عمرو بن مالك، والتي اتجهت الى الفرات، واستولت على (قرقيسيا) و (الفرضة) وصالح عمرو بن مالك اهلها مقابل دفع الجزية، والفرقة الثانية بقيادة ضرار بن الخطاب، والتي اتجهت الى (ماسبذان) واستطاع المسلمون احتلالها عنوة، وصالحوا اهلها مقابل دفع الجزية.

عاد سعد بن ابي وقاص من المدائن الى الكوفة في السنة السابعة عشر للهجرة، واخذ يدير امور المسلمين من هناك، وقسمت العراق الى قسمين اداريين، الاول العراق الاعلى وعاصمته الكوفة، وتحت ولاية سعد بن ابي وقاص، والقسم الثاني العراق الادنى، وعاصمته البصرة والتي كانت تسمى الابلة، تحت ولاية عتبة بن غزوان.

٥ ــ قام عتبة بن غزوان بمحاربة اعدائه في المناطق المتاخمة له، والتقى مع قوات فارسية في (الاهواز) يقودها الهرمزان، واستطاع عتبة الانتصار على الهرمزان، بعد ذلك عقد الجانبان اتفاقية صلح بينهما، يدفع الفرس بموجبه الجزية، وتخلى الاهواز للمسلمين لتصبح ملكاً لهم، بالاضافة الى جزء كبير من خراسان.

معركة نهاوند(١)

.....(من عبدالله امير المؤمنين الى النعمان بن مقرن : سلام عليك، فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو، اما بعد، فانه بلغني ان جموعاً من الاعجام كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند، فاذا اتاك كتابي هذا، فسر بأمر الله، وبعون الله وبنصر الله، بمن معك من المسلمين، ولا توطئهم وعراً فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم، ولا تدخلنهم غيضة، فان رجلاً من المسلمين احب الى من مائة الف دينار والسلام عليكم)(٢).

تاريخ المعركة : السنة الحادية والعشرون للهجرة (٦٤١ ميلادية).

مكانها : في مدينة نهاوند من ارض الفرس (انظر الخارطة رقم ٢٧).

اسبابها : بعد ان فتح المسلمون المدائن والاهواز، وما حولهما، وبعد ان انهزم ملك الفرس يزدجرد واستقر به الامر في (المرو)، راسله امراء الفرس يحثوه على العمل لاعداد جيش فارسي يحارب به المسلمين، ويطردهم من بلاد الفرس، ليعيد بناء الامبراطورية الفارسية التي دمرها المسلمون.

ارسل الملك يزدجرد الى الاقاليم التي حوله، يحث الناس فيها للاستعداد لمحاربة المسلمين، والتجمع من اجل ذلك في مدينة (نهاوند)، فاخذ الفرس يتوافدون على المدينة من (حلوان) و (خراسان) واهل (السند) واهل الجبال وغيرها.

وعندما علم المسلمون بتجمع الفرس، ارسل سعد بن ابي وقاص، وهو عامل الخليفة على الكوفة، الى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — ليعلمه ويستشيره فيما يفعله المسلمون اتجاه ذلك.

اعداد الجيوش

١ — جيش الفرس.

اجتمع جيش الفرس في مدينة نهاوند، تحت قيادة رجل فارسي اسمه «الفيرزان»، واخذ الجند يعدون العدة، ويحفرون الخنادق، ويضعون الحواجز، لحماية انفسهم، واعاقة المسلمين.

وصل تعداد جيش الفرس هناك (١٥٠) الف مقاتل، يملاء قلوبهم الغيض بما اصابهم على يد المسلمين، ويعتزمون بذل كل ما لديهم من جهد، لطرد المسلمين من بلادهم، ليعيدوا امبراطوريتهم الى سابق عهدها من العزة والقوة والهيبة.

---

(١) ويسميها المسلمون بفتح الفتوح.

(٢) تاريخ الطبري، الجزء ٢ صفحة ٥١٨، الرسالة التي بعثها امير المؤمنين الى النعمان بن مقرن، يكلفه فيها بقيادة جيش المسلمين، لمحاربة جيش الفرس في نهاوند.

٢ — جيش المسلمين.

كان سعد بن ابي وقاص عاملاً للخليفة عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — على الكوفه بأرض العراق، وعندما جاءه خبر تجمع الفرس في نهاوند، ارسل الى الخليفه يبلغه بذلك، ويطلب منه المشوره فيما سيفعله المسلمون حيال ذلك.

وما ان وصل كتاب سعد بن ابي وقاص الى الخليفة، حتى ارسل الى سعد بن ابي وقاص يخبره، بان يستعد الناس في العراق لملاقاة اعدائهم الفرس.

غادر سعد بن ابي وقاص الكوفة الى المدينة المنورة، وطلب من نائبه في الكوفة ان يتولى الامر، ويجهز الناس لقتال الفرس، وشرح سعد الى الخليفة الموقف فقام الخليفة بجمع الناس في المسجد واستشارهم في الامر، وعرض عليهم ان يقود بنفسه جيش المسلمين ضد الفرس، الا ان اهل الرأي من حوله لم يوافقوه على ذلك، وطلبوا منه ان يبقى في المدينة يسير الامور، وان يوكل المهمه الى غيره من المسلمين، لان الامر ليس بتلك الخطورة التى تستوجب ذهاب الخليفة بنفسه لمقاتلة الفرس، وان اهل العراق لم يستنفروا، وانما يستأذنوا الخليفة في المسير الى نهاوند، كما طلب اهل الرأي من الخليفة ان يرسل الى اهل الكوفة ان يستعدوا، والى اهل البصره كي يمدوهم.

وافق الخليفة على هذا الراي، وطلب منهم ان يشيروا عليه برجل يقود جيش المسلمين، ويكون عراقياً، فقالوا له (يا امير المؤمنين انت اعلم باهل العراق، وجندك قد وفدوا عليك، ورايتهم وكلمتهم، فقال : اما والله لأولين امرهم رجلاً ليكونن لأول الاسنة اذا لقيها غداً، فقيل من يا امير المومنين فقال : النعمان بن مقرن المزني، فقالوا هو لها).(١)

كان النعمان بن مقرن عاملاً لسعد بن ابي وقاص على كسكر، لجمع الصدقات، فارسل الى الخيلفة عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — يطلب منه ان يعفيه من هذه المهمة، ويسمح له بالالتحاق بجنود المسلمين للجهاد في سبيل الله.

ارسل الخليفة الى النعمان بن مقرن كتاباً يأمره فيه بالتحرك صوب نهاوند، ليقود جيش المسلمين هناك، كما وارسل الخيلفة الى حذيفة بن اليمان ليكون نائباً للنعمان.

وتحركت الجيوش الاسلامية من مختلف العراق، وتواعدوا على مكان لقائهم، وساروا حتى وصلوا مشارف نهاوند، واصبح تعدادهم ثلاثين الف مقاتل.

تنظيم الجيشين

---

(١) تاريخ الطبري، الجزء ٢، صفحة ٥٢٤.

١ ـــ جيش الفرس.

نظم الفيرزان قائد جيش الفرس جيشه، ووضع القاده والامراء، وطلب من جنوده الاستعداد لقتال المسلمين.

٢ ـــ جيش المسلمين.

نظم النعمان بن مقرن جيشه، ووضع القادة، فجعل على المقدمة نعيم بن مقرن، وعلى المجنبتين حذيفة بن اليمان، وسويد بن مقرن، وعلى المجردة القعقاع بن عمرو، وعلى الساقه مجاشع بن مسعود.

سير المعركة.

ارسل الفرس الى النعمان بن مقرن يطلبون منه ان يرسل لهم رجلاً ليكلموه، فأرسل لهم المغيرة بن شعبة، وتحادثوا معه بكلام يحتقرون به العرب، ويستهينون بهم، وطلبوا منه ان يعود المسلمون من حيث اتوا، واخذوا يتوعدون بالمسلمين، ويهددون بهلاكهم، وبعد ان اجاب المغيرة على كلامهم، عاد الى النعمان واخبره بالامر.

بقي الفرس في خنادقهم في مدينة نهاوند، وقاموا بطرح حسك الحديد حول المدينة، ودون ان يعلم عنه المسلمون، وارسل النعمان قوة من فرسانه، وامرهم ان يقتربوا من الفرس، ويحصلوا على معلومات عن عدوهم تفيد المسلمين، وتساعدهم في التخطيط للمعركة، وعادت القوة الى النعمان لتخبره ان الفرس نشروا حسك الحديد، الذي يعيق حركة الخيل والجنود عندما يتعلق بهم.

جمع النعمان اهل الراي من حوله، وعرض عليهم الامر، وجاءت احسن الاقتراحات التي تدعوا الى انتقال المسلمين من مكانهم الذي هم فيه، والتراجع الى الخلف، ليعتقد الفرس ان المسلمين قد وهنوا، واخذوا يعودون الى ديارهم، عندها يتبعهم الفرس، فيعود المسلمون لهم ويقاتلوهم، وفعلاً انتقل المسلمون من مكانهم، موهمين الفرس انهم منسحبون، فقام الفرس بتكنيس حسك الحديد، واخذوا يلاحقون المسلمين، فعاد المسلمون اليهم، ودار قتال بين الطرفين على شكل مناوشات، حيث كان الفرس يحاربون المسلمين، ثم يعودون الى خنادقهم، واستمر الوضع على هذه الطريقة لمدة ثلاثة ايام، لم يحقق فيها اي من الطرفين اي نتائج ذات تأثير على نتيجة المعركة.

لم تعجب هذه الطريقة النعمان بن مقرن، والذي خشي ان يطول الامر، على شكل لم يعتاد المسلمون عليه عند لقائهم عدوهم، فقام بجمع اهل الرأي، وعرض عليهم الامر، فاقترح عليه عمرو بن معد يكرب ان تقوم خيل المسلمين بالاقتراب من الفرس، وان ينشبوا القتال معهم، ثم يقومون بالانسحاب الى جيش المسلمين دون التدخل من الجيش، ليظن الفرس ان المسلمين يخشون لقاءهم، ليدور القتال بين الطرفين خارج الخنادق، وبعيداً عن المدينة.

اقر النعمان بن مقرن هذه الخطة، وامر القعقاع بن عمرو ان يقود فرسان المسلمين، وينشب القتال مع الفرس، واستطاع القعقاع الوصول الى خنادق الفرس، ودار قتال بينه وبين الفرس، ثم انسحب الى جيش المسلمين، وعاود الكرة عدة مرات، حتى تمكن من سحب الفرس خلف فرسان المسلمين الى مكان تواجد جيشهم.

اخذ الفرس يرمون المسلمين بالسهام حتى كثرت الجراح فيهم، واخذ المسلمون يحثون النعمان على بدء القتال، الا انه طلب منهم ان لا يقاتلوا اعداءهم، وان يلزموا الارض حتى يأمرهم، وكان النعمان يهدف من ذلك ان يبدء القتال عند زوال الشمس، وذلك تيمناً بالرسول ـ ﷺ ـ حيث كان يبدأ القتال مع اعدائه عند الزوال.

وبقي الفرس يرمون المسلمين بالسهام، والنعمان يطلب من اصحابه التمهل، الى ان جاء الزوال، عند ذلك كبر النعمان تكبيرة فتوضأ المسلمون، ثم كبر التكبيرة الثانية، فحمل الجنود السلاح، واخذوا يستعدون للقتال، واخذ النعمان يحث المسلمين على الجهاد في سبيل الله ويدعو ربه ان يعز المسلمين وينصرهم، ويطلب من ربه الشهادة وان يكون اول الشهداء في هذه المعركة.

مر النعمان بين الصفوف وهو يحثهم على الجهاد، ثم عاد الى مكانه، وكبر التكبيرة الثالثة التي ينتظرها المسلمون ليبدأوا القتال، وكلهم شوق اليه، ولا احد يريد ان يرجع الى اهله حتى يستشهد او يظفر.

قام المسلمون بهجوم كاسح وشامل على الفرس، واستبسلوا في القتال، وكان على راسهم النعمان بن مقرن، وبعد قتال شديد زلق فرس النعمان من كثرة الدماء التي سفحت على الارض، واستشهد تحت اقدام الخيول، فتقدم نحوه اخوه نعيم، واخذ الراية قبل ان تسقط على الارض، وناولها الى حذيفه بن اليمان، والذي تقدم بين الصفوف، واخذ يقاتل الاعداء.

استمر المسلمون في استبسالهم ضد اعدائهم، الى ان جاء المساء، وبدأ الظلام، عندها بدأ الفرس بالانهزام، واخذوا يفرون من ارض المعركة، والمسلمون يتبعونهم ويقاتلونهم، والفرس لا يدرون في اي اتجاه ينهزمون.

وكثر القتل في الفرس اثناء فرارهم، ومما زاد في خسارتهم، انهم اخذوا يسقطون فوق بعضهم في الخنادق وفي الوادي القريب من ارض المعركة، ووصل عدد قتلاهم في ذلك الوادي وفي الخنادق ثمانين الف جندي، لا سيما وان اعداداً كثيرة منهم كانوا مربوطين بعضهم ببعض بالجنازير، حتى لا يفروا من القتال.

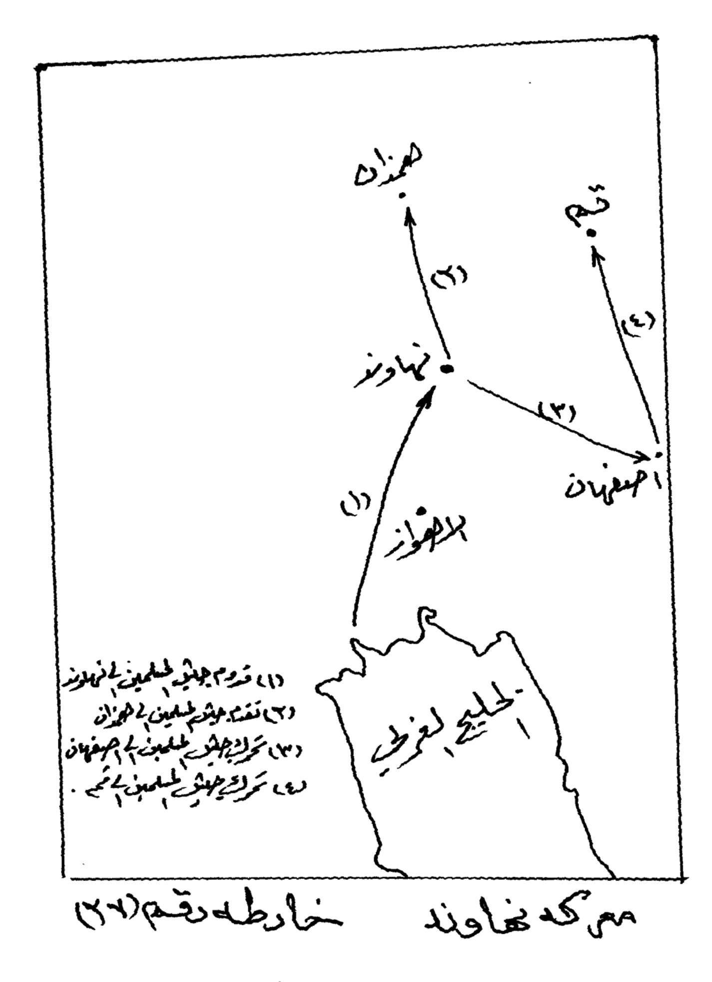
انهزم قائد جيش الفرس الفيرزان، فلحق به فرسان المسلمين، وعلى راسهم القعقاع بن عمرو، واستطاع القعقاع اللحاق به في وادي ضيق قرب ثنية همذان، حيث اعاق فراره، وجود قافلة كبيرة من الحمير والبغال محملة بالعسل، وذاهبه الى ملك الفرس يزدجرد، وصادف

مرورها في الوادي وصول الفيرزان هارباً،فوثب الفيرزان عن حصانه، وهرب الى الجبل راكضا، فلحقه القعقاع، وامسك به وقتله، ثم عاد القعقاع الى القافلة المحملة بالعسل واخذها للمسلمين.

حصل المسلمون على غنائم كثيرة من الفرس، منها كنوز ثمينة كان الفرس قد اخذوها من المدائن التي فروا منها، عندما فتحها المسلمون، كما وقُتل من الفرس اعداد كبيرة تصل الى مائة الف قتلوا بمن فيهم الذين سقطوا في الوادي وفي الخنادق.

لم يجمع الفرس اي جمع ضد المسلمين بعد هذه المعركة، ولذلك اسماها المسلمون بفتح الفتوح، كما وان الخليفة عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — سمح للمسلمين بالتوغل الى اعماق ارض الفرس، بعد ان كسر الله شوكة اعدائهم، واصبح المسلمون في مأمن منهم.

دخل المسلمون مدينة نهاوند، وحصلوا على غنائم كثيرة منها، ولحق القعقاع بن عمرو بفلول المنهزمين من الفرس حتى وصل الى مدينة (همذان) فدخلها فرسان القعقاع بالقوة واحتلوها، وعندما سمع اهل (ماه) بما حصل باهل همذان، بعثوا الى حذيفة بن اليمان قائد جيش المسلمين يطلبون منه الامان، فصالحهم مقابل دفع الجزيه. كما فتح المسلمون مدينة (اصبهان) بعد قتال شديد مع اهلها، وصالحهم المسلمون مقابل دفع الجزيه، كما فتح المسلمون بعد نهاوند مدناً كثيرة منها (قم) و (قاشان) و (كرمان) و (خراسان) و (اذربيجان).



معركة نهاوند خارطة رقم (٢٦)

فتح مصر

(قد رمينا ارطبون الروم بأرطبون العرب، فانظروا عما ستنفرج) (١)

تاريخ الفتح: استمر فتح مصر من نهاية السنة الثامنة عشرة للهجرة الى شهر محرم من السنة العشرين للهجرة.

اهداف الفتح:

كانت الأمبراطورية الرومانية، تسيطر على مناطق واسعة، وكانت بلاد الشام ومصر ضمن المناطق الواقعة تحت حكمها.

استطاع المسلمون السيطرة على بلاد الشام، فطردوا قوات الروم من هناك، وعقدوا المعاهدات مع السكان المحليين، ولم يعودوا يخشون الروم من داخل بلاد الشام، الا ان بقاءهم مسيطرين على مصر سيبقيهم تحت خطر غزوهم من قبل الروم من افريقيا.

ورغبة من المسلمين في ازالة خطر الروم عليهم من جهة، ونشر الاسلام في مصر من جهة اخرى، فقد قاموا بغزو افريقيا، مبتدئين بمصر كونها تحد بلاد الشام من جهة فلسطين.

قبل فتح مصر:

قدم الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ الى بلاد الشام في السنة (١٨) هجرية والتقى هناك بجنود المسلمين، وكان من نصيب عمرو بن العاص ان فتح فلسطين وجعلها تحت سيطرته، فعرض على الخليفة ان يكون له شرف فتح مصر.

تردد الخليفة في الأمر، فقد كان يشفق على المسلمين ان يصيبهم الارهاق من حرب تتلوها حرب، وخشى من التوسع في الفتوحات قبل ان يثبت المسلمون اقدامهم على البلاد المفتوحة، لأن بلاد الشام لازالت حديثة العهد بالاسلام، وان سكانها لازالوا بحاجة الى مزيد من الوقت ليتعايشوا مع الاسلام، كما وان توسع الفتوحات في الوقت الذي يحارب فيه المسلمون على جبهتين كبيرتين هما دولة الفرس شرقاً والروم شمالاً، سيزيد من صعوبة فتح مصر، في الوقت الذي لايتجاوز فيه جيش عمرو بن العاص في فلسطين الاربعة الاف مقاتل.

الا ان عمرو بن العاص لم ييأس من اقناع الخليفة، وبقي يهون الأمر حتى استطاع ان يقنعه بذلك، فعقد له الخليفة اللواء، وسيره نحو مصر على رأس اربعة الارف مقاتل فقط.

---

(١) ما قاله الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ عن عمرو بن العاص اثناء حروب عمرو ابن العاص في مصر، ومقابلته القائد الروماني ارطبون.

وقائع فتح مصر:

بدأ الجيش تحركه من فلسطين على الفور في السنة (١٨) هجرية، ووصل الى (رفح) ثم تحرك من هناك حتى وصل الى (العريش) ودخلها المسلمون دون مقاومة تذكر، لانه لم يكن بالمدينة قوات رومانية كبيرة، ولان حصونها ليست بالمتانة التي تمنع دخول المسلمين اليها.

تحرك عمرو بن العاص من العريش، ووصل الى مدينة (الفرما) على الساحل، وكانت المدينة ذات حصون قوية، ولها منفذ على البحر (انظر الخارطة رقم ٢٨).

فرض عمرو بن العاص الحصار على المدينة، واستطاع دخولها بعد مرور شهر، وذلك في شهر محرم من السنة التاسعة عشرة للهجرة، ثم تحرك من مدينة فرما، ووصل مدينة (بلبيس) (أنظر الخارطة رقم ٢٨) والتي كانت محصنة، ويقودها (ارطبون) الروم والذي سبق وان فر من فلسطين والتجأ اليها قبل فتح بيت المقدس، واستطاع المسلمون دخول المدينة بعد مرور شهر على حصارها، بالرغم من مقاومة ارطبون ومن معه.

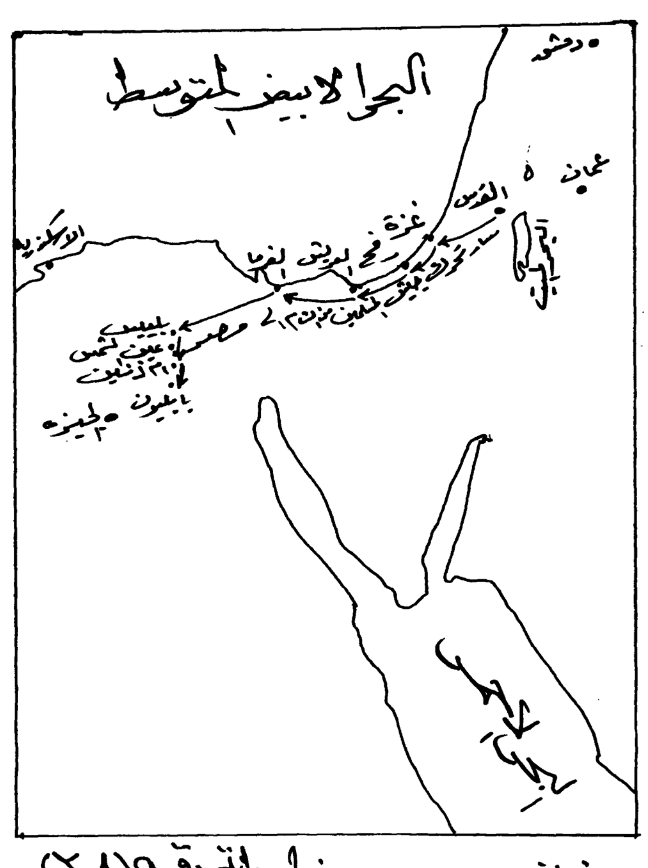
تحرك المسلمون من بلبيس واحتلوا (ام ذنين) و (عين شمس)، وجعل عمرو بن العاص مدينة عين شمس مكاناً لقيادته الحربية.

ارسل عمرو بن العاص الى الخليفة كتاباً يطلب فيه المدد لمساعدته في فتح مصر، فارسل له الخليفة اربعة الاف مقاتل بقيادة الزبير بن العوام، والذي وصل الى مصر واستقبله عمرو بن العاص في مدينة عين شمس.

كان اقوى الحصون في مصر حصن (بابليون) الذي ان استطاع المسلمون دخوله يسهل عليهم بعده اخضاع كل مصر لسيادتهم فلذلك اتجه عمرو بن العاص صوب الحصن وفرض عليه الحصار، وواجه المسلمون صعوبة كبيرة في دخوله، وذلك لوجود قوات رومانية كبيرة فيه ولمناعة اسواره.

طال انتظار الخليفة لفتح مصر، ولم يتعود من قبل على البطء في فتح المناطق التي يسير اليها جيش المسلمين، وخشى ان يكون المسلمون قد احبوا الدنيا، واخذوا يتقاعسون عن الجهاد، فأرسل الى عمرو بن العاص كتاباً يستوضح فيه اخبار فتح مصر، ويحث فيه المسلمين على قتال اعدائهم ويرغبهم بالصبر على ذلك.

وفي الحقيقة لم يتقاعص المسلمون عن القتال، ولم يحبوا الدنيا عن حبهم للجهاد، وانما كانت هناك عدة اسباب وراء التباطوء في فتح مصر اولهما قلة تعداد جيش المسلمين المكلف بالمهمة، مقارنة مع وجود قوات رومانية كبيرة في مصر، يتواجد اكثرها في المدن والحصون. وثانيهما المساحة الكبيرة لمصر، والعوائق الجغرافية مثل الصحراء ونهر النيل.



فتح مصر خارطة رقم (٢٨)

شدد المسلمون حصارهم على حصن نابليون، ولم ييأسوا من دخوله، وتيقن لدى (المقوقس) قائد الحصن، ان المسلمين لن يتخلوا عن الحصن، وانهم سيدخلونه مهما طال الحصار، فلذلك ارسل الى عمرو بن العاص يطلب منه ارسال رجال يكلمهم في الامر، فأرسل له عمرو بن العاص عشرة رجال يقودهم عبادة بن الصامت، وهو المتكلم عنهم.

ووصل الوفد الاسلامي الى داخل الحصن، والتقوا مع المقوقس، ودار بين الوفد والمقوقس حديث مطول كان المقوقس يركز فيه على اقناع عبادة بن الصامت بعودة المسلمين عن مصر، مقابل اعطائهم الهدايا والهبات، في الوقت الذي يضخم فيه من قوة الروم وقلة تعداد جيش المسلمين، واجاب عبادة بن الصامت عن جميع اسئلة المقوقس واستفساراته، وركز على فتح مصر، اما بدخول اهلها في الاسلام، او اقرارهم الجزية، او القتال.

ولخوف المقوقس على نفسه وعلى من حوله، وتيقنه من نصر المسلمين على الروم في مصر، اقتنع بكلام عبادة، وعرض على من حوله مصالحة المسلمين، الا ان الروم لم يرضوا بذلك، وحثوا المقوقس الى عدم الرضوخ للصلح.

وبعد ان تيقن عمرو بن العاص ان الروم يماطلوه في الصلح، خطب بأصحابه واخذ يحثهم على دخول الحصن بالقوة وبأي ثمن، فقام الزبير بن العوام بوضع سلم على جانبه، ثم صعد عليه وقفز الى داخله، وتبعه مجموعة من المسلمين الى ذلك.

ووصل الزبير بن العوام الى احد ابواب الحصن واخذ يكبر والمسلمون يكبرون من الخارج معه، وتوقع من في الحصن ان المسلمين دخلوا الحصن من كل اتجاه، فدب الرعب في قلوبهم وفتح الزبير باب الحصن، ودخل المسلمون من خلاله، مما جعل المقوقس يجد نفسه مجبراً على الصلح، فارسل الى عمرو بن العاص بذلك، فوافقه عمرو على الصلح، وطلب من المسلمين وقف القتال والبدء بكتابة بنود الصلح.

وكتب الصلح بين المقوقس وعمرو، والذي شمل بنوده كل من يعيش في مصر، حيث يدفع كل رجل دينارين عن كل عام، ويعفى من الدفع النساء والشيخ الفاني والصغير الذي لم يبلغ الحلم، ومن بنود الصلح، ان الدفع يخفف عن اهل مصر بمقدار انخفاض وارتفاع منسوب مياه نهر النيل، والسبب في ذلك ان المصريين يعتمدون في معيشتهم على الزراعة، والتي تتأثر سلباً او ايجاباً بنهر النيل.

كتب الصلح في مطلع شهر محرم من السنة عشرين للهجرة، وهو التاريخ الذي اصبحت فيه كل مصر تحت سيطرة المسلمين.

معركة ذات الصواري

تاريخ المعركة: السنة الحادية والثلاثون للهجرة(١) (٦٥١ ميلادية).

مكانها: البحر الابيض المتوسط، الذي كان يعرف ببحر الروم، ولا يعرف بالتحديد المكان الذي حدثت فيه في البحر.

اسبابها:

بعد الهزائم المتكررة التي مني بها الروم على يد المسلمين في بلاد الشام وافريقية، وبعد ان سيطر المسلمون عليهما وقضوا على قوات الروم فيهما، بدأ المسلمون ينشؤن اسطولاً اسلامياً، واخذوا يسيطروا على سواحل بلاد الشام وافريقية، فمنعوا الروم من استخدام هذه السواحل، ولان الروم ايقنوا ان استمرار المسلمين في تطوير اسطولهم البحري سيحرمهم من استخدام البحر، وبالتالي يسهل على المسلمين الوصول الى عاصمة الروم (القسطنطينية)، فلذلك ثار الروم على ملكهم (قسطنطين بن هرقل) واجبروه على محاربة المسلمين في البحر، ظناً منهم انهم يستطيعون تحقيق ذلك، معتمدين على ضخامة اسطولهم، وحداثة اسطول المسلمين، وبالتالي توقعهم ان نتائج المعركة مضمونة لهم.

وتوهم الروم ان بسيطرتهم على البحر، سيتمكنون من اعادة الشواطيء التي احتلها المسلمون من البر، وبالتالي اعاده استمرار ترابطهم مع المناطق التي كانوا يسيطرون عليها قبل احتلال المسلمين لها.

علاقة المسلمين بالبحر قبل المعركة:

ارسل معاوية بن ابي سفيان عامل الخليفة على بلاد الشام، الى عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ يستأذنه في محاربة الروم في البحر، وجاء رد الخليفة له بعدم الموافقه على ذلك، بالرغم من سيطرة المسلمين على بلاد الشام وافريقية، واستند الخليفة في رفضه على الأمور التالية:

١ ــ لم يستخدم الرسول ــ عليه السلام ــ البحر في غزواته، وسار على نهجه ابو بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ واستخدم البحر في زمن الخليفة عمر بن الخطاب من قبل عامله

(١) تذكر بعض الروايات ان المعركة حدثت سنة ٣٤ هجرية.

على البحرين العلاء بن الحضرامي والذي غزا بلاد فارس من البحرين، ومنيت قواته بخسائر كبيرة عند اصطدامها مع الفرس، وعلى اثرها اخذ الخليفة عمر بن الخطاب على نفسه عهداً بعدم السماح للمسلمين بركوب البحر غازين مجاهدين.

٢ ـــ بعد وصول كتاب معاوية بن ابي سفيان الى الخليفة، ارسل الخليفة الى عامله على مصر عمرو بن العاص، وطلب منه وصفاً للبحر وركوبه، فجاءه الرد التالي: (اني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير . ليس الا السماء والماء، ان ركد خرق القلوب، وان تحرك ازاغ العقول، يزداد فيه اليقين ـــ بالنجاة ـــ قلة، والشك كثرة، هم فيه كدود على عود، ان مال غرق وان نجا برق)(١).

ولما قرأ الخليفة رسالة عمرو بن العاص، ارسل الى معاوية قائلاً «والذي بعث محمداً بالحق لا احمل فيه مسلماً ابداً وبالله لمسلم واحد احب لي مما حوت الروم».

٣ ـــ كان الخليفة وفي كل غزوة يوصي القادة بالرفق بالمسلمين، وعدم تكليفهم مالا طاقة لهم به، وان ركوب البحر الذي لم يعتد المسلمون عليه في غزواتهم، فيه كثير من المغامرة والخوف على ارواحهم، في الوقت الذي يتمتع الروم فيه بخبرة كبيرة في ركوب البحر.

ولم يعارض الخليقة على بناء السفن وانشائها، وذلك تيقناً منه انه لابد من العمل في هذا المجال، حتى يكمل المسلمون استعدادهم، ويصبحوا قادرين على القيام بمثل هذه المهمة.

وعندما جاء الخليفة عثمان بن عفان ـــ رضي الله عنه ـــ سمح لمعاوية بن ابي سفيان باستخدام المسلمين للبحر في مقاتلتهم اعدائهم الروم، وذلك عندما اصبح لدى الخليفة المعلومات التي تفيد ان بأمكان المسلمين القيام بذلك.

وقائع المعركة

تجمعت مراكب المسلمين من سواحل بلاد الشام، ومن سواحل افريقية، تحت قيادة عبدالله ابن سعد بن ابي سرح، وعددها(٢٠٠) مركب فقط، لتقابل مراكب الروم، والتي عددها (١٠٠٠) مركب وبقيادة قسطنطين بن هرقل.

واقتربت مراكب الروم من مراكب المسلمين، وخير المسلمون الروم بين النزول الى الساحل والاقتتال هناك، او ان يكون القتال في البحر ورد الروم وبصوت واحد الماء، الماء، وذلك لمعرفتهم السابقة لما حل بالروم على ايدي المسلمين في البر.

وبقي الطرفان يستعدان للمعركة في تلك الليلة وهم في عرض البحر، وامضى المسلمون

(١) تاريخ الخلفاء، صفحة ١٥٥.

ليلتهم يصلون ويقرأون القرآن ويدعون ربهم ان ينصرهم على اعدائهم، في الوقت الذي امضى فيه الروم ليلتهم يدقون النواقيس في سفنهم.

وفي الصباح اراد قسطنطين ان يبدأ القتال، الا ان القائد عبدالله بن سعد، جمع اهل الرأي والمشوره، واستشارهم في الامر، وتوصل الى طريقة يستطيع فيها المسلمون ان يقاتلوا اعداءهم وكأنهم في البر، وتتمثل في ان امر اصحابه بالتقدم نحو الروم، حتى تلامست مراكبهم مع مراكب عدوهم عندها قام المسلمون بربط مراكبهم بمراكب الروم واصبح سهلاً عليهم التحرك فوق السفن وكأنهم على الارض، ودار قتال بين الطرفين اتسم بالعنف والشدة وسالت الدماء في المراكب والماء، وقتل من الطرفين اعداد كبيرة، وانتشرت الجثث على سطح الماء.

وصبر المسلمون على قتال اعدائهم، وبدأ الروم يتضعضعون امام صمود المسلمين وضرباتهم، ووجد قسطنطين نفسه في حرج عندما اخذ يرى سفنه تغرق في الماء واحده بعد الاخرى. مما اضطره الى الفرار مدبراً نحو جزيرة (صقلية) وعندما وصل هناك واخبر الروم بما حصل معه، ثاروا عليه وقتلوه.

وانتصر المسلمون في المعركة، وخسر فيها الروم اعداداً كبيرة من القتلى والجرحى. اضعاف ما خسره المسلمون، واصبحوا بعد هذه المعركة يسيطرون على البحر، حيث استطاعوا بعد ذلك فتح (قبرص) و (كريت) و (كورسيكا) و (صقلية) وغيرها ومهدت هذه المعركة لوصول المسلمين الى عاصمة الروم القسطنطينية، حيث دخلها المسلمون من البحر والبر في السنة التاسعة والاربعون للهجرة (٦٦٩ ميلادية).

تم بعون الله وأساله القدرة على انجاز الجزء الثاني

فهرس المحتويات

فهرس الخرائط

